الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات مقياس مدارس لسانية

مستوى السنة الثانية ليسانس

إعداد: د/ العبادي عبد الحق

السنة الجامعية: 2021 / 2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات مقياس مدارس لسانية

مستوى السنة الثانية ليسانس

إعداد: د/ العبادي عبد الحق

السنة الجامعية: 2021 / 2022

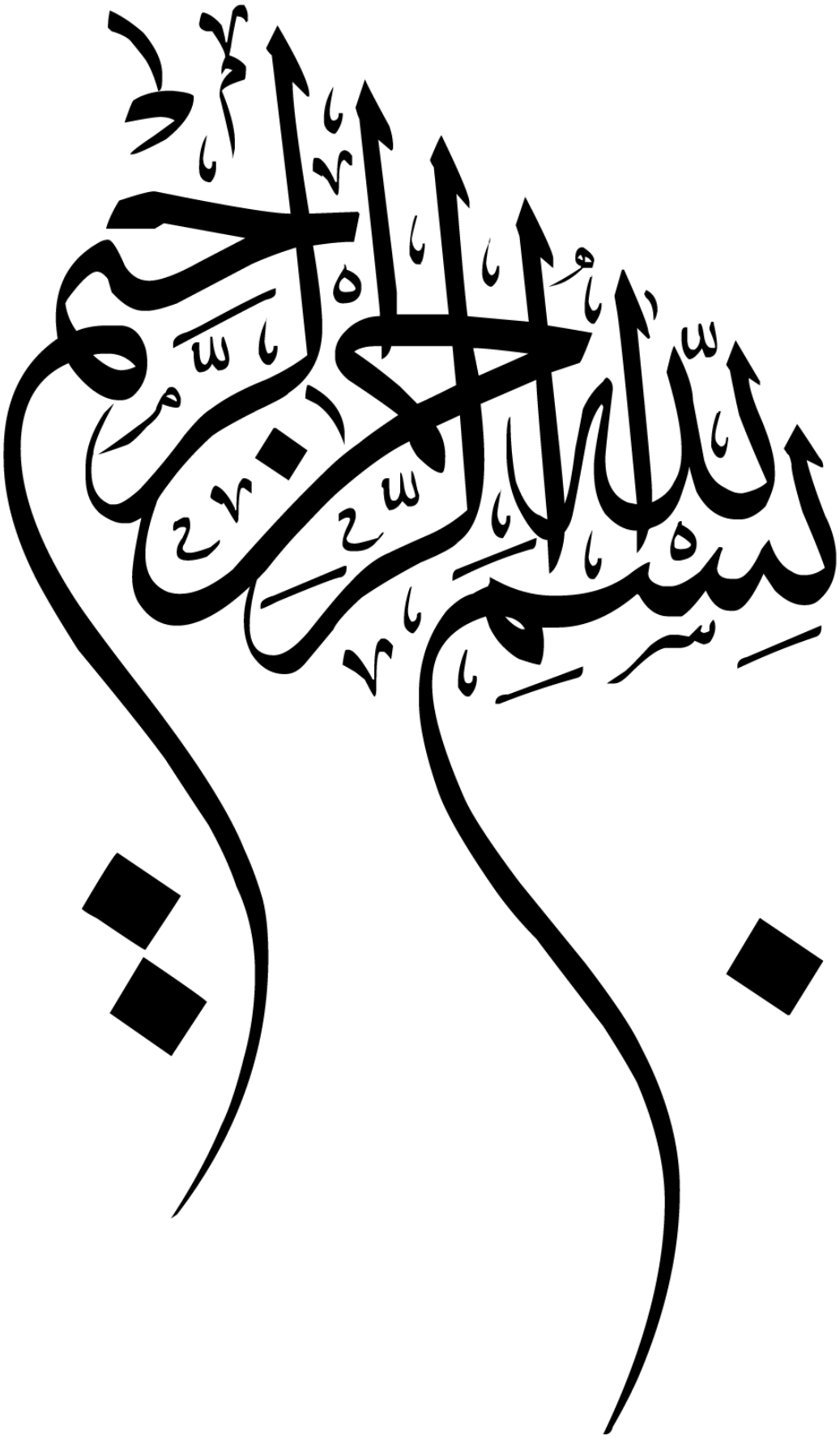
بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون -تيارت-

كلية الآداب و اللغات.

نيابة العمادة لما بعد التّدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية.

الرقم : 629ن.ع.ل.ب.ت.ب.ع.ع.خ/2021

مستخرج من محضر المجلس العلمي.

بناءً على محضر المجلس العلمي للكلية في دورته الاستثنائية المنعقدة بتاريخ :

30 نوفمبر 2021، وافق المجلس على اعتماد المطبوعة البيداغوجية الموسومة بـــ:

" محاضرات في مقياس مدارس لسانية "

للأستاذ (ة)الدكتور(ة) : العبادي عبد الحق .

وهذا بعد الاطلاع على تقريري الخبيرين المعتمدين(م ع ك آ ل: 2021/10/12)

الرقم	اسم ولقب الخبير(ة)	الرتبة العلمية	مؤسسة الارتباط
01	العيمش محمد	أستاذ محاضر "أ"	ابن خلدون تيارت
02	دقي جلول	أستاذ محاضر "أ"	جامعة مسيلة

تيارت في :2021/12/05

رئيس المجلس العلمي

الدكتور: بلحسين سليمان
رئيس المجلس العلمي
لكلية الآداب و اللغات

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Ibn Khaldoun de Tiaret
جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

الرقم: 358/ع.ك.آ.ل/2022 تيارت في: 24/10/2022

إشهاد

يشهد السيد نائب العميد المكلف بما بعد التّدرج، والبحث العلمي، والعلاقات الخارجية أن الأستاذ(ة):

الاسم واللقب : العبادي عبد الحق

الرتبة : أستاذ محاضر صنف أ

قد وضع (ت) دعائم بيداغوجية عبر الخط على موقع الجامعة خلال السنة الجامعية 2022/2021 وفق البرنامج المحدد في عرض التكوين الخاص بـــ:

الطور: الليسانس الميدان: اللغة والأدب العربي

الفرع: الدراسات اللغوية التخصص: الدراسات اللغوية

المقياس: مدارس لسانية الفئة المستهدفة: السنة الثانية

بعد مصادقة المجلس العلمي في دورته المنعقدة بتاريخ: 30/ 11/ 2021

الرابط الالكتروني: http://fll.univ-tiaret.dz/crsel/?p=90

نائب العميد

نائب عميد مكلف بما بعد التدرج
و البحث العلمي و العلاقات الخارجية
د / عميداني عيسى

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة: جامعة ابن خلدون تيارت

الكلية: كلية الآداب واللغات

الملحقة: ملحقة قصر الشلالة تيارت.

الميدان: ميدان اللغة والأدب العربي.

الشعبة: شعبة الدراسات اللغوية.

الطور: ليسانس ل.م.د

السداسي: الرابع.

الوحدة التعليمية: وحدة التعليم المنهجية.

المادة: المدارس اللسانية.

نوعية النشاط البيداغوجي: درس (محاضرات)

السنة الجامعية: 2021 / 2022.

من إعداد: د / العبادي عبد الحق.

الرتبة: أستاذ محاضر صنف أ.

التخصص: علم اللغة.

مفردات المحاضرات لمقياس مدارس لسانية

	المادة: المدارس اللسانية.
	مفردات المحاضرة:
01	مدخل: المدرسة / الحلقة / النظرية.
02	لسانيات دو سوسير.
03	حلقة موسكو.
04	مدرسة براغ 1.
05	مدرسة براغ 2.
06	مدرسة كوبنهاغن.
07	المدرسة الوظيفيّة الفرنسية.
08	المدرسة السياقية.
09	المدرسة التوزيعيّة.
10	المدرسة التوليدية التحويلية 1.
11	المدرسة التوليدية التحويلية 2.
12	المدرسة الوظيفيّة الأمريكية.
13	مدرسة أوكسفورد.
14	المدرسة الخليليّة.

المحاضرة الأولى

مدخل: المدرسة / الحلقة / النظرية

توطئة:

إن البحث في قضية اللغة مهما كان منهجه، ومرماه، يحيلنا مباشرة على مشكل علاقة الانسان بالظاهرة اللغوية في أصل اتصاله بها، ومدى انحصاره فيها، ولعل التراث اللغوي الإنساني والعربي منه، في منطوقه ومضمونه، قد زخر بتساؤلات مبدئية تمحورت حول ديمومة لقاء الانسان باللغة منذ المبتدأ، والتفكير في هذا المشغل المجرد قد كان في تنوعه، وطرافته على قدر ما كان يلابسه من مضايقات التناقض الحتمي في محاولة المفكرين النظر في علاقة الانسان باللغة من حيث كانوا يفكرون في اللغة وباللغة في ذات الوقت، فالقضية إذن تنحصر في موقف منهجي حاول فيه الناظرون تأمل هذا الإشكال ببعد فكري افترضوه، والتزموه حيال اللغة التي استحالت مادة للفكر، وموضوعا له.

فالنظر في تراث التفكير الإنساني والعربي يدرك بيسر أن رواده قد كانوا ينزلون التقاء الانسان باللغة في لحظة التحديد ذاتها؛ إذ أن الحد المميز للإنسان لا يتخصص إلا بدخول عنصر اللغة فيه، ففي مستوى التعريف المنطقي للإنسان تمثل الظاهرة اللغوية المحور الفقري الذي تتولد عنه مجموعة الفوارق التمييزية على الصعيد الوجودي، والفلسفي عامة، ولا يكاد يخلو تعريف الانسان، سواء على نهج الفلاسفة والمتكلمين، أو على طريقة الأدباء، واللغويين من قصر سمة التمييز الإنساني على ظاهرة الكلام فهو "الانسان الناطق"، فيكون النطق "الفصل الذاتي" ضمن عناصر تركيب الحد المنطقي، وهذا ما قد استوجب اعتبار "النفس الناطقة هي الانسان من حيث الحقيقة" [1] على حد عبارة "أبو الفتح الشهرستاني".

فالعلاقة التي تربط الانسان باللغة هي علاقة بالطبع والاقتضاء لا بالعرض والاتفاق، ومعنى ذلك أن الانسان في كينونته الجوهرية موجود متكلم، فتركيبه الطبيعي مقتض للبعد اللغوي بالضرورة، فهذه الأهمية التي تحتلها اللغة في حياة الانسان جعل من دراستها مركز الجاذبية في كل البحوث الإنسانية اطلاقا، فالذي حدث في علوم اللغة ليس "موضة" كالتي تعرفها بعض مناهج النقد في الأدب، ومدارس التحليل في الفلسفة، فاللسانيات أصبحت في حقل البحوث الإنسانية مركز الاستقطاب بلا منازع، فكل العلوم اللغوية أصبحت تلتجئ – سواء في مناهج بحثها، أو في تقدير حصيلتها العلمية – إلى اللسانيات، وعلى ما تفرزه من تقريرات علمية، وطرائق في البحث، والاستخلاص.

فاللسانيات اليوم موكول لها "مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إخصابها فحسب، ولكن أيضا من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا" [2]، ولا يتميز الانسان بشيء تميزه بالكلام، ولعل هذه الخصوصية المطلقة هي التي أضفت على اللسانيات صبغة الجاذبية، والاشعاع في نفس الوقت، فاللغة عنصر قار في العلم والمعرفة سواء كان منها علما دقيقا، أو معرفة نسبية، أو تفكيرا مجردا، فباللغة نتحدث عن الأشياء، وباللغة نتحدث عن اللغة.

---

[1] أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1387 هج، 1968 م، ج 01، ص 182.

[2] عبد السلام مسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 01، 1981 م، ص 09.

وهكذا تسنى للسانيات أن تلتحق بالمعارف الكونية؛ إذ لم تعد مقترنة بإطار مكاني دون آخر، ولا بمجموعة لغوية دون أخرى، ولا حتى بلسان ما دون آخر، وهذا جعلها تأسس جملة من القواعد النظرية والتطبيقية أصبحت اليوم من فرضيات البحث، ومسلمات الاستدلال، ولهذه الشمولية في الطرح جعلها تدرس من عدة جوانب، بل وتأسست لدراسة هذا اللسان البشري عدة مدارس لغوية ولسانية.

وقبل التطرق لدراسة هذه المدارس اللغوية نود الإشارة إلى معاني "المدرسة، والمنهج، والحلقة، والنظرية، والفرقة، والرابطة، والجماعة، والمذهب"

المدرسة:

المدرسة في اللغة: من دَرَسَ، يَدْرُسُ، "ودرس الشيء" بمعنى: طحنه، وجزءه، درس الحَبَ طحنه، درس الدرس جزءه، وسهل، ويسر تعلمه على أجزاء، فيقال درس الكتاب، يدرسه دراسة، بمعنى: قراءة، وأقبل عليه، ليحفظه، ويفهمه [1]، يقول تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ [آل عمران: 79]، يقول "أبو الحسن ابن سيده" في "المحكم والمحيط الأعظم" "درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه" [2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: 105].

ويضيف "الزبيدي" في "تاج العروس" فيقول: "درس الكتاب يدرسه درسا: ذلله بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليه من ذلك" [3]، ويقول "الجوهري" في "الصحاح": "ودارسْتُ الكتب، وتدارستها، وادَّارَسْتُها أي: دَرَسْتُها" [4]، يقول تعالى: ﴿ **وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ** ﴾ [سبأ: 44].

وتدارس الشّخص الكتاب ونحوه، أي: تَعهَّدَه بالقراءة، والحفظ لئلاّ يَنْساه، وتَدَارَسَ الطلبة الكِتَابَ، أي: قَرَأُوهُ، وَتَحَاوَرُوا فِي مَعَانِيهِ، وَأَفْكَارِهِ لِيَبْقىَ رَاسِخاً فِي ذِهْنِهِمْ، وتَدَارَسُوا المَشْرُوعَ؛ أي: نَاقَشُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، عَرَضَ كُلٌّ مِنْهُمْ رَأْيَهُ عَلَى الآخَرِ، يقول تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأعراف: 169]، ويقول سبحانه، ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ** ﴾ [القلم: 37].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج 15، ص 1359، مادة "درس".

[2] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1421 هج، 2000 م، ج 08، ص 446، مادة "درس".

[3] الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1413 هج، 1993 م، ج 16، ص 64، مادة "درس".

[4] الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 04، 1990 م، ج 03، ص 927، مادة "درس".

والمَدْرَسَةُ: مكان الدَّرس والتعليم، ويقال: هو من مدرسة فلان؛ أي: على رأيه ومذهبه، أو من تلاميذه، وأتباعه، و"المدرسة اليوم هي المؤسسة العامة التي أنشأها المجتمع لتتولى تربية النشء الجديد على المعارف، والحقائق، والقيم الاجتماعية، والدينية، وطرق العمل، والتفكير" [1]، والمدرسة اليوم بإمكانها أن تغير نظام المجتمع إلى حد معين، ولعل هذا عمل تعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

والمدْرَسَةُ أيضا: هي جماعةٌ من الفلاسفة، أَو المفكرين، أَو الباحثين، تَعْتنق مذهبًا مُعيَّنًا، أو تقول برأْي مشترك [2]، أو هي مجموعة من الفلاسفة، والفنّانين، والكُتّاب الذين تعكس أفكارهم، وأعمالهم، وأساليبهم أصلاً مشترَكًا، أو تأثيرًا، أو اعتقادًا، والمُدَرِّسُ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمُعَلِّمُ، أو الأُسْتَاذُ.

هل عرف العرب هذا النظام "المدرسة" ؟

مما لا يخفى على أحد ذلك النشاط المؤسس في الدراسات اللغوية واللسانية عند العرب، وأول ما يطالعنا من مستخلصات تفكير الحضارة العربية في هذا المضمار اعتبار اللغة في يد الانسان مفتاح يلج به باب العالم الخارجي، وهي بذلك المعبر الفريد الذي يتحاور بفضله الانسان مع الوجود ليتفاعل معه، ولنا في قضية "التفسير" مثال صارخ يصدح بصدق لهذا الاعتبار، فالنص القرآني رسالة لسانية في حد ذاته، فكان دراسة هذه الرسالة بشكل مؤسس علمي، وفريد من نوعه في التراث العربي، ولعل ذلك بدأ مع **"مدرسة البصرة"** بزعامة "أبي الأسود الدؤلي " ومن أتى بعده كـ "الخليل بن أحمد"، و"سيبويه"، و"المبرد"، و"الأخفش"، و"المازني"، و"قطرب"، و"السيرافي" وغيرهم [3]، و**"مدرسة الكوفة"** بزعامة "الكسائي" ومن أتى بعده كـ "الفراء"، و"ثعلب" وغيرهم [4]، و**"المدرسة البغدادية"** بزعامة "ابن كيسان" و"الزجاجي" ومن أتى بعدهم كـ "كأبي علي الفارسي"، و"ابن جني" وغيرهم [5]، و**"المدرسة الأندلسية"** مع "ابن مضاء"، و"ابن عصفور"، و"ابن مالك"، و"أبو حيان" وغيرهم [6]، و**"المدرسة المصرية"** مع "ابن الحاجب"، و"ابن هشام"، "و"السيوطي" [7].

---

[1] إبراهيم ناصر، مقدمة في التربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004 م، ص 152.

[2] ينظر: عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 01، 1993 م، ص 148.

[3] ينظر: أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تح طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط 01، 1374 هج، 1955 م، ص 17 وما بعدها.

[4] عبد الواحد بن علي اللغوي، مراتب النحويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 02، 1430 هج، 2009 م، ص 105 وما بعدها.

[5] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الامل، إربد، الأردن، ط 03، 1422 هج، 2001 م، ص 219 وما بعدها.

[6] نفسه، ص 309 وما بعدها.

[7] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 07، 1968م، ص 355.

زد على ذلك **"المدرسة البيانية"** [1] مع "الجاحظ" التي كان لها الفضل في تلخيص أنواع الدلالات وحصرها في خمسة دلالات هي: "اللفظ"، و"الإشارة"، و"العقد"، و"الخط"، و"النصبة"، و**"مدرسة النظم"** [2] مع "الجرجاني" التي كان لها الفضل في معرفة كيفية تركيب الكلام انطلاقا من الجملة البسيطة في تراكيبها الصوتية، والدلالية، والنحوية، والبلاغية، والأسلوبية، والغيبية، والاعجازية، و**"المدرسة الشمولية"** [3] مع "السكاكي" الذي حاول أن يرتقي "بالنحو والصرف" إلى درجة "البلاغة"، فيخلف علم المعاني "النحو"، وعلم البيان "علم الصرف"، و**"المدرسة الارتقائية"** [4] مع "ابن خلدون" والتي بناها على الفترة الزمنية التي ينتقل فيها الكائن لسانيا كان، أو إنسانيا، أو حيوانيا من صورته الأولى إلى صورة أخرى كما أن لو كان حقيقة أخرى، وليست تطورا داخليا لحقيقة واحدة تنتقل من طور إلى طور حتى تنتهي إلى غايتها، ولعل هذه النظرية وظفت لبناء نظرية التحصيل؛ وهي تنص على أن المعنى ينشأ أول ما ينشأ عن الفعل، فإذا تكرر الفعل صار صفة، وإذا تكررت الصفة صارت حالا، وإذا تكررت الحال صارت ملكة، و**"المدرسة الإشراقيّة"** [5] والتي ترى أن المعرفة تتمّ عن طريق ظهور الأنوار العقليّة، ولمعانها، وفيضانها بالإشراقات على النُّفوس عند تحرّرها، ويطلق اسم الإشراقيين بالأخصّ على " شهاب الدين السّهروردي" وأتباعه.

أما في العصر الحديث ظهرت **"مدرسة الإحياء والبعث"** [6] وهي مدرسة أدبيّة عربيّة ساعدت على نهضة الأدب ورائدها "محمود سامي البارودي"، ومن أتى بعده كـ "أحمد شوقي"، و"حافظ إبراهيم"، و"أحمد محرم"، و"علي الجارم" وغيرهم كثير، و**"مدرسة الديوان"** [7] وهي حركة تجديدية في الشعر العربي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين، ودعت إلى التمرد على الأساليب القديمة المتبعة في الشعر العربي سواء في الشكل، أو المضمون، أو البناء، أو اللغة ورائدها "عباس محمود العقاد"، و"إبراهيم المازني"، و"عبد الرحمن شكري" ، ضف إلى ذلك **"مدرسة أبولو الشعرية"** [8] وهي أحد

---

[1] ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط 02، 1953 م، ص 584، 585.

[2] مازن الوعر، نحو نظرية للسانيات عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، بيروت، لبنان، ط 01، 1987 م، ص 46.

[3] محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001 م، ص 42.

[4] ينظر: أحمد حساني، السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية "مقاربة لسانية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993 م، ص 02.

[5] هاشم الآملي، جامع الأسرار، ترجمة جواد طباطبائي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2005 م، ص 535.

[6] آمال موسى وآخرون، من شعراء الإحياء أحمد شوقي، معروف الرصافي، محمد الشاذلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الألكسو، تونس، ص 16.

[7] ينظر: مجلة علامات في النقد، شفيع السيد، من أوراق النقد العربي في القرن الماضي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2004 م، المجلد 14، ج 54، ص 12.

[8] ينظر: نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، الاتباعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 م، ص 230.

المدارس الأدبية الهامة في الأدب العربي الحديث، ومؤسسها الشاعر "أحمد زكي أبو شادي" ومن أتى بعده كـ "إبراهيم ناجي"، و"علي محمود طه"، وغيرها من المدارس.

المنهج:

يشير مصطلح الأسلوب العلمي إلى ذلك الإطار الفكري الذي يعمل بداخله عقل الباحث، في حين أن كلمة "منهج البحث" تعني الخطوات التطبيقية لذلك الإطار الفكري، ولا يعني هذا الاختلاف ماهية هذين الاصطلاحين؛ أي تعارض بينهما، فمن الناحية اللغوية يتقارب كثيرا معنى كل من "أسلوب" "*style*" و"منهج" "*méthode*"، ولكن يقصد بهذا التمييز التوضيح والتفسير، ففي أي دراسة علمية تتخذ العمليات العقلية في ذهن الباحث ترتيبا، وتنظيما متكاملا يوجه خطواته التطبيقية، ولذلك يفضل أن يستقل كل مصطلح بجانب من الجانبين، بحيث تستعمل كلمة" أسلوب" لتشير إلى الجانب التطبيقي لخطوات البحث، أما كلمة "منهج" فتعني البحث، أو النظر، أو المعرفة، والمعنى الاشتقاقي لها يدل على الطريقة، أو المنهج الذي يؤدي إلى الغرض المطلوب.

ومن خلال هذا يعرف العلماء"المنهج" بأنه: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون" [1]، أو هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى النتيجة المعلومة" [2].

فالمنهج لغة: كلمة مشتقة من مادة: نهج، ينهج نهجا، ومنهاجا، ومعناها يدور على أصلين: أحدهما: الشيء الواضح الذي يسير عليه المرء، كالطريق، يقول تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة: 48]، قال "ابن عباس" "رضي الله عنه" في تفسير هذه الآية: "سبيلا وسنة"، وأما الأصل الآخر فهو: الانحباس، والانقطاع، والتوقف، يقول "أحمد ابن فارس": "النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأول: النهج الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضا، والجمع المناهج، والآخر الانقطاع: وأتانا فلان ينهج: إذا أتى مبهورا منقطع النفس، وضربت فلانا حتى أُنْهِجَ؛ أي: سقط" [3]، والمقصود هنا هو الأصل الأول الدال على الشيء الواضح الذي يسلكه الإنسان، للوصول إلى هدفه، ومراده، كالطريق الواضح المحسوس، والبرنامج الذي يسير عليه، والخطط والأهداف المرسومة، التي يعمل على منوالها، ولا يخرج عنها.

هل عرف العرب المنهج ؟

---

[1] عبد القهار داود العاني، منهج البحث والتحقيق في الدراسات العلمية والإنسانية، دار وحي القلم، دمشق، سوريا، ط 01، 1435 هج، 2014 م، ص 16.

[2] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 03، 1977 م، ص 05.

[3] ابن فارس، المقاييس في اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1399 هج، 1979 م، ج 05، ص 361، مادة "نهج".

كان للعرب قدم السبق في التعريف بالمنهج ولا أدل على ذلك عنونة بعض الكتب بمصطلح المنهج، والمناهج، والمنهج ولعل من أهم هذه الكتب في التراث العربي:

1- "**المنهج** في اختلاف البصريين والكوفيين" لأبي جعفر النحاس. 2 – "**المنهاج** في شعب الإيمان" للحسين بن محمد الحليمي. 3-**المنهاج** في ترتيب الحجاج: لأبي الوليد الباجي.4- "**منهاج** البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجني.- 5"**المنهج** المسلوك في سياسة الملوك" للشيخ عبد الرحمان بن عبد الله، ويقال "**نهج السلوك**". 6- "مباهج الفكر و**مناهج** العبر" لجمال الدين الوطواط. 7- "الكشف عن **مناهج** الأدلة في عقائد أهل الملة وتعريف ما وقع منها بحسب التأويل من الشبه والبدع المضلة" لابن رشد. 8-"**منهاج** السلوك في سير الملوك" لشهاب الدين الأشرفي. 9-"**المنهج** الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد" لمجير الدين العلمي الفخري. 10- "**النهج** السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ بن العميد" لابن أبي الفضائل القبطي المصري. 11- "**نهج** الطرائق و**المناهج** والسلوك إلى تاريخ الأنبياء والملوك" لنصر الدين الجفوي. 12 – "تبصرة الحكام في الأقضية و**مناهج** الأحكام" لأبي الوفاء بن فرحون. 13- "**المنهاج** السوي في ترجمة النووي" لجلال الدين السيوطي.14- "**المنهج** السوي والمنهل الروي في الطب النووي" لجلال الدين السيوطي 15- _ "**منهاج** الطالبين" لمحي الدين النووي. 16- "**منهاج** السنة النبوية في نقض الشيعة والقدرية" لتقي الدين بن تيمية. – 17"**منهاج** الوصول إلى علم الأصول" لعبد الله بن عمر البيضاوي.18 _ "**مناهج** الترسل في مباهج التوسل" لعبد الله البسطامي. 19- "**مناهج** الوزراء في النصيحة" أحمد بن محمود الجيلي.20- "**منهج** السلوك في سيرة الملوك" لتوغان المحمدي الأشرفي. 21- "سراج الملوك و**منهاج** السلوك" ليحي بن عبد الجليل الموصلي. 22- "تحفة الحتاج لشرح **المنهاج**" لابن حجر الهيثمي 23- "شرح **منهاج** الطالبين للنووي" لشمس الدين الشربيني الخطيب.

ثم تتابع المؤلفون في فنون العلم بعد ذلك على إضافة "المنهج" و"المنهاج" لأسماء كتبهم جريا على هذا الإصطلاح، وتوسع الباحثون في المراد من "المنهج" في العصور المتأخرة، وكتبوا فيه كتبا، وبحوثا، ومقالات خاصة به، فأصبح علما مستقلا يشتمل على تعريف المنهج، وأنواعه، والمراحل التي مر بها في تاريخ العلوم البشرية، والطرق والأساليب التي ينتهجها الباحثون، والعلماء في كل فن من فنون العلوم المختلفة للوصول إلى أهدافهم، وسمات منهج كل فن وقواعده، وغير ذلك من القضايا.

وتبعا لذلك اختلف الباحثون في تعريق "المنهج"، وإن كانت متقاربة، ومن ذلك:

1* أنه وسيلة محددة توصل إلى غاية محددة.

2* إنه خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة، أو أكثر، ويتبعها للوصول إلى الحقيقة.

3* هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

4* هو السبيل الفكري، والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم.

ويفهم من هذه التعريفات المذكورة أن "المنهج" وإن إختلفت أنواعه، ومجالاته إلا أنه لابد من أن تتوافر فيه شروط ثلاثة تتمثل في الآتي:

1* أن يكون واضحا لا غموض فيه.

2* أن يكون منظما، ومرتبا، ومحددا يمكن السير على منواله.

3* أن يوصل إلى نتيجة معلومة سواء كانت ذهنية، أو محسوسة.

وخلاصة القول أنه وإن اختلفت استعمالات كلمة منهج في ألفاظها إلا أنها تدور في فلك معنى واحد، فهو الطريقة، أو الأسلوب، أو الكيفية، أو الوسيلة المحددة التي تؤدي إلى الغرض المطلوب، أو إلى الغاية المعينة؛ فالمنهج هو الطريق الذي يمكن أتباعه، للوصول إلى هدف معين، إنجاز عمل معين على سبيل المثال، وقد يختلف هذا المنهج من عمل لآخر، ومن بيئة لأخرى، بل ومن شخص لآخر، وعليه فيمكن لكل إنسان أن يتبع المنهج الذي يراه مناسبا، لانجاز الأعمال التي يريدها، طالما أنه غير مقيد بشروط معينة، تلزمه بإتباع منهج بعينه.

المذهب:

المذهب في اللغة هو الطريق والسبيل، يقال: ذهب ذهاباً وذهوباً ومذهباً ، أي: مرَّ [1]، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ [البقرة: 17]، يقال: ذهبت به الحُيلاء؛ أي: أزالته عن وقاره، وذهب بمعنى توجه، يقال: ذهب إلى قول فلان؛ أي: توجه إليه، وأخذ به، وذهب مذهب فلان: أي: قصد قصده وطريقته، وذهب في الدين مذهبا؛ أي: رأى فيه رأياً، أو أحدث فيه بدعة [2]، والمذهب: الطريقة، والمذهب أيضا المعتقد الذي يذهب إليه صاحبه .

وفي الاصطلاح هو مذهب العالم سواءً كان في العقيدة، أو في الفقه، أو في أصول الفقه، وفي علوم الحديث، أو في اللغة العربية، أو غيره من العلوم الشرعية، وعرِّف المذهب بأنه: "مجوعة الآراء، والأفكار التي يراها، أو يعتقدها إنسان ما، حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية" [3]، وجاء في المعجم الوسيط تعريف المذاهب بأنها: "الآراء، والنظريات العلمية، والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة منسقة" [4]، والمذهب هو مجموعة الآراء والمعتقدات في مجال ديني، أو اجتماعي، أو فلسفي [5].

فالمَذْهَبُ: هو الطريقة، أو القصد، أو الرأي، أو وجهة نظر، أو المعتقد الذي يُذْهبُ إليه، ومثال ذلك:

المذهب الأدبي: وهو جملة من الخصائص، والمبادئ، الأخلاقية، والجمالية، والفكرية تشكل في مجموعها المتناسق لدى شعب من الشعوب، أو لدى مجموعة من الشعوب في فترة معينة من الزمان تيارا يصبغ النتاج الأدبي، والفني بصبغة غالبة

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج 17، ص 1523، مادة "ذهب".

[2] الزبيدي، تاج العروس، ج 02، ص 450، مادة "ذهب".

[3] مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 04، 1420 هج، 2000 م، ج 01، ص 1142.

[4] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 04، 2004 م، ج 01، ص 317.

[5] المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، إخراج واعتناء محمد عثمان، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2001 م، ج 08، ص 271.

تميز ذلك النتاج عما قبله، وما بعده في سياق التطور، ومن ذلك "المذهب الكلاسيكي"، و"الرومنسي"، و"الواقعي"، و"الرمزي" وغيرها.

المذهب المادِّيّ: مذهب فلسفيّ يعتبر المادّة الواقع الوحيد، وأنّها الجوهر الحقيقيّ، وينكر وجود الله، والرُّوح، والعالم الآخر.

مذهب الاحتمال: مذهب يقرِّر أنه من المحال بلوغ اليقين المطلق مع إمكان ترجيح رأي على آخر.

مذهب المَنْفَعة: النظريّة الأخلاقيّة التي تقول إنّ كلّ الأفعال يجب أن توجَّه نحو إحراز القدر الأكبر من السعادة لأكبر عدد من الناس.

مذهب الدِّيمقراطيَّة: نظام يعني حكم الشعب لنفسه، أو على الأصحّ حكم الفقراء، فهو طريقة في الحياة تجعل كلّ شخص يعتقد أن لديه فرصًا متساوية للمشاركة بحرّيّة كاملة في قيم المجتمع.

مَذْهب الجَبْر: مذهب يرى أصحابُه أنّ العباد مُجْبَرون على أفعالهم لا اختيار لهم فيها حيث يسندون الفعل إلى الله تعالى، وهو خلاف القدر الذي هو إسناد فعل العبد إليه لا إلى الله تعالى.

مذهب الوِراثيّة: فرع من علم الأحياء يتناول بالبحث الخصائص الموروثة عند الكائنات الحيّة؛ أي: نقل الوالدين الخصائص التشريحيّة، والوظائفيّة للأولاد.

مذهب التَّفكيكيَّة: مذهب في دراسة الأدب يعتبر كلَّ قراءة للنّص تفسيرًا جديدًا له، واستحالة التوصّل إلى معنى نهائيّ وكامل لأيّ نصّ، والتحرُّر من اعتبار النصّ كائنًا مغلقًا، ومستقلاً بعالمه.

المذهب التَّكعيبيّ: اتِّجاه فنّيّ قوامه التَّعبير عن الأشياء بأشكال هندسيّة بعد إعادة صياغتها حسب رؤية الفنّان فيتحوَّل الرَّسمُ إلى ما يكاد يكون كائنًا جديدًا.

مذهب الدَّاديَّة: مذهب في الفنّ، والأدب انتشر واستهدف الدعوة إلى الحرِّيَّة المُطلقة، والثورة على التقاليد، وقد مهّد الطريقَ أمام السرياليّة وغيرها من الحركات المتطرِّفة.

مذاهب الإسلام أربعة: "الحنفي"، و"المالكي"، و"الشافعي"، و"الحنبلي".

مذهب التّعطيل: الذي ينكر أصحابُه صفات البارئ تعالى .

مذهب التّفاعل: إحدى نظريّات علم النفس المفسِّرة لصلة النفس بالجسم، وتقول بالتأثير المتبادل بين النفس، والجسم المتحدين في التركيب الإضافيّ .

مذهب التّوحيد: القول بإله واحد .

مذهب الحلول: القول بأنّ الله حالٌّ وموجودٌ في كلِّ شيء (في اعتقاد المتصوِّفة).

مذهب الفيدراليّة: نظام سياسيّ يعترف بوجود حكومة مركزيّة للدولة كلّها إلى جانب حكومات إقليميّة أخرى ذات استقلال سياسيّ، فتوزّع قوى الحكومة بين الحكومة المركزيّة والحكومات الإقليميّة .

مذهب المانويّة: نسبة إلى "ماني بن فانك" وُلد بجنوبي بابل نحو سنة 216 م، وادَّعى النبوّة، وهي فرقة غنوصيّة مسيحيّة كانت أخطر البدع التي تعرضت لها المسيحيّة وأطولها عمرًا، وتختلط فيها التعاليمُ المسيحيّة بالتعاليم اليهوديّة، والبوذيّة، والزرادشتيّة، وأهمّ أركانها القول بالثنائيّة.

مذهب المُثْبتة: الذين يُثبتون لله تعالى صفات أزليّة ونقيضهم المعطِّلة وهم المعتزلة ، والمشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق وغير ذلك .

مذهب المحافظة: فلسفة سياسية تفضل تقليص الحكومة وتحديد الأنظمة والتدخل الحكومي في الاقتصاد والنواحي الأخرى للحياة الاجتماعية .

مذهب المساواة: مذهب يهدف إلى المساواة المدنيّة والسِّياسيّة والاجتماعيّة بين النَّاس :- المساواة الاجتماعيَّة – المساواة لا تلِد حَرْبًا – المساواة أساس الإنصاف

مذهب النشوء والارتقاء: نظرية تطور الموجودات على أشكال بسيطة قديمة .

المذهب البيئيّ: منظومة من الأفكار المؤسَّسة على علم البيئة، وهي حركة اجتماعيَّة تدعو إلى الاهتمام بالبيئة الطَّبيعيّة وفلسفة العودة إلى الطَّبيعة .

المذهب التّجريبيّ: مذهب من يقيم المعرفة على ما تدركه الحواسّ وحدها ، وينكر وجود مبادئ فطريَّة في النفس وقوانين صادرة عن العقل، ويقابل المذهب العقليّ .

الرابطة

الرابطة في اللغة هي الصلة، والعلاقة الوثيقة، وأصل كلمة الرابطة تأتي من ربط، يربط ربطاً، رَابِطَة: صِلَة، عَلاَقَة، رَبَطَ: أَوْثَقَ، شَدّ، رَبَطَ: وَصَلَ، فيقال: ربط بين الشيئين: وصل بينهما، وشد، وأوثق، فالرابطة بين الشيئين هي الصلة والعلاقة بينهما، وترابط القوم، تلاحموا، واتّحدوا، وتماسكوا، وبَيْنَهُمَا تَرَابُطٌ عَمِيقٌ [1]؛ أي: اِرْتِبَاطٌ، واِتِّحَادٌ، وتَمَاسُكٌ، ومن ذلك قولنا: يُحَافِظُ الطَالِبُ عَلَى تَرَابُطِ أَفْكَارِهِ؛ أي: عَلَى تَنَاُسِقهَا، تَمَاسُكِهَا .

والرَّابطَةُ: الجماعة يجمَعُهم أمر يشتركون فيه، يقال: رَابطَةُ الأدباء، ورابطة القُرَّاء، ونحو ذلك، والجمع: روابطُ، أما في الفلسفة ما يدل على العلاقة بين الموضوع، والمحمول، ويربط أحدهما بالآخر في الإثبات، أو النفي [2].

ومن ذلك **"الرابطة القلمية"** وهي جمعية أدبية أنشئت في "نيويورك" بواسطة أدباء مُهاجرين سوريين، ولبنانيين كـ "ميخائيل نعيمة"، و"عبد المسيح حداد"، و"جبران خليل جبران"، و"نسيب عريضة"، و"إيليا أبو ماضي"، و"رشيد أيوب"، و"ندرة حداد" وغيرهم، تفككت بمجرد موت "جبران خليل جبران" سنة 1932 م، وقام أعضاءها بنشر الجرائد والصحف العربية في بلاد المهجر ومنها:

- مجلة "الفنون" وتعنى بالأدب وناشرها كان "نسيب عريضة".

---

[1] أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 1429 هج، 2008 م، ج 02، ص 845، مادة "ربط".

[2] جورجي شاهين عطية، معجم المعتمد، إشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 223، مادة "ربط".

- جريدة "السائح" وتعنى بشؤون المهاجرين وناشرها كان "عبد المسيح حداد".
- مجلة "السمير" وناشرها كان "إيليا أبو ماضي" وتعنى بشؤون العرب في أمريكا.

النظرية:

تمثل "النظرية العلمية" أهمية بالغة في البحث العلمي بصفة عامة، وتتحدد على أساسها "هوية" أي علم من العلوم، فالنظرية "*Théorie*" هي التي تحدد موضوع العلم، وتنظم عملياته، وأدواره، واتجاهاته، وبذلك تختلف النظرية عن "المنهج العلمي" الذي يعتبر أساساً واحداً لكل العلوم الطبيعية والإنسانية مع اختلاف الإجراءات، والأدوات باختلاف الظاهرة محل الدراسة، فعلى سبيل المثال تعد "الملاحظة" خطوة أساسية في كل بحث علمي، طبيعي، أو إنساني، ولكن تختلف أدوات الملاحظة، ففي "الكيمياء" يستعين الباحث بـ "المجهر"، وفي علم الاجتماع يستخدم "دليل، أو كراسة الملاحظة" وهكذا.

فالنظريّة تُعرفُ لغةً: بأنّها مصطلح مشتق من الكلمة الثلاثيّة نَظَرَ، ومعناها التأمّل أثناء التفكير بشيء ما، أمّا اصطلاحاً: فتُعرف بقواعد ومبادئ تُستخدمُ لوصفِ شيء ما، سواء أكان علمياً، أم فلسفياً، أم معرفياً، أم أدبياً [1]، وقد تثبتُ هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تساهمُ في بناءِ فكر جديد، فهي دراسة لموضوع معين دراسة عقلانيّة، ومنطقيّة، من أجل استنتاجِ مجموعة من الخُلاصات، والنتائج التي تساهمُ في تعزيز الفكرة الرئيسيّة التي تُبنى عليها النظريّة.

وعليه فالنظرية طائفة من الآراء التي تحاول تفسير الوقائع العلمية، أو الظنية، أو البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع، أو السبب والمسبب [2]، وتعني النظرية في الدراسات الإنسانية التصورات، أو الفروض التي توضح الظواهر الاجتماعية والإعلامية، والتي تأثرت بالتجارب، والأحداث، والمذاهب الفكرية، والبحوث العلمية التطبيقية، والنظرية عبارة عن مجموعة من المفاهيم والتعريفات، والافتراضات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما عن طريق تحديد العلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بتلك الظاهرة، بهدف تفسير تلك الظاهرة، والتنبؤ بها مستقبلاً.

والنظرية لها عدد من المعاني المختلفة باختلاف الفرع التي تستخدم به هذه الكلمة، بشكل عام، تكون النظرية نوعا من التفسير لشرح كيفية حدوث ظاهرة طبيعية، بشرط تحقق حدوث هذه الظاهرة، وعدم وجود نزاع في حدوثها، تأتي الآن النظرية لتشرح آلية حدوث هذه الظواهر، وتكون بشكل عام عرضة للصواب والخطأ، لكن التماسك المنطقي والرياضي للنظرية ثم شرحها لأكبر عدد ممكن من النتائج التجريبية يدعم النظرية، ويعطيها تأكيدا أكثر فأكثر، فالنظرية تنطلق من مسلمات، أو مبادئ متفق عليها، وتكون أساسا لبناء النظرية، وما يترتب عليها من نتائج.

هناك فرق شاسع بين الاستعمال العلمي لكلمة نظرية والاستعمال العام لها، بشكل عام يقصد بكلمة نظرية، رأي، أو فرضية، في هذا المجال لا يتوجب أن تكون النظرية مبنية على حقائق، أما في المجال العلمي تشير النظرية إلى نموذج مقترح لشرح ظاهرة، أو ظواهر معينة بإمكانها التنبؤ بأحداث مستقبلية ويمكن نقدها، ينتج من ذلك أنه في المجال

---

[1] ينظر: عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019 م، ص 09.

[2] عبد الرزاق محمد الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2016 م، ص 05.

العلمي "النظرية" و"الحقيقة" ليسا شيئين متضادين مثلاً: الحقيقة هي أن الأجسام تسقط إلى مركز الكرة الأرضية، والنظرية التي تشرح سبب هذا السقوط هي الجاذبية.

ويتفق كثير من العلماء، والدارسين على أن النظرية تمثل "نسقاً فكرياً متسقاً حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة" [1]، وتعرف بأنها "تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطي" [2]، ويتضمن النسق إطاراً تصورياً ومجموعة مفاهيم وقضايا نظرية توضح العلاقة بين الوقائع وتنظمها بشكل له معنى، إضافة إلى أنها ذات بعد تجريبي يستند الى الواقع ومعطياته قابل للاختبار، كما أنها تنبؤية تساعد على تفهم مستقبل الظواهر، وإن كان من خلال التعميم، كما تعرف بأنها "عبارة عن مجموعة مترابطة من المفاهيم، والتعريفات، والقضايا التي تكون رؤية منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسيرها والتنبؤ بها" [3].

ويستلزم بناء النظرية وفق التعريفات السابقة توفر المقومات الآتية:

1- وجود إطار تصوري، أو مجموعة من المفاهيم تتناول مفهوم النظرية، وتنقسم إلى مفاهيم وصفية، وأخرى علمية .

2- أن تحتوي النظرية على مجموعة من القضايا تبين كل قضية علاقة معينة بين مجموعة من المتغيرات .

3- أن ترتب القضايا التي تتناولها النظرية في نسق استنباطي يبدأ بالمقدمات، وينتهي بالتوصل إلى النتائج، وأن تكون القضايا ذات اتساق منطقي، بمعنى يمكن استنتاج كل قضية من القضية التي تسبقها.

4- أن تفسر النظرية الوقائع التي تشتمل عليها، وتصبح النظرية مؤكدة وقوية كلما فسرت وقائع أكثر.

شروط النظرية: حتى يتم وضع إطار معرفي للنظرية لا بد من توفر مجموعة من الشروط من أهمها:

1- أن تكون مكونات النظرية واضحة، ودقيقة، محددة الألفاظ، والمعاني، والمضامين.

2- أن تعبر النظرية على ما تدل عليه بإيجاز يبين محتواها، وأغراضها، وأهداف كل جزء من أجزائها.

3- أن تشتمل النظرية على معظم الجوانب التي تكون تلك النظرية، وتحللها، وتفسرها قد الإمكان.

4-لابد أن تكون النظرية ذات موضوع، وإطار تفسيري خاص بها بحيث لا تتداخل مع نظرية أخرى تتناول، وتفسر نفس الموضوع، والقضايا .

5- أن تستمد النظرية إطارها المرجعي، والتفسيري من حقائق، وملاحظات واقعية يمكن اختبارها علمياً بشكل يثريها، ويمنحها الخاصية العلمية .

---

[1] نيكولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980 م، ص 99.

[2] إبراهيم أبراش، النظرية السياسية بين التجريد والممارسة، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، فلسطين، ط 01، 2012 م، ص 36.

[3] موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006 م، ص 16.

6- من شروط النظرية الهامة قدرتها على التنبؤ، بحيث لا تقف عند الوصف، والتفسير؛ إنما تتجاوزهما إلى القدرة على التنبؤ .

وظائف النظرية: يمكن إيجاز الوظائف التي تضطلع بها النظرية العلمية على النحو التالي:

1- يعد تحديد هوية العلم، وموضوعاته الرئيسة، وميادينه من أبرز وظائف النظرية العلمية، الذي يترتب عليه تأكيد وإظهار الدور المعرفي التراكمي، وعليه يتحدد ما يجب دراسته، وما هي القضايا التي لم تدرس بعد إضافة إلى ما تم التوصل إليه من نتائج .

2- تعتبر النظرية العلمية نقطة البدء في دراسة الظواهر الاجتماعية، والطبيعية على حدٍ سواء، لأنها تضع للباحث الإطار التصوري لأبعاد، وعلاقات الموضوع الذي يقوم بدراسته، وتحدد له المعطيات، وكيفية تنظيمها، ومن ثم تصنيفها، والعلاقات، والترابطات، والتداخلات فيما بينها؛ أي: أن النظرية تضع للباحث الاجراءات العلمية التي سيتبعها عند القيام ببحثه، وتقدم النظرية عددا كبيراً من المفاهيم التي تثري العلوم، وذلك لأن كل "مفهوم " يتضمن خبرة اجتماعية، وعلمية مميزة، إضافة إلى أنه يعد تلخيصاً لكثير من الحقائق التي تكون النظرية .

3- من الوظائف الهامة للنظرية القيمة العلمية التي تمنحها للبحث فجمع البيانات بالاعتماد على نظرية تدعم المعطيات، وتفسر النتائج أمراً ضرورياً حتى لا يعد البحث ناقصاً، وقاصراً، وعليه فإن العلاقة الجدلية بين النظرية، والبحث العلمي على قدر كبير من الأهمية يجب أن يراعيها الباحث الجاد عند القيام ببحثه.

4- تساعد النظرية على اتجاه الظاهرة مستقبلا، فالتنبؤ يعني الانتقال من المعلوم من الحالات، والوقائع إلى الحالات المشابهة، أو المجهولة.

5- كما يمكن الاستفادة من النظريات العلمية في مجال التطبيق.

تاريخ مفهوم النظريّة: استُخْدِمَ مفهوم النظريّة للمرة الأولى في الفلسفة اليونانيّة للإشارة إلى المُصطلحات، والمفاهيم التي تخالفُ التطبيقات العمليّة الواقعيّة، واعتُبر الفيلسوف اليونانيّ "أرسطو" "*Aristote*" أولَ مَنْ اعتمدَ على تطبيق فكرة النظريّة للتفريق بين الحقائق المُطبقة فعليّاً والنظريات الفكريّة [1]، ثمّ أصبح مصطلح النظريّة من المُصطلحات المعرفيّة التي تُستخدمُ في العديدِ مِن المجالات سواء الفلسفيّة، أم العلميّة أم غيرها، وفي القرن السادس عشر أصبح مفهوم النظريّة أكثر استخداماً للدلالةِ على العديد من أنواع الدراسات التي اعتمدتْ على مصادر ومراجع موثوقة، وقابلة للتحليل والتفسير، والتي مِن الممكن تطبيقها ضمن المجال الخاص بها [2]، وساهمتْ في تحقيقِ إضافة متطورة إلى مجموعة من المجالات الدراسيّة، وهكذا أصبحتْ النظريّات جُزءاً مهماً من الدراسات الإنسانيّة، والعلميّة، والطبيّة، والأدبيّة، والفلسفيّة، والتي دُرّست في العديد من المدارس، والجامعات.

أنواع النظريّات

---

[1] محمد عبد الرحمن مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 02، 1980 م، ص 159.

[2] ينظر: مجلة عالم المعرفة، يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين "الأصول، الحصاد، الآفاق المستقبلية"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 264، ديسمبر، 2000 م، ص 117.

01 – النظريّة الفلسفيّة: وهي أول، وأقدم النظريّات التي ارتبطتْ بِمَفهومِ النظريّة؛ إذ حرصَ الفلاسفة في "العصر اليونانيّ" على ربطِ كافة الموضوعات، والدراسات، والأفكار التي صاغوها بمجموعة من النظريات التي تُقدمُ الدعم لآرائهم الفلسفيّة، وتُحولها إلى حقائق واقعيّة، وهكذا أصبحت أغلب الدراسات في مجال الفلسفة تعتمدُ على مجموعة من النظريّات، مثل: نظريّة نشأة الأرض التي اهتمّ العديد من الفلاسفة بدراستها.

02 – النظريات العلميّة: وهي التي تستخدمُ في أغلبِ مجالات العلوم، وتعتبرُ نظريّة علم الطبيعة مِن أول النظريّات العلمية التي اهتمتْ بدراسةِ مُكوّنات الطبيعة بالاعتمادِ على مجموعة مِن المُلاحظات، والدراسات العلميّة المُحتوية على أبحاث، واكتشافات أدّت إلى ظهورِ مجموعة مِن النظريّات العلميّة في العديد من أنواع العلوم، مثل: النظريات الطبيّة التي تهتمُ بالبحث في الأمراضِ، وطرق علاجها.

03 – النظريات السياسيّة: وهي التي اعتمدتْ على الفكر السياسيّ الذي ظهرَ منذُ عصر النظريّات الفلسفيّة، وتطوّرت في القرن التاسع عشر الميلاديّ، واستمر تطوّرها حتى نهاية القرن العشرين، وتعتمدُ النظريّات السياسيّة على الآراء، والأفكار التي أطلقها عدد من الفلاسفة، والسياسيّين، وأصبحتْ مع الوقت حقائق أدّت إلى تأسيسِ مجموعة من المدارس الفكريّة السياسيّة، والتي أثرت في كافةِ دول العالم تقريباً، ومن الأمثلة على النظريات السياسيّة: "الأفكار الاشتراكيّة"، و"الأفكار الرأسماليّة" بصفتهما من أشهر المجالاتِ الفكريّة التي احتوتْ على نظريّات سياسيّة.

الحلقة:

لعل مفهوم الحلقة يميل أكثر إلى مفهوم المدرسة، فحَلْقَةُ العَالِمِ هي مَجْلِسُ عِلْمِهِ، ويقال أيضا حَلْقَةُ الذِّكْرِ، أو حَلَقَاتُ الذِّكْرِ، أي: مَجْلِسٌ لِذِكْرِ اللَّهِ تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ "رضي الله عنه" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه "صلى الله عليه وسلم": (إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) [1].

ومما صح عنه أيضا ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ "رضي الله عنه" أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ "صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ** يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ **وَيَتَدَارَسُونَهُ** بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) [2]؛ فقول رسول الله "صلى الله عليه وسلم" (**وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ**) "يحيلنا إلى مصطلح المدرسة"؛ وما يؤكد هذا القول قوله "صلى الله عليه وسلم" في ذات الحديث: (**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ**)؛ فالمسجد في زمن الرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم" لم يكن مدرسة فحسب بل كان جامعة تعقد فيها "حلقات العلم والذكر"؛ ففي الصّحيحين عن أبي واقدٍ اللَّيْثِيّ "رضي الله عنه": (أنّ رسولَ الله "صلّى الله عليه وسلّم" بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ "صلّى الله عليه وسلّم"،

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، تح محب الدين الخطيب وآخرون، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط 01، 1400 هج، 1970 م، ج 04، ص 173، حديث رقم 6408.

[2] مسلم، صحيح مسلم، تح نظر محمد الفريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1427 هج، 2006 م، ج 02، ص 1142، حديث رقم 2699.

وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ "صلّى الله عليه وسلّم"، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي **الْحَلْقَةِ** فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ "صلّى الله عليه وسلّم" قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ) [1]، ولعل هذا الحديث أيضا يؤكد تشابه مصطلح الحلقة بمصطلح المدرسة.

ومنه أيضا حَلَقَة دراسيّة؛ أي: مجموعة صغيرة من طلاب الجامعة المتخصّصين منصرفة إلى دراسة موضوع من الموضوعات، ومثلها حَلَقة البحث؛ أي: مجموعة صغيرة من الطَّلبة الخريجين من جامعة، أو مدرسة مُنخرطة في البحث العلميّ، أو الدراسة المكثَّفة تحت إشراف أستاذ معيَّن، وقولنا أيضا: حَلْقة اتِّصال، أو حَلْقة وصل؛ أي ما يصل بين طرفين أو أكثر.

مثلما أشرنا في البداية أن مفهوم الحلقة يميل أكثر إلى مفهوم المدرسة؛ فتجد في كتب المصادر اللغوية واللسانية ذكرا للمدارس اللسانية، فتارة تجد مثلا عبارة "حلقة براغ اللغوية" "*Cercle Linguistique de Prague*" وتارة أخرى "مدرسة براغ اللغوية" "*Ecole linguistique de Prague*"، وذات الشيء "لحلقة جنيف اللغوية" " *Cercle Linguistique de Genève*" أو حلقة "فرديناند دي سوسير" " *Le Cercle du Ferdinand de Saussure*"، أو "حلقة موسكو اللغوية" "*Cercle linguistique de Moscou*"، تجدها في مواضع أخرى "مدرسة جنيف اللغوية"، "*L'école linguistique de Genève*" "و"مدرسة موسكو" " *L'école linguistique de Moscou*"، وذات الشيء بالنسبة " لمدرسة لينين غراد الصوتية" " *L'école phonologique de Léningrad*" .

لعل هذا الكلام عن "الحلقة اللسانية واللغوية" يذكرنا بالفرق الكلامية عند العرب، وبخاصة في طريقة الطرح والتأسيس؛ إذ شهدت الفترة من النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، والنصف الأول من القرن الرابع الهجري، أحداثاً فكرية هامة في الدولة الإسلامية، وازدهاراً للعلوم الإسلامية، واتسمت بحرية الفكر، وأصبح كل ذي رأي يعلن عن رأيه.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. إبراهيم أبراش، النظرية السياسية بين التجريد والممارسة، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، فلسطين، ط 01، 2012 م.
2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 04، 2004 م.
3. إبراهيم ناصر، مقدمة في التربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004 م.
4. أحمد حساني، السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية "مقاربة لسانية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993 م.

[1] البخاري، الجامع الصحيح، ج 01، ص 40، حديث رقم 66.

5. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 1429 هج، 2008 م.
6. آمال موسى وآخرون، من شعراء الإحياء أحمد شوقي، معروف الرصافي، محمد الشاذلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الألكسو، تونس.
7. البخاري، الجامع الصحيح، تح محب الدين الخطيب وآخرون، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط 01، 1400 هج، 1970 م.
8. جورجي شاهين عطية، معجم المعتمد، إشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
9. الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 04، 1990 م.
10. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط 02، 1953 م.
11. خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الامل، إربد، الأردن، ط 03، 1422 هج، 2001 م.
12. الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1413 هج، 1993 م.
13. أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط 01، 1374 هج، 1955 م.
14. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1421 هج، 2000 م.
15. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 07، 1968م.
16. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 03، 1977م.
17. عبد الرزاق محمد الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2016 م.
18. عبد السلام مسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 01، 1981 م.
19. عبد القهار داود العاني، منهج البحث والتحقيق في الدراسات العلمية والإنسانية، دار وحي القلم، دمشق، سوريا، ط 01، 1435 هج، 2014 م.
20. عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 01، 1993 م.
21. عبد الواحد بن علي اللغوي، مراتب النحويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 02، 1430 هج، 2009 م.
22. عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

23. ابن فارس، المقاييس في اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1399 هج، 1979 م.
24. أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1387 هج، 1968 م.
25. مازن الوعر، نحو نظرية للسانيات عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، بيروت، لبنان، ط 01، 1987 م.
26. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 04، 1420 هج، 2000 م.
27. مجلة عالم المعرفة، يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين "الأصول، الحصاد، الآفاق المستقبلية"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 264، ديسمبر، 2000 م.
28. مجلة علامات في النقد، شفيع السيد، من أوراق النقد العربي في القرن الماضي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2004 م، المجلد 14، ج 54.
29. محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001 م.
30. محمد عبد الرحمن مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 02، 1980 م.
31. مسلم، صحيح مسلم، تح نظر محمد الفريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1427 هج، 2006 م.
32. المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، إخراج واعتناء محمد عثمان، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2001 م.
33. ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر.
34. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006 م.
35. نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، الاتباعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 م.
36. نيكولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980 م.
37. هاشم الآملي، جامع الأسرار، ترجمة جواد طباطبائي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2005 م.

المحاضرة الثانية

لسانيات دو سوسير

توطئة:

ما انفكت الظاهرة اللغوية تبسط أمام الفكر البشري صنفين من القضايا، أحدهما نوعي، والآخر مبدئي عام، فأما الصنف الأول فيتمثل في عناصر اللغة باعتبارها نظاما مخصوصا له مكوناته "الصوتية"، و"الصرفية"، و"النحوية"، و"المعجمية"، ولكل هذه الأوجه فرع مختص من فروع الدراسة اللغوية، وهذا الجانب من القضايا نوعي باعتبار أنه متعلق بكل لغة، أما الصنف الثاني فيتصل بالمشاكل المبدئية التي يواجهها الناظر في اللغة من حيث هي ظاهرة بشرية مطلقة.

ويتدرج البحث في هذه المسائل من تحديد الكلام، وضبط خصائصه إلى تحسس نواميسه المحركة له حتى يقارب مشاكل أكثر تجريدا، وأبعد نسبية كقضية أصل اللغة، وعلاقة الكلام بالفكر، وتفاعل اللغة بالحضارة الإنسانية فضلا عن مشكل الدلالة اللغوية ذاتها، وكيف يحدث إدراك العقل لمعاني الألفاظ، وقد أوكل العرف البشري دراسة هذه القضايا إلى الفلاسفة منذ ازدهار الحضارة اليونانية، حتى عُدَّ خوض اللغويين فيها تطرقا منهم للماورائيات.

وقامت اللسانيات المعاصرة فتأسست حسبما يفضي إليه الفحص "الابستمولوجي" – المعرفي – على ركيزتين لا تخلوان من تناقض: تتمثل الأولى في النظر في اللغة من حيث هي ظاهرة بشرية عامة، فإذا باللسانيين يعكفون بموجب ذلك على تحسس نواميس الكلام بقطع النظر عن تجسده النوعي في أي لغة ما، وتتمثل الثانية في السعي إلى إدراك الموضوعية العلمية في تشريح الظاهرة اللغوية، فانتهوا رأسا إلى نبذ المطارحات الماورائية، وعزلوا بذلك فلسفة اللغة عن مباحثهم العامة والخاصة.

فاللسانيات المعاصرة اليوم قد بلغت حد الاكتمال العلمي رغم قِصر المسار الزمني الذي قطعته، والذي يُجْمع رُوادها على الانطلاق به من دروس "فرديناند دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure* ".

التعريف "بسوسير" [1]:

ولد "فرديناند دي سوسير" *Ferdinand de Saussure* في السادس والعشرين من نوفمبر عام 1857 م، "بجنيف" "*Genève*" في "سويسرا" "*Suisse*"، وهو سليل أسرة ذات إنجاز رصين في مجال العلوم الطبيعية، لكن "أدولف بيكتيت" "*Adolphe Pictet* " عالم اللغة السويسري وصديق الأسرة، وجهه وهو في سن مبكرة إلى الدراسة اللسانية، فتعلم "سوسير" "الألمانية"، و"الإنجليزية"، و"اللاتينية"، بالإضافة إلى "الفرنسية"، وعندما بلغ سن الخامسة عشر، أضاف إليهم معرفته "باليونانية"، وقد كتب "لبيكتيت" "مقالا عن اللغات" حاول فيه التوصل لنظام عام للغة، يرجع فيه اللغات

[1] ينظر إلى ترجمة دي سوسير في المراجع الآتية:

دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ومراجعة يوسف المطلبي، مط، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1985 م، ص 03، 04.

Émile Benveniste, Ferdinand de Saussure à l'École des Hautes Études, École pratique des hautes études. 4e section, Sciences historiques et philologiques Vol 97, no 1, 1964, pp. 20-34

Pierre-Yves Testenoire, L'école de Genève vue de la Société de Linguistique de Paris, Histoire Epistémologie Langage, vol. 37, no 2, 2015, p. 53–70

Anamaria Curea, Entre expression et expressivité: l'école linguistique de Genève de 1900 à 1940, ENS Éditions, Lyon, France, 2015, p 377.

جميعا إلى نظام يقوم على حرفين، أو ثلاثة من الحروف الساكنة الأساسية، وعلى الرغم من مقدار التبسيط الضخم الذي يَسِمُ هذه المحاولة، إلا أن "بيكتيت" لم يثبط عزيمة "سوسير"، وإنما شجعه على أن يدرس "السنسكريتية" "*Sanskrit*" – وهي لغة قديمة في "الهند"، وهي لغة طقوسية للهندوسية، والبوذية – وهو ما يزال تلميذا بعد في المدرسة.

وفي عام 1875 م التحق "سوسير" بجامعة "جنيف" لكي يدرس الطبيعة، والكيمياء كما هو التقليد المتبع في عائلته، لكنه لم يمتنع عن دراسة نحو اللغة "اليونانية" و"اللاتينية"، وبعد قضاء سنة في هذه الدراسة، تيقن أن مجاله العملي الصحيح هو دراسة اللغة، وليس شيئا آخر، ومن ثَمَّ أقنع والديه أن يرسلاه إلى جامعة "لايبزج" "*Leipzig*" "بألمانيا"، وقد كانت هذه الجامعة مقرا لحركة عرفت باسم "مدرسة فقهاء اللغة الجدد" "*Les néogrammairiens*"، وهي حركة ذات نزعة تاريخية مقارنة، استفاد منها "سوسير" كثيرا في أفكاره، وآرائه.

قضى "سوسير" في "لايبزج" أربع سنين إلا ثمانية عشر شهرا قضاها في "برلين" "*Berlin*" نشر فيها عام 1878 م مذكرة من أربع مقالات، عن "النظام البدائي لحروف اللين في اللغات الأوروبية والهندية" "*Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indoeuropéennes*" يصل حجمها إلى ثلاثمائة صفحة، وتكمن أهمية البحث في المشكلات المنهجية التي تعوق مجال الدراسات اللغوية، والتي تتسبب في اضطراب، وعدم استقرار نتائج البحث في الحقل اللغوي.

وفي عام 1880 م، أعد "سوسير" أطروحته من أجل الحصول على "درجة الدكتوراه"، وكانت بعنوان: "استخدام حالة الإضافة في اللغة السنسكريتية" "*De l'emploi du génitif absolu en sanskrit*"، وقد حصل عليها بامتياز، ثم رحل "سوسير" في العام نفسه إلى "باريس"، وحقق هناك نجاحا ملحوظا، حيث قام بتدريس كل من اللغة "السنسكريتية"، و"القوطية" – وهي لغة ألمانية منقرضة –، والألمانية الراقية القديمة، وغيرها من اللغات أيضا في "المدرسة العملية للدراسات العليا" "*l'Ecole Pratique des Hautes Etudes*"، بالإضافة إلى نشاطه في "جمعية باريس اللغوية" "*Société de linguistique de Paris*"، مما كان له إسهامه في إنشاء جيل جديد من علماء اللسان الفرنسيين لم يكن موجودا قبل مجيئه.

وفي عام 1891 م عاد "سوسير" إلى "سويسرا" إذ مُنِح في جامعة "جنيف" كرسي الأستاذية للغة السنسكريتية والنحو المقارن، وتزوج وأنجب ولدين، "جاك" "*Jacques de Saussure*" توفي عام 1969 م، و"ريموند" "*Raymond de Saussure*" توفي عام 1971 م، ونادرا ما خرج "سوسير" للسفر، وتناقصت كتابته تدريجيا، وبدا أنه يعيش حالة من العزلة المريحة؛ لكن في عام 1906 م إثر تقاعد زميله "جوزيف وريشيمر" *Joseph Wersheimer* وافق "سوسير" على أن يخلفه في كرسي "الألسنية العامة" "*La chaire de linguistique générale*"، ومن ثَمَّ ألقى ثلاثة مجموعات من المحاضرات كان تاريخها على النحو التالي: 1906-1907 / 1909-1910 / 1910-1911، ولم يجمع "سوسير" هذه المحاضرات في كتاب، ولم ينشرها هو، خاصة مع مرضه في صيف عام 1912 م، ثم وفاته في الثاني والعشرين من فبراير عام 1913 م.

وبعد وفاته شعر طلبته، وزملائه بأهمية تلك المحاضرات، وبما فيها من فكر رصين؛ فعملوا على نشر ما ألقاه من محاضرات في كتاب، وواجه ذلك صعوبة شديدة؛ لكون "سوسير" لم يحتفظ إلا بالقليل من المسودات الخاصة بتلك المحاضرات، ومن ثم لم يكن هناك حل سوى المذكرات التي قيدها الطلبة الذين حضروا له سلاسل محاضراته الثلاث، وكان "سوسير" قد ألف كل مجموعة منها تأليفا جديدا، ووفق خطة مختلفة، وكانت هذه المذكرات تحوي كما هائلا من التكرار، والتعارضات أحيانا، لذا أقدم كل من "شارل بالي" *Charles Bally*، و"ألبرت سيشيهاي" *Albert Sechehaye* زميلا "سوسير" اللذان لم يحضرا المحاضرات بنفسيهما، أقدما على الاجتهاد في أن يؤلفا من كل ذلك عملا موحدا، يحاولا فيه تحقيق بنية مركبة، مع التسليم بأولوية السلسلة الثالثة من المحاضرات، دون إهمال السلسلتين الأخيرتين، وملاحظات "سوسير" القليلة التي سجلها بنفسه، وقد نشرا ذلك بمعاونة "ألبرت ريدلنجر" *Albert Riedlinger* في عام 1916 م تحت عنوان: "محاضرات في الألسنية العامة" "*Cours de linguistique générale*"، وجدير بالذكر أن مذكرات الطلبة نفسها لم تكن متاحة للقراء حتى عام 1967 م [1]، إذ في ذلك الوقت بدأ "رودلف إنجلر" *Rudolf Engler* في نشرها، وتقديمها لجمهور القراء.

محاضرات "سوسير" في " اللسانيات العامة":

إن القضية الجوهرية التي استرعت انتباه "سوسير"، والتي اهتم بها منذ حقبة كبيرة سابقة على محاضراته منذ مذكرته الأولى عن "حروف اللين" عام 1878 م كما تقدم، هي قضية العلمية، والرغبة في الانضباط، والمنهجية، وفي الوصول إلى نتائج دقيقة مستقرة في مجال الدراسات اللغوية، لذا ظل "سوسير" لفترة طويلة – كما يقول هو نفسه في رسالة منه إلى أحد الناشرين – مشتغلا قبل كل شيء بالتصنيف المنطقي للحقائق اللغوية، وبتصنيف وجهات النظر التي تعالج هذه الحقائق، وهو يرى في وجهات النظر هذه نقصا شديدا، لا يتناسب، وما يتسم به الموضوع اللغوي من تنوع، وتباين، ويذكر "سوسير"

[1] جدير بالذكر أن كتاب "دي سوسير" ترجم إلى اليابانية سنة 1928، وإلى الألمانية سنة 1931، وإلى الروسية سنة 1933، وظهرت ترجمته إلى الإسبانية سنة 1945، وإلى الإنجليزية سنة 1959، ثم نقل إلى الإيطالية سنة 1967. ينظر: عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994 م، ص 09.

أما الترجمات العربية لكتاب "دروس في اللسانيات العامة" فكانت متعددة لعل من أهمها:

1. دروس في الألسنية العامة، ترجمة محمد عجينة، ومحمد الشاوش، ومراجعة: صالح القرمادي، دار العربية للكتاب، تونس، 1985 م.
2. 2 علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص: العربي مالك يوسف المطلبي، دار الآفاق، بغداد، العراق، 1985 م.
3. محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986 م "طبعة مصورة عن طبعة بيروت، دار نعمان، 1986 م".
4. محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1987 م.

في هذه الرسالة أن هذه الأوضاع ربما تجبره على تأليف كتاب يشرح فيه لماذا لا يكتسب أي مصطلح معنى محدد في مجال الدراسات اللغوية، وإن كان تأليفه لهذا الكتاب سوف يكون بدون رغبة منه، وبدون حماس أيضا كما يذكر [1].

ولا يتضح من هذه الرسالة ما إذا كان "سوسير" قد نجح فعلا في التوصل إلى حل يقضي على هذه السلبيات الموجودة في مجال الدراسات اللغوية أم لا؛ لذا يرى "جوناثان كولر" *Jonathan Culler*، أن "سوسير" بكل ما توصل إليه من أفكار في محاضراته هذه، لم يكن على قناعة بأنه نجح تماما في حل المشكلات الجوهرية التي تعترض سبيل البحث في الدراسات اللغوية، وإلا كان قد ألف في ذلك كتابا ينشره هو بنفسه؛ لذا ينبه "كولر" إلى ضرورة النظر إلى أفكار "سوسير" في محاضراته، على أنها ليست أكثر من مجرد إيماءات لما يريده هو حقا في مجال "اللسانيات"، وليس كل ما يجب أن يكون فيها [2].

وعودة إلى المحاضرات نفسها، ينبه "سوسير" في بدايتها إلى أنه سوف يتناول فيها "اللسانيات" "*linguistique*" ذاتها، ولكن "اللسانيات" من حيث حقيقتها "*Linguistique propre*"، ومن حيث ما يجب أن يكون فيها، ثم يبدأ في عرض المراحل الثلاث التي مرت بها الدراسة في مجال "اللسانيات"، وما حدث في هذه المراحل من تحولات كبرى متعاقبة، قام بها أولئك الذين يتخذون من "اللغة" هدفا لدراستهم، لكنه يشير إلى أن هذه المراحل على حد سواء تعاني من خلل كبير، برغم أن المرحلة الأخيرة منها تمتلك وعيا بموضع دراستها بعكس ما هو الحال في غيرها.

ويستطرد "سوسير" في عرض هذه المراحل، وفي توضيح الخلل المصاحب لكل واحدة منها، ويمكن تلخيص ذلك على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة "الدراسة النحوية" "*L'étude de la grammaire*"، كما اخترعها "اليونانيون"، وواصلها "الفرنسيون" بعدهم دون تغير فيها، ومشكلة هذه المرحلة أنها تهتم باللغة من منظور معياري؛ أي: أنها تفصل من خلال أسس ظاهرية بين ما هو صواب في اللغة، وما هو غير صواب، لذا لا تمتلك هذه الحركة أية رؤية فلسفية للغة، وإنما تعتمد بشكل أساسي على المنطق، وعلى تقسيماته.

المرحلة الثانية: مرحلة "الحركة الفيلولوجية" "*Mouvement philologique*"، لفقه اللغة الكلاسيكي "*Philologie Classique*"، وهي التي ظهرت مع بداية القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من أن هذه الحركة أصبحت بفضل "فريدريك ولف" *Friedrich Wolf*، و"هاينس فورث" *Hence forth*، لا توجه اهتماما كبيرا لتصحيحات النحو، وعلى الرغم من أنها نظرت إلى النصوص المكتوبة ذاتها، وتناولتها بالبحث والتحليل، عائدة في ذلك إلى حقب زمنية مختلفة، حتى أنها اهتمت بالنقوش، وباللغات المكتوبة بها هذه النقوش [3]، وعلى الرغم أيضا من أن هذه الحركة نجحت في

---

[1] ينظر: ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، ترجمة محمّد خير محمود البقاعي، مراجعة نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م، ص 09.

[2] ينظر: جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة عز الدين اسماعيل، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، مصر، 2000 م، ص 66، 67.

[3] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 03، 2007 م، ص 64.

تقديم عدد لا حصر له من المقالات وثيقة الصلة "باللسانيات "، إلا أنها لم تستطع أن تصل إلى روح "اللسانيات" المطلوبة كما يريدها "سوسير" أن تكون.

المرحلة الثالثة: وهي حركة تقع في "اللسانيات" ذاتها، وإن كانت غير ملحوظة، وهي حركة الدراسات المقارنة بين "اللغات"، وتصنيفها إلى مجموعات من اللغات، كاللغات "الهندو أوربية" "*Langues indo-européennes*" مثلا، لكن هذه الحركة ينتقدها "سوسير" لكونها لا تمتلك منظورا ألسنيا، أو على الأقل هي لا تمتلك منظورا صحيحا، فهي تعتمد بشكل أساسي على الناحية التاريخية فقط في دراستها للغات، وهو ما ينتج عنه وقوعها في خطأ دراسة اللغات في مستوى واحد لكل العصور المتباينة، كما أن هذه الحركة تخفق بشدة في مجال التمييز بين اللغات المتحدثة، والعلامات المرسومة.

ومن أجل تخطي عيوب المراحل السابقة يتساءل "سوسير"، إذا كانت "اللسانيات" هي "دراسة اللغات دراسة علمية" كما يذكر كل من "أدولف هتزفيلد" *Adolphe Hatzfeld*، و"أريسن درمستيتر" *Arsène Darmesteter* و"أونتوني توماس" *Antoine Thomas* في قاموسهم "الدراسة العلمية للغات"، *Dictionnaire de Hatzfeld et Darmesteter et Thomas étude scientifique des langues* " فكيف يمكن تحقيق كلمة "العلمية" هذه ؟، ويجيب: بأن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا بتحديد كل من موضوع "اللسانيات"، وهدفها، ومهمتها، ويستفيض "سوسير" في تحديد هذين المحورين، حتى أن أغلب ما قاله في محاضراته بعد ذلك هو من باب تحديدهما وتوضيحهما، فهو يجعل منهما قضية جوهرية في سبيل تحقيق "العلمية"، ويجعل من تحديدهما والإلمام بهما همًّا أساسيا يحاول تغطيه جميع جوانبه في الدروس اللاحقة من محاضراته.

موضوع وهدف "اللسانيات" كما حددهما "سوسير":

يذكر "سوسير" أن موضوع "اللسانيات" هو "اللغة البشرية" بكل أنواعها المتعددة [1]، وفي كل الفترات، فما من اختيار لفترة دون غيرها، لتميزها بسطوع أدبي، أو شهرة، أو اختيار للهجة دون غيرها، إذ ليس هناك تفضيل لأية لغة، أو لهجة على الأخرى في "اللسانيات"، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من التوثيق لكل العصور، يؤكد "سوسير" على ضرورة تعامل "اللسانيات" مع اللغة المكتوبة، بالاعتماد على "فقه اللغة" في هذا التعامل، وإذا كان ذلك يؤدي إلى تعامل "اللسانيات" مع "اللغة الرسمية"، إلا أنها سوف تنظر لهذه "اللغة الرسمية" على أنها تمثل غطاء، أو نظام سطحي فقط لحقيقة الموضوع، التي هي "اللغة المنطوقة" وحسب.

أما هدف "اللسانيات" من منظور "سوسير" فهو [2]: دراسة اللغات بهدف الوصول إلى:

أولا: تحديد تاريخي لجميع اللغات المعروفة [3]، وإن كان هذا لا يمكن حدوثه إلا بتحديد فترة معينة، ومجموعة محددة من اللغات.

---

[1] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 24.

[2] نفسه، ص 26 وما بعدها.

[3] ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م، ص 22.

ثانيا: وإن كان هذا مختلفا كثيرا عن الأول كما يقول "سوسير"؛ إذ هو يريد أن يأخذ من تاريخ اللغات نفسها، تلك القوانين التي تحكم أغلبها على نحو عام؛ إذ على "اللسانيات" من منظوره أن تعرف القواعد الكلية للعمليات الموجودة في اللغة، وبأسلوب وضعي صارم.

ويضيف "سوسير" إلى هذه الأهداف أهدافا أخرى أكثر تخصصية، منها التعرف على ما هو مشترك بين "اللسانيات" والعلوم الأخرى [1]، لكون ذلك ينعكس إيجابا على "اللسانيات" ذاتها، ويحقق أهم أهدافها الذي هو معرفة "اللسانيات" بنفسها، وتحديد ما يخصها عما يخص غيرها من العلوم الأخرى، وعلى الرغم من أنه يمكن "للسانيات" أن تستفيد من العلوم الأخرى خاصة "علم النفس"، إلا أنها يجب أن تحافظ على بقاء استقلاليتها الخاصة بها عن غيرها من العلوم.

ويلفت "سوسير" النظر إلى أن "اللسانيات"، ظلت لفترة طويلة تعتقد أن ما يمثل جزءا عريضا من هدفها هو التركيز على جميع مظاهر اللغة، لكن "سوسير" يرد على ذلك بأنه خلط بين الفائدة الحقيقية "للسانيات"، وبين الثقافة العامة، "فاللغة" محل اهتمام "اللسانيات" فهي تلعب دورا كبيرا في المجتمع الإنساني، وأحد جوانب أهميتها يرجع لكونها فردية، واجتماعية في حياة البشر، إن "اللغة" هي ما يعطي معنى لكل ما هو غائم، وأغلب المهتمين بها عالجوها من ناحية الصحة والخطأ، ومن منظور "سوسير" فإن كل شخص حاول استخدام وسائله من أجل معرفة ما يحدث في اللغة من عمليات، كان بعيدا جدا عن الصواب؛ لذا فإن أهم ما يعطي "اللسانيات" احترامها، وقيمتها من منظوره، زعمها قدرتها على وضع مجموعة من الأفكار في موضعها الصحيح [2]، مما له أثره على توجيه الباحثين وجهة صحيحة، بعكس ما إذا وضعت هذه الأفكار في موضع خاطئ.

"اللغة" و"اللسان" و"الكلام"

وفي إطار توضيح "سوسير" لبعض الأفكار التي وضعت في موضعها الصحيح بفضل "اللسانيات"، يعرض لتفرقته الجوهرية بين كل من "اللغة" "*Langage*"، و"اللسان" "*Langue*"، و"الكلام" "*Parole*" [3]، وهذه التفرقة كان لها أثر بعيد سواء على "اللسانيات" ذاتها، أو على تعلم اللغات، أو على "البنيوية" "*Structuralisme*" نفسها فيما بعد، خاصة عندما تم التوسع في استخدام هذه التفرقة بالاعتماد على القياس، كما يذكر " ليونارد جاكسون" "*Leonard Jackson*" [4].

ويبدأ "سوسير" حديثه عن تلك النقطة بتوضيح أهمية هذه التفرقة، التي من غيرها لا يمكن التعرف على "الظواهر اللسانية" "*Phénomènes linguistiques*"، ويحدث الكثير من الخلط في مجال الدراسات اللغوية، ومثال ذلك ما

---

[1] حنون مبارك، مدخل للسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1987 م، ص 05.

[2] ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005 م، ص 96.

[3] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 26 وما بعدها.

[4] ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001 م، ص 80.

حدث من تركيز في السابق على "الجهاز الصوتي" "*Appareil vocal*"، ويشير "سوسير" إلى أن ذلك الاهتمام كان يقتضي اهتماما موازيا "بالكلمة" على "المستوى السمعي"، لكن حتى لو حدث ذلك، فإن الاهتمام الموجه "للكلمة" هنا، يظل أيضا اهتماما منصبا فقط على النواحي المادية الخاصة بها [1]، وذلك يخالف ما يريده "سوسير"؛ إذ هو يرغب في النظر إلى "الكلمة" على أنها اقتران بين "فكرة" "*Idée*"، و"علامة صوتية" "*Signe vocal*" [2].

ويعود "سوسير" إلى هذين العنصرين ويشرحهما شرحا مفصلا تحت عنوان "الدال" "*Signifiant*"، و"المدلول" "*Signifié*" [3]، وكذلك يرغب "سوسير" في معاملة "اللغة" على أنها تجَمُّع لمفردات مركبة معا، وليس لكونها "كيان متجانس" "*Entité homogène*"، لكن تحقيق هذه النظرة عند إجراء البحث الفعلي في اللغة ليس بالأمر السهل؛ إذ يمكن أن يحدث الكثير من الخلط، والتشويش بين ما هو تابع "للكلام"، وبين ما هو تابع "للغة".

فكيف يمكن التغلب على ذلك بحيث يمكن تجنب هذا التشويش؟

هنا يقدم "سوسير" حله الذي يتبناه؛ فيوضح أنه يرى أن في كل فرد توجد "قدرة" تسمى: "قدرة إنتاج اللغة" "*La capacité de production de langue Articulée*" [4]، وهي "قدرة" متاحة لنا جميعا في حالة أولية، من خلال الإمكانيات العضوية المزود بها الجسم، لكن هذه "القدرة" لا يمكن استعمالها فعليا، وتحقيق إمكانياتها المادية، ما لم يغذيها شيء آخر من الخارج؛ أي: من خارج الفرد نفسه، هذا الشيء يكتسب الفرد براعته فيه، ويتقدم في تعلمه من خلال جهوده مع نظرائه في مجتمعه، وهذا الشيء هو "اللغة"، وهي تعني هنا "نظام اللغة"، وتَمَثُّل الفرد لهذا "النظام" هو ما يتيح له إمكانية استخدام تلك "القدرة" في التعبير عن مقاصده وأغراضه، وأفكاره الخاصة، وهذا الاستخدام "للغة"، وممارستها من قبل الفرد هو ما يطلق عليه "الكلام".

وهذان التمييزان بين "اللغة" كقواعد، ونسق، وبين استخدام الفرد لهذه القواعد "الكلام"، يقعان أساسا داخل المقدرة البشرية العامة على التحدث باللغات، تلك المقدرة التي أنتجت "اللغة"، ومع اختلاف المجتمعات، والأماكن الجغرافية؛ أنتجت العديد من "اللغات" المختلفة، التي ينقل بها متحدثوها معانيهم المرادة منهم إلى الآخرين، وهذه المقدرة البشرية العامة بما أنتجته من "لغات" مختلفة، ومتنوعة، هي ما يطلق عليها "سوسير" مصطلح "اللغات".

ويجعل "سوسير" مهمة "اللساني" هي البحث في "اللغة" ودراستها، وليس البحث في "الكلام"، ومن ثم يستفيض في توضيح، وذكر خصائص "اللغة"، التي تعين، وتساعد "اللساني" على البحث فيها بدقة ووضوح؛ فيذكر أن "اللغة"

---

[1] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ودار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط 01، 1997 م، ص 22.

[2] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 43 .

[3] نفسه، ص 84 وما بعدها .

[4] نفسه، ص 90.

اجتماعية، فهي "منتج اجتماعي" "*Produit social*" بالضرورة [1]؛ بمعنى أنها ليست من صنع فرد، وإنما هي في الحقيقة تعود إلى المجتمع كله، إذ يسهم في إنتاج "اللغة" جميع أفراد هذا المجتمع، فإذا ما استطعنا استحضار كل ما هو كامن في عقول جميع أفراد هذا المجتمع، حتى وهم نائمون، نكون قد حصلنا على "اللغة" الخاصة بهم كما يقول، ومن ثم فإن مثار اهتمام الدراسة اللسانية هي "الخبرة المترسبة" في عقول جميع أفراد المجتمع.

وفي مقابل ذلك، فإن من خصائص "الكلام" أنه فردي [2]، فهو يعود إلى الفرد الذي ينشئه، وإن كان الفرد ينشئ "كلامه" من خلال ما تحدده له "اللغة" من قواعد ونسق، وبما يختار هو منها من بدائل متاحة له فيها، ويعود "سوسير" ويشرح في هذا الصدد فكرته حول "علاقات التراكيب" *Syntagmatique* و"علاقات الاقتران" "*Associatif*" فيما بعد، ولكن على الرغم من ذلك، فإن هناك علاقة متبادلة بين "اللغة" و"الكلام"، يشير إليها "سوسير" ويؤكد على أهميتها، وهي علاقة ارتباط وجود أحدهما بالآخر، إذ كما يعلق "فيليب وينر" "*Philip Paul Wiener*" على رأي "سوسير" حول هذه العلاقة فيقول: "بدون "اللغة" يصبح "الكلام" مجرد تفوه صرف ليس له معنى أو دلالة، وبدون "الكلام" تصبح "اللغة" شيئا مجردا، ونظاما فارغا ليس له فائدة" [3].

وفي الواقع منظور "سوسير" هنا يختلف كثيرا عما كان شائعا عند علماء اللغة السابقين، بل وانتقد مرحلة الدراسة النحوية لكون علمائها ركزوا على النواحي المعيارية، وجعلوا من دراساتهم "دراسة توجيهية" "*Prescriptif*"، تهدف إلى توجيه المتعلمين إلى تعلم "اللغة المثالية الصحيحة" "*Langue standard*" كما يجب أن تكون، وقد انتقد عليهم "سوسير" ذلك، وانتقد عدم امتلاكهم منظورا فلسفيا يُقَوِّمُون به دراساتهم، أما "سوسير" فيتوجه توجها آخر يخالف ذلك، هذا التوجه هو الدراسة من منظور "الوصف" "*Descriptif*"؛ أي: وصف "اللغة" من خلال مظاهرها من أجل التعرف عليها، وليس من أجل إصدار أحكام معيارية، وتوجيهية للمتعلمين [4]، وقد كان لتغير المنظور هذا كبير الأثر في تقدم الدراسات اللغوية، وتقدم الدراسات التي تعمل في الحقول الثقافية، والاجتماعية بعامة.

"علاقات الاقتران" و"علاقات التراكيب"

يحاول "سوسير" أن يشرح كيفية تأليف "الكلام"، وذلك من خلال توضيح العلاقات التي يقيمها الفرد بين الكلمات عند محاولة تأليفه "للكلام"، ومن ثم يرى "سوسير" أن العقل البشري يقيم نوعين من العلاقات بين "الكلمات"، **النوع الأول**: علاقات خارج "الكلام" نفسه [5]، وهي علاقات تنشأ في الذاكرة بين "الكلمات" التي تنتمي إلى مجموعات

---

[1] ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م، ص 54، وينظر: دي سوسير، علم اللغة العام، ص 214 .

[2] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 38 .

[3] *Philip P.Wiener, The Dictionary of the History of Ideas, Structuralism, University of Virginia Library, USA, 1973, Volume 4, p.323-324.*

[4] ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ط 02، 1996 م، ص 09.

[5] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 40 .

مختلفة، أو متتاليات مختلفة، أو فئات مختلفة، لكي تدخل في علاقات تنوع، داخل الفئة الواحدة، وهذه هي ما يطلق عليها "سوسير" "علاقات الاقتران" "*Relations Associatives* "

أما النوع الثاني من العلاقات: فهي علاقات توجد داخل الكلام نفسه [1]؛ إذ تصبح الكلمات هنا خاضعة لنوع من العلاقات يختلف عن النوع الأول، لكنه نوع يتحكم في "الكلمات" من خلال ما يفرضه الترابط الحادث بينها، وهذا النوع من العلاقات يطلق عليه "سوسير" "علاقات التراكيب" "*Relations Syntagmatiques*"

ويوضح "سوسير" أنه عند الحديث عن معنى الكلمة، نعود إلى النوع الثاني من العلاقات "علاقات التراكيب"؛ إذ في هذا النوع نجد هناك وحدات مرتبطة معا، ضمن نظام محدد، لكن عند الحديث عن النوع الأول من هذه العلاقات "علاقات الاقتران"، لا نجد أية وحدات مرتبطة معا، ولا أية ترتيب يحكم تجمع هذه الوحدات الموجودة في تلك العلاقات، ومن ثم يغدو البحث فيها غير مفيد، وعليه يرى ضرورة توجه البحث اللساني إلى النوع الثاني من هذه العلاقات، أي: إلى "علاقات التراكيب" .

وبمرور الوقت، تغير مصطلح "سوسير" الأساسي الذي استخدمه، والذي يعني "علاقات الاقتران"، ليتحول بعده إلى مصطلح آخر هو: "علاقات الاستبدال" "*Relations Paradigmatiques*"، ويرى "جاكسون" أنه هناك ضرورة للتنبيه بأن "سوسير" لم يستخدم أبدا مصطلح "علاقات الاستبدال"؛ وذلك لأنه يرى أن مصطلح "علاقات الاقتران"، أكثر اتساعا وأفضل بكثير في التعبير عن فحواه، من مصطلح "علاقات الاستبدال"، الذي استخدم في "اللسانيات" لاحقا، وصار ينسب إلى "سوسير" بكثرة، سواء في الشروح الكثيرة التي تتناوله، أو في وجهات النظر التي تتعارض معه وتنقضه [2].

"الكلمة"، و"النظام"، و"القيمة"

بعد شرح "سوسير" "علاقات الاقتران" و"علاقات التراكيب" يخلص إلى أنه يجب توضيح أن في هذه العلاقات – سواء الأولى أو الثانية –، يجب النظر إلى "الكلمة" "*Terme*" على أنها "عضو" في نظام، تترابط فيه مع غيرها من "الكلمات" التي هي أعضاء أيضا في نفس هذا النظام، "فسوسير" يشدد على ضرورة النظر إلى "الكلمات" على أنها أجزاء في "نظام" "*système*"، ويؤكد على ضرورة عدم البدء بالكلمة من أجل الوقوف على النظام ذاته، وذلك لكونه يعطي إيحاء بأن الكلمة تمتلك "قيمة" "*valeur*" في نفسها [3]، وهذا ليس صحيح، إذ القيمة التي تكتسبها الكلمة تكتسبها من خلال دخولها في علاقة مع غيرها من الكلمات، وعليه فإنه يجب البدء من النظام نفسه، يجب البدء من ذلك "الكل المترابط"، فالكلمة في الحقيقة لا تمتلك أي معنى في ذاتها، ودليل ذلك أنها تتخذ أكثر من معنى في سياقات متعددة.

---

[1] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 41 .

[2] ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 90.

[3] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 131 .

ويشير "سوسير" إلى أن مصطلح "القيمة"، غالبا ما ينظر البعض إليه على أنه مرادف لمصطلح "المعنى" "*Sens*"، وهو يرى أن في ذلك بعض الغموض، والإرباك، ومن ثم يحاول توضيحه فيشير إلى أن "القيمة" هي عنصر في "المعنى"، لكن لا يجب النظر إلى "المعنى" على أنه أي شيء آخر بخلاف "القيمة"، أي على أنه يتواجد بذاته، دون ما تقتضيه "القيمة" من دخول الكلمة في علاقات تسفر عن تحديد معنى "الكلمة" [1]؛ ويشعر "سوسير" أن كلامه بهذا الشكل لا يؤدي المطلوب منه، ومن ثم يعرض للفارق بين رؤيته "للمعنى"، وبين الرؤية التقليدية السابقة له، إذ الرؤية التقليدية للمعنى تراه كامن في "الكلمة" نفسها، ومن ثم يصبح "المعنى" طبقا لهذه الرؤية نظيرا "للصورة السمعية" المنطوقة، أما رؤيته هو فتقوم على أن "القيمة" الخاصة بالكلمة تتحدد على أساس علاقات هذه الكلمة بغيرها في السياقات المختلفة، إذ هو يحذر من النظر إلى الكلمة على أساس أنها عنصر جوهري منفصل يمتلك معنى في ذاته، وإنما يجب دائما النظر إليها على أنها عنصر في "نظام"، وهي نقطة يلح عليها "سوسير" كثيرا في محاضراته هنا، فهو يؤكد على أن العامل الحاسم في تحديد معنى "الكلمة"، يرجع إلى "علاقاتها" بالكلمات الأخرى المجاورة لها في السياق الموجودة فيه، يقول "سوسير": "النظام يقود إلى المفردة، والمفردة تقود إلى القيمة، وهكذا ترى أن المعنى يتحدد بالحاشية التي تقع حول المفردة" [2].

وفي هذا السياق، يذكر "سوسير" أن أفكارنا ما هي في الحقيقة إلا جزء من "اللغة"، إذ فكرنا بدون "اللغة" يصبح "هلاما" ليس له معالم، وعلى هذا يخلص "سوسير" إلى إقرار أنه ما من أفكار موجودة، أو محددة من خلال نفسها، أو حتى من خلال "الأفكار" السابقة عليها، إذ لا يمكن تحديد أية "أفكار" من خلال "الأفكار" نفسها، وكذلك فما من "علامات" "*Signes*" موجودة لهذه "الأفكار"، إذ هو يرى أنه لا يوجد أبدا "فكرة"، أو تفكير سابق على وجود "العلامة اللسانية" "*Signe linguistique*".

وينبه "سوسير" عند نهاية حديثه عن "القيمة"؛ إلى أن "القيمة" كانت ستصبح غائبة المدى، ولا تحديد لها، لو لم تكن "اعتباطية" "*Arbitraire*"، إذ هذه الاعتباطية تضيق من الحدود المطلقة للقيمة، وعلى هذا فإن "القيمة" التي تتحدد في أي سياق، لا ترجع إلى أي اتفاق، أو ارتباط طبيعي بينها، وبين المعنى التي تعود إليه [3].

"العلامة"، و"الدال"، و"المدلول"

يرى "سوسير" أن "الكلمة" هي ذلك العضو الذي يدخل في "نظام" تتحدد من خلاله "القيمة" الممنوحة لها، تتكون في الحقيقة من عنصرين أساسيين، الأول هو "المفهوم" "*Concept*"، أما العنصر الآخر فهو "الصورة السمعية" "*image acoustique*" [4]، وينبه "سوسير" إلى أن "الصورة السمعية" هنا ليس المقصود بها "الجانب المادي للصوت" "*Son physique*"، أي: ليس ذلك الصوت الناشئ عن تحريك الفم، أو الذي تسمعه الأذن، وإنما هو "الأثر النفسي"

[1] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 134 .

[2] نفسه، ص 131 .

[3] نفسه، ص 139 .

[4] نفسه، ص 41 .

"*Impression psychologique*" الذي يتركه الصوت فينا، فمثلا عندما يتحدث المرء مع نفسه [1]، كأن يستعيد قطعة شعرية في ذاكرته مثلا، فإن الفرد هنا يتحدث مع نفسه دون أن يحرك شفتيه، أو لسانه؛ أي: دون أن يحدث صوتا من الناحية المادية، لكنه يتحدث مع نفسه من خلال "الأثر النفسي" الذي يتركه الصوت في ذهنه، تلك هي "الصورة السمعية" التي يقصدها "سوسير".

وكل من "المفهوم" و"الصورة السمعية" يرتبطان معا بشكل وثيق حتى أن أحدهم يستحضر الآخر في ذهن الفرد، فإذا ما أخذنا مثلا مفهوما كـ "الشجرة"، سوف نجد أن له العديد من "الصور السمعية" المختلفة في اللغات المختلفة، وعند أفراد أحد هذه اللغات، فإن "الصورة السمعية" المعبر بها عن المفهوم "شجرة" فيها، تستحضر عندهم ذلك المفهوم "شجرة"، بينما لدى أفراد لغة أخرى تستحضر عندهم "صورة سمعية" أخرى لهذا المفهوم [2].

ويطلق "سوسير" على "المفهوم" مصطلح "المدلول" "*Signifié*"، ويطلق على "الصورة الصوتية" المقترنة بهذا المفهوم مصطلح: "الدال" "*Signifiant*"، وهما الشقان اللذان تتكون منهما "العلامة" "*Signe*"، أما الشيء نفسه كما هو في الواقع، إذ تحدث "سوسير" كما هو واضح هنا عن "المفهوم" وليس عن الشيء نفسه، فهو يتحدث عن مفهوم /الشجرة/ وليس "الشجرة" نفسها، أما تلك الموجودة في الواقع، فإن "سوسير" يطلق عليها مصطلح "المرجع" "*Référent*".

ويمضي "سوسير" بعد ذلك في تحديد طبيعة "العلامة"، فيذكر أنها "اعتباطية" "*Arbitraire*" تماما [3]، بمعنى أن الترابط الذي يحدث بين "الدال" و"المدلول"، لا يحدث وفقا لأية معايير أو الزامات، وإنما يحدث بطريقة "اعتباطية" تماما، فمثلا: ما من مبرر معين يجعل المفهوم "شجرة" – المدلول – يعبر عنه في "اللغة العربية" بالدال "ش.ج.ر.ة"، وأكبر دليل على ذلك أنه يعبر عنها بدال آخر في اللغات الأخرى، كـ *TREE* في اللغة الإنجليزية، و *ARBRE* في الفرنسية وهكذا.

ويجيب "سوسير" على من يعترض على مبدأ "الاعتباطية"، بوجود أصوات تختار لكونها تبدو تقليدا للصوت المختار، كآهات الفرح، أو الحزن، أو الدهشة فهي تقريبا متشابهة في كل اللغات، ويجيب "سوسير" على ذلك بأنه على الرغم من كون هذه الحالات قليلة، إلا أنها أيضا تحوي جوانب "اعتباطية"، فهي لا تعدو أن تكون اختيارا لمحاكاة تقريبية شبه متفق عليها بين "اللغات"، لكنها ما إن تقحم في "لغة" ما، حتى تخضع لها صوتيا، وصرفيا، كما تخضع المفردات الأخرى لها [4].

ومبدأ "الاعتباطية" يحتل مكانة خاصة في تفكير "سوسير"، إلى درجة أنه ينبه إلى أن أهمية مبدأ "اعتباطية" العلامة ربما لا تتضح من الوهلة الأولى، لكن إذا كانت "العلامة" في أساسها "اعتباطية" وليس هناك ما يحدد إلحاق "دال" معين بـ

---

[1] ينظر: صفية مطهري، الدلالة الايحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003 م، ص 40.

[2] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 84 .

[3] نفسه، ص 86 .

[4] نفسه، ص 85 .

"مدلول" معين، فما الذي يتحدد به "الدال" و"المدلول" ويمنع من تشوشهما [1]، وهنا يجيب "سوسير" بأن العامل الوحيد الذي يمنع تداخل، وتشوش "الدال" و"المدلول" هو "الاختلاف" "*Différence*"؛ أي: اختلاف كل واحد منهما عن الآخر، يقول "سوسير": "سواء كنت تتحدث عن "المعاني" أو عن عناصر "الدال" و"المدلول" فإنه لا يوجد إلا "الاختلاف" فقط، ففي الواقع لا يوجد "علامات"، وإنما يوجد فقط "اختلاف" بين "العلامات".

وفي هذا الشأن كثيرا ما يشار إلى تقسيم آخر للعلامات، وهو تقسيم "تشارلز سندرس بيرس" *Charles Sanders Peirce*، وهو لا يقيم تقسيمه للعلامات على أساس "الاعتباطية" كما هو الحال عند "سوسير"، وإنما يقسم العلامات إلى ثلاثة أنواع هي "الأيقونة" "*Icône*"، و"المؤشر" "*Index*"، و"الرمز" "*symbole*"، ويعرف كل منهما على النحو التالي [2]:

"الأيقونة" "*Icône*": هي العلامة التي تشير إلى الموضوع التي تعبر عنها عبر الطبيعة الذاتية للعلامة فقط، وتمتلك العلامة هذه الطبيعة سواء وجدت الموضوع أم لا، صحيح أن الأيقونة لا تقوم بدورها ما لم يكن هناك موضوع فعلا، وليس لهذا أدنى علاقة بطبيعتها من حيث هي علامة. وسواء كان الشيء نوعية، أو كائنا موجودا، أو عرفا، فإن هذا الشيء يكون أيقونا لشبيهه عندما يستخدم كعلامة له.

فالإيقونة إشارة تحتفظ بخصائصها المعنوية حتى لو لم يكن مرجعها موجودا، في حين أن الرمز يفقد صفته الدلالية إذا فقد تفسيره، كما هو الحال في الجملة العادية التي إن لم تحمل معنى، فلأننا نعطيها هذا المعنى، فالأيقونة تقوم على علاقة المشابهة، إنها تعبر عن موضوعها عبر نوع من التماثل بين الدال وموضوعه، ويتعلق الأمر في الحقيقة بمفهوم عام، لأن كل شبه بين علامة وموضوعها يمكن أن يكون بالضرورة كافيا للحديث عن علاقة أيقونية، وهكذا فكل شيء أيا كان، شخصا، أو شيئا، أو وضعية يمكنه أن يكون أيقونة، ما دام فيه علاقة شبه وتماثل وما دام هذا الشيء ذاته قد استخدم علامة.

صورة الوجه (رسما أو نحتا) تشير إلى الشخص الذي تمثل تلك الصورة صورة وجهه ليس بأحد الأعراف العشوائية، وإنما بالشبه .

أما "المؤشر" "*Index*": فهو علامة يشير إلى الموضوع الذي عبر عن التأثر الحقيقي بذلك الموضوع، فهو لا يمكن أن يكون، إذن، العلامة النوعية لأن النوعية ماهية مستقلة عن أي شيء آخر، وبما أن "المؤشر" يتأثر بالموضوع، فالمؤشر يتضمن، إذن، نوعا من الأيقونة مع أنه أيقونة من نوع خاص، فليست أوجه الشبه فقط – حتى بصفتها مولّدة للعلامة – هي التي تجعل من "المؤشر" علامة، وإنما التعديل الفعلي الصادر عن الموضوع هو الذي يجعل من المؤشر علامة.

"فالمؤشر" هو علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير عليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع، فالغيوم المكثفة مثلا تدل على المطر، وارتفاع درجة الحرارة تدل على المرض وهكذا.

---

[1] ينظر: رومان جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2002 م، ص 32.

[2] *C.S. Pierce, Ecrits sur le Signe, Le Seuil, Paris, FRANCE, 1978, p121.*

أما "الرمز" "*symbole*": فهو علامة تشير إلى الموضوع الذي يعبر عنه عبر عرف معين، غالبا ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعه؛ فالرمز، إذن، نمط عام أو عرف، أي: أنه العلامة العرفية، ولهذا فهو يتصرف عبر نسخة مطابقة، وهو ليس عاما في ذاته فحسب، وإنما الموضوع الذي يشير إليه يتميز بطبيعة عامة أيضا، وهو الإشارة التي تقود إلى الشيء الذي تدل عليه بفعل قانون يتكون عادة من تداع عام للأفكار، وتحدد ترجمة الرمز بالرجوع على هذا الشيء [1].

و"العلامة الرمز" هي "علامة مجازية" لشيء هو في الواقع لا ارتباط له بالشيء المرموز إليه، فمثلا: العلامة المجازية "للميزان" تدل على الفكرة المجردة للعدالة.

ويرى "جوناثان كولر" "*Jonathan Culler*" أن هذا التقسيم للعلامات، بشقيه الأول والثاني غير مفيد للبحث في المجالات الثقافية، وإن كانت كلها تصر على أن "العلامة" هي في النهاية، "شكل" يدل و"معنى" يُدَل عليه، إلا أن القسم الثالث من هذا التقسيم حيث العلاقة بين "الدال" و"المدلول" علاقة "عرفية" بتعبير "بيرس"، ويرى "كولر" من منظوره أن مصطلح "عرفية" مساو لمصطلح "اعتباطية" عند "سوسير"؛ ذلك لأن هذا النوع من العلامات يحث على دراسة نظام الأعراف الذي تخضع له وتنتج المعنى من خلاله، ولا يمكن شرح هذه العلامات إلا عن طريق دراسة هذا النظام وإعادة بنائه، وبالتالي لا يرى "كولر" أن هذا التقسيم يتعارض مع تقسيم "سوسير"، وإنما هو تأكيد ودليل على صواب رؤية "سوسير" للعلامة اللسانية [2].

وفي الواقع رؤية "سوسير" حول "العلامة" و"اعتباطيتها"، تواجه الكثير من الاعتراضات، منها الإحساس الذي يتسرب إلى المرء بأن "العلامات" بها شيء طبيعي من "المفهوم" الذي تعبر عنه، كالإيحاء بأن هناك ما هو كبير وضخم في كلمة "فيل"، وإن كان يمكن الرد على ذلك بأنه ربما يرجع لكوننا نفكر عمليا بهذه العلامات طوال الوقت، مما يعزز العلاقة بين "الدال" و"المدلول"، حتى تبدو وكأنها علاقة طبيعية تماما، لكن مبدأ "الاختلاف" الصرف الذي يستنتجه "سوسير" من "اعتباطية" العلامات هو ما يثير القلق بشدة في الحقيقة، ذلك أن إقرار كون العلامات لا تتحدد قيمتها إلا بكونها تخالف كل العلامات الأخرى، يؤدي إلى الكثير من الخلط والتشويش عند محاولة تعريف كلمة ما، حتى لو كانت هذه الكلمة بسيطة، ككلمة "الخالة" مثلا، إذ طبقا لمنطق "سوسير" سنضطر لتعريفها بأنها، كما يذكر "جاكسون": "ليس أبا، ليس أما، ليس أختا، ليس فيلا، ليس نمرا، ليس... ليس...." إلى أن يتم استنفاد جميع الخيارات اللغوية الأخرى المتاحة، وبهذا نكون ساعتها قد عرفنا كلمة "خالة"، وواضح أن الوقوف على تعريف علامة ما بهذه الطريقة هو أمر مستحيل منطقيا [3].

---

[1] بيرس، تصنيف العلامات، ترجمة فريال جبوري غزول، دار الياس العصرية، القاهرة، مصر، 1986 م، ص 142.

[2] ينظر: جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ص 166.

[3] ينظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 84، وص 316، وص 317.

وفي نهاية الحديث عن "العلامة" و"الدال" و"المدلول" عند "سوسير"، ينبغي الإشارة إلى ملاحظة هامة، وهي أن "سوسير" هنا لا يبدي أي اهتمام "بالمعنى" كما هو في الواقع، فهو غير مهتم بكيفية تكونه، أو بكيفية إدراكه، أو غير ذلك من الأمور التي يتناولها الفلاسفة عادة عند التعامل مع "المعنى"، وإنما اهتمامه الأساسي موجه إلى "اللغة" بوصفها نظاما وقواعدا، ومن ثم يسعى إلى تحديد هذا "النظام" ويسعى إلى الكشف عن هذه "القواعد"، دون توجيه أي اهتمام إلى كشف أو تحديد "المعنى" الذي سوف يعمل هذا "النظام" وهذه "القواعد" على نقله وإنتاجه في "كلام" أو"كتابة" الأفراد المتحدثين "باللغة".

"التزامني"، و"التعاقبي"

يشير "سوسير" إلى أن البحث اللساني قد تجاهل لفترة طويلة البحث في اللغات في حالاتها السكونية "*États Statique*"، وقد كان هذا النوع من البحث سائدا منذ ألاف السنين من قبل، ثم أهمل منذ القرن التاسع عشر، إذ عمد فقهاء اللغة في تلك الفترة إلى دراسة النصوص المكتوبة بلغات ميتة، بهدف اقتفاء أثر تاريخ اللغات، وتحديد ما طرأ عليها من تغير، خاصة تلك التغيرات التي حدثت في النواحي الصوتية، دون إهمال التغيرات التي حدثت في القواعد، والمفردات [1]، وكان من نتيجة دراساتهم "التعاقبية" "*Diachronique*" تلك ما توصلوا إليه من رسم شجرة عائلة تجمع بين لغات مثل: "الفرنسية"، والإسبانية"، و"الإيطالية"، كلغات مشتقة من اللاتينية، وشجرة أخرى تجمع بين "الإنجليزية"، و"الهولندية"، و"الألمانية"، كلغات لها سلف جرماني، ثم أرجعوا الشجرتين إلى سلف "هندو – أوروبي" أصلي، رأوا أنه ربما كان متحدثا في "المجر"، أو "أوكرانيا"، أو "إيران" منذ ألاف السنين قبل ذلك [2].

وهذا البحث لا يؤدي الغرض المطلوب منه من وجهة نظر "سوسير"، فهو يرى أنه على الرغم من الجهد الضخم المبذول فيه عند استقصاء النواحي التاريخية والتطورية التي حدثت في "لغة" ما من "اللغات" المختلفة، إلا أنه غير كاف أبدا للوقوف على "العلامات" وتحديدها في "لغة" ما، دون دراسة هذه "اللغة" دراسة "تزامنية" "*Synchronique*"، ومرد ذلك أن "العلامات" على الرغم من كونها "اعتباطية"؛ أي: أنها تخضع للتاريخ في تطورها وتغيرها، إلا أنه نظرا "لاعتباطيتها" هذه لا يمكن تحديدها ومعرفتها معرفة صحيحة، في فترة زمنية محددة، إلا بالنظر إلى علاقاتها بالعلامات الأخرى، في تلك الفترة، ودراسة هذه العلاقات دراسة "تزامنية"، تهدف إلى الكشف عنها وتحديدها، وليس إلى معرفة تطوراتها وتغيراتها.

و يرى "سوسير" أن الدراسة "التزامنية" التي تعمد إلى الوقوف على العلاقات والخصائص التي تحكم "لغة" ما من "اللغات" في فترة زمنية معينة، تعين وتساعد أيضا في القيام بدراسات "تعاقبية" تهتم بالجوانب التطورية في "اللغات" المختلفة، وعلى نحو أكثر علمية أيضا؛ وذلك لأنه يرى أن "النظام" الذي تخضع له "لغة" من "اللغات" لا يتغير كله تماما في تطوره التاريخي؛ أي: أن ليس "نظاما" محددا قد أنتج "نظاما" آخر، وإنما ما حدث هو أن بعض عناصر هذا "النظام" السابق حدث فيها تغير، والتغير في بعض عناصر "النظام" كفيل بأن يخرج إلى الوجود "نظاما" آخر مختلفا عنه، وبالتالي فإن الوقوف على "النظام" في حالته السابقة، وتحديده تحديدا علميا دقيقا، من خلال دراسته دراسة "تزامنية"، يؤدي إلى التعرف بشكل

[1] دي سوسير، علم اللغة العام، ص 109 .

[2] ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 82، 83.

أيسر على العناصر التي تغيرت وأنتجت "النظام" التالي له، والتي تتضح بسهولة أيضا عند دراسة ذلك "النظام" التالي دراسة "تزامنية"، وهكذا فإنه من خلال القيام بالعديد من الدراسات "التزامنية" لفترات زمنية متعددة، يمكن بناء معرفة "تعاقبية" "للغة" بشكل أكثر علمية عما إذا تم الاعتماد على الدراسة "التعاقبية" فقط [1].

ملاحظات على محاضرات "سوسير"

لعل أول ملاحظة أن كتاب "دروس في اللسانيات العامة" لم يكتبه "دي سوسير" بنفسه، وكما يرى "كولر" – ربما أن "سوسير" – لم يكن قد توصل إلى فكرة كاملة واضحة حول ما يجب أن يكون في الدراسات اللسانية بالضبط [2]، والمدقق في المحاضرات نفسها، يشعر أن "سوسير" كان يطور ويعدل من أفكاره أثناء المضي في هذه المحاضرات، فمثلا هو يقدم أولا "العلامة" كـ: "مفهوم" و"صورة سمعية"، ثم يعود ويسمي "المفهوم" بـ "المدلول"، ويسمي "الصورة السمعية" بـ "الدال"، ويتدرج في شرح، وتفسير "القيمة" خارج "اللغة" ثم داخلها، ثم تبيان أن "المعنى" الخاص بأي كلمة لا يتحدد على نحو دقيق، إلا بالنظر إلى علاقاتها بما حولها، وغير ذلك من التدرج، الذي يشعرك، وأنه كان في مرحلة تعديل، وتطوير دائبين لأفكاره، ولذا فإن الكثير من الذين يتعرضون لأفكاره بالشرح، والتحليل يضطرون إلى التقديم والتأخير فيها؛ لكي تبدو أفكاره ذات لحمة أكثر تماسكا، ناهيك عن كون الصورة النهائية لمحاضراته هي من تأليف "شارل بالي"، و"ألبرت سيشيهاي"، وليست من تأليفه هو نفسه أساسا.

وقد تعرضت أفكار "سوسير" إلى التعديل والتطوير، وأحيانا إلى إساءة التفسير أيضا، أو بتعبير "جاكسون" تم إعادة بناء "سوسير" بحيث يخدم أغراضا معينة [3]؛ لذا فمن الضروري فهم آراءه الأساسية على وجهها الصحيح، ومعرفتها معرفة دقيقة، وجدير بالملاحظة أن "سوسير" ألقي محاضراته وأوروبا على حافة انهيار تاريخي كما يقول "تيري إيجلتون" *Terry Eagleton*[4]، ولم يعش "سوسير" لكي يرى أثار هذا الدمار الذي تركته "الحرب العالمية الأولى"، ولا الثورات التي اجتاحت أوروبا بعدها، وهي الثورات التي سحقت جميعها بعنف شديد، وفي ظل هذا الوضع السياسي والاجتماعي المظلم سوف يتم إعادة تنظير أراء "سوسير"، وتوسيع دائرة تطبيقها، لتنتقل من حقل "اللسانيات" إلى حقول أخرى كثيرة.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005 م.

[1] جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ص 92 وما بعدها.

[2] نفسه، ص 62.

[3] يلح "ليونارد جاكسون" علي هذه النقطة كثيرا في كتابه: "بؤس البنيوية"، وهو يجعل من الدفاع عن إساءة قراءة "سوسير"، ومن توضيح الخلط الذي تتعرض له أرائه عند الكثيرين، يجعل من ذلك هما أساسيا في كتابه هذا، ينظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 17، 32، 102-103، 167، 304..

[4] تيري ايجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1991م، ص 73.

2. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 03، 2007 م.
3. بيرس، تصنيف العلامات، ترجمة فريال جبوري غزول، دار الياس العصرية، القاهرة، مصر، 1986 م.
4. تيري ايجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1991م.
5. جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة عز الدين اسماعيل، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، مصر، 2000 م.
6. حنون مبارك، مدخل للسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1987 م.
7. دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ومراجعة يوسف المطلبي، مط، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1985 م.
8. رومان جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2002 م.
9. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ودار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط 01، 1997 م.
10. صفية مطهري، الدلالة الايحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003 م.
11. عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994 م.
12. عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ط 02، 1996 م.
13. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
14. ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001 م.
15. مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م.
16. ميشال أريفيه، البحث عن فرديناند دو سوسير، ترجمة محمّد خير محمود البقاعي، مراجعة نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Anamaria Curea, Entre expression et expressivité: l'école linguistique de Genève de 1900 à 1940, ENS Éditions, Lyon, France, 2015.*
2. *C.S. Pierce, Ecrits sur le Signe, Le Seuil, Paris, FRANCE, 1978.*
3. *Émile Benveniste, Ferdinand de Saussure à l'École des Hautes Études, École pratique des hautes études. 4e section, Sciences historiques et philologiques Vol 97, no 1, 1964.*

4. *Philip P.Wiener, The Dictionary of the History of Ideas, Structuralism, University of Virginia Library, USA, 1973, Volume 4.*
5. *Pierre-Yves Testenoire, L'école de Genève vue de la Société de Linguistique de Paris, Histoire Epistémologie Langage, vol. 37, no 2, 2015.*

المحاضرة الثالثة

حلقة موسكو

توطئة:

يذهب كثير من الدارسين إلى أن الدوال تدل، وتتواصل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومنها: "اللغة"، و"العلامات"، و"الخطابات"، و"الأنساق"، و"الإنسان"، وسائر الكائنات الموجودة في الطبيعة، ويعني هذا أن كل شيء في عالمنا يحمل دلالة، ووظيفة، وهذه الوظيفة قد تكون ذات مقصدية، أو بدون مقصدية، ذات ميزة فردية، أو جماعية، طبيعتها مادية، أو معنوية، كما أن هذه الدوال التواصلية قد تكون لفظية، أو غير لفظية، تعبر عن وعي، أو عن غير وعي، واليوم أصبح التواصل عبارة عن تقنية إجرائية، وأساسية في فهم التفاعلات البشرية، وتفسير النصوص، والخبرات الإعلامية، والتحكم في كل طرائق الإرسال، والتبادل، وتعد اللغة من أهم آليات التواصل، ومن أهم تقنيات التبليغ، ونقل الخبرات، والمعارف من "الأنا" إلى "الغير"، أو من "المرسل" إلى "المخاطب"، وهذه اللغة على مستوى التخاطب، والتواصل، والتمظهر ذات مستويين سلوكيين: "لفظي" و"غير لفظي".

فالدارس اللساني يتمعن في خصائص هذه اللغة، ولذلك أسست المدارس اللغوية واللسانية لدراسة هذه الملكة – اللسان –، فالمدرسة اللسانية أو اللغوية هي مجموعة من المفاهيم التي تتبناها طائفة من اللغويين، بحيث تجمعهم وجهة نظر واحدة للغة، ومنهج واحد في معالجة الظواهر اللغوية، مهما اختلفت أوطانهم وجنسياتهم، فالمدرسة نظرية، أو إطار فكري عام معين يتخذ لمعالجة البحث اللغوي، فلا تعد المدرسة مدرسة إلا إذا حددت رؤى، وأهدافا ثابتة، واتخذت لنفسها أصولا، وأسسا مخصوصة، ورسمت منهجا واضحا تسير عليه في معالجة المسائل، والقضايا.

فالنزعة "البنيوية الروسية" مثلا "***structuralisme russe*** " بالمعنى المحدد للكلمة – لم تظهر إلى حيز الوجود إلا عـام 1928 م [1]، وذلك في "المؤتمر العالمي لعلوم اللسان" "***Congrès Mondial de Linguistique***" المنعقد بمدينة "لاهاي" "***La Haye*** " "بهولندا" "***Pays-Bas***"، عندما قدم كل من "رومان جاكبسون" " ***Roman Jakobson***"، و"سيرجي كارسفسكي" "***Sergueï Kartsevski***"، و"نيكولاي تروبتسكوي" " ***Nicolai trubetwkoy***" بحثا علميا يتضمن الأصول الأولى لهذه النزعة، ولم يلبثوا أن أصدروا بعد ذلك بيانا أعلنوه في "المؤتمر الأول للغويين السلاف" "***Première conférence des linguistes Slaves***" الذي انعقد في "براغ" "***Prague***" عام 1929 م استخدموا فيه كلمة "بنية" "***Structure***" بالمعنى المستعمل اليوم، ودعوا فيه إلى اصطناع "المنهج البنيوي" بوصفه "منهجا علميا" صالحا لاكتشاف قوانين بنية النظم اللغوية تطورها [2].

فإن الأصول الأولى "للحركة البنيوية الروسية" قد تكونت في مدارس خاصة، عرفت "بمدارس الدراسات السلافية التقدمية"، ومن أهمها "حلقة موسكو اللغوية" "***Cercle Linguistique de Moscou***"، ولعل "رومان جاكبسون" "***Roman Jakobson***" يعد من أهم مؤسسي النظريات اللسانية المعاصرة، ومن من أهم رواد الشكلانية

---

[1] ينظر: استيتية سمير شريف، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتاب الحديث، عمان، الأردن، ط 02، 2008 م، ص 161.

[2] ينظر: فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة الوالي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 2000 م، ص 14.

الروسية الذين اهتموا بنظرية الأدب تنظيرا، وتطبيقا، ويعتبر كذلك من أهم المفكرين، واللسانيين في القرن العشرين، ومن أهم رواد التحليل البنيوي في ميادين: "اللغة"، و"الشعر"، و"الفن".

"رومان جاكبسون" [1] "*Roman Jakobson*"

"رومان أوسيبوفيتش جاكبسون" "بالروسية: Роман Осипович Якобсон"، هو عالم لغوي، وناقد أدبي روسي ولد "بموسكو" "*Moscou*" "بروسيا" في 11 أكتوبر 1896م، لعائلة ميسورة من أصل يهودي، والده هو "أوزيب جاكبسون" "*Osip Jakobson*"، وأمه "أنا فولبيرت جاكبسون" "*Anna Volpert Jakobson*"، نمت "لجاكبسون" اهتمامات باللغة منذ الصغر، وقد كان في مرحلة الدراسة أحد البارزين في الدائرة اللغوية في موسكو، وقد شارك في أنشطة "جماعة الطلائع في الفن والشعر".

كانت الحالة اللغوية في ذلك الوقت منصبة على منهج النحويين الجدد الذين كانوا يؤكدون على أن الدراسة العلمية الوحيدة الممكنة للغة تتمثل في دراسة تاريخها، وتطور مفرداتها خلال الزمن – وهو المنهج التاريخي الذي وضعه سوسير –، إلا أن "جاكبسون" كان قد اطلع في تلك الفترة على أعمال اللغوي المشهور حينها "فيرديناند دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*"، ونجح في تطوير منهج ركز فيه على أن بنية اللغة هي التي تؤدي وظيفتها الأساسية، وذلك من أجل تناقل المعلومات بين مستخدمي اللغة.

وقد كان العام 1920 م عاماً شهد تقلبات سياسية عارمة في روسيا، فانتقل "جاكبسون" إلى "براغ" "*Prague*" – عاصمة "جمهورية التشيك" "*République tchèque*" – كعضو في البعثة الدبلوماسية السوفييتية لإتمام دارسته العليا، وقد انغمس في الحياة الأكاديمية والثقافية في "تشيكوسلوفاكيا" حينها وأقام علاقات وثيقة مع عدد من الشعراء، والشخصيات الأدبية فيها، وقد كان له أثر يذكر على الأكاديميين في "التشيك" من خلال دارساته التي كان يجريها على "النصوص التشيكية"، وقد تكللت جهوده بإنشاء "مدرسة براغ اللغوية" " *Ecole linguistique de Prague*" حيث أسسها مع زميله "نيكولاي تروبيتسكوي" "*Nikolay Trubetskoy*" "، بالإضافة إلى "رينيه فيليك" "*Rene Felix*"، و"يان موكاروفسكي" "*Jan Mukarovsky*"، وقد ساعدت أعماله العديدة في "مجلة الصوتيات" على المضي قدماً في القضايا المتعلقة بالبنية، والوظيفة اللغوية، واعتمدت نظريته العالمية في "الصوتيات البنيوية الوظيفية"

---

[1] من بين الكتب التي تحدثت عن سيرة "رومان جاكبسون":

Henry Kučera, Roman Jakobson, Language, vol. 59, no 4, décembre 1983, p 871-883.
Tzvetan todorov, roman jakobson, reponses, revue poétique , N 57, le seuil, paris, France, 1984, p 25.

أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 145 وما بعدها، وينظر: صلاح فضل، في النقد الادبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 م، ص 48، وينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1413 هج، 1993 م، ص 15 وما بعدها، وينظر: رومان جاكبسون وإيخنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيون الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، المملكة المغربية، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م، ص 07.

على تسلسل درجات التمييز للسمات المميزة، وقد كان ذلك أول مستوى ناجح للتحليل اللغوي وفق الفرضيات التي طرحها "سوسير".

ترك "جاكبسون" "براغ" عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث انتقل إلى "إسكندنافيا" "*Scandinavie*"، حيث كان مرتبطاً مع الحركة اللغوية في "كوبنهاغن" "*Copenhague*" – عاصمة الدنمارك "*Danemark*" –، وقد كانت تربطه علاقة مع بعض المفكرين مثل "لويس هيلمسيلف" "*Luis Hjelmslev*".

ومع التطورات التي حصلت في الحرب العالمية الثانية، والتقدم نحو الغرب انتقل "جاكبسون" إلى مدينة "نيويورك" "*New York*" حيث أصبح جزءاً من حلقة أوسع من المهاجرين من المفكرين والمثقفين الذين انتقلوا إلى "الولايات المتحدة الأمريكية"، كما قد كان مرتبطاً عن كثب مع مجتمع المهاجرين من "التشيك" خلال تلك الفترة، وقد تمكن من الاجتماع بالعديد من اللغويين وعلماء الإنسان – "الأنثروبولوجيا" *Anthropology* – الأمريكيين مثل "فرانز بواس" "*Franz Boas*"، و"ليونارد بلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*"، وأصبح "جاكبسون" مستشاراً في الجمعية الدولية للغة العالمية في "الولايات المتحدة الأمريكية"، وانتقل "جاكبسون" عام 1949 م إلى "جامعة هارفارد" "*Université Harvard*" حيث بقي هنالك حتى تقاعده، وقد عمل في العقد الأخير من عمره في معهد "ماسوشوستس للتكنولوجيا" "*Massachusetts Institut de Technologie* "، حيث حصل على الدكتوراه الفخرية فيها، وقد تحول "جاكبسون" في الستينيات إلى التركيز على تقديم نظرة أشمل للغة وبدأ جهوده للكتابة حول علوم التواصل بشكل عام، مما جعله من أهم رواد "المدرسة الشكلية الروسية"، وأحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة، والشعر، والفن.

ويعد "رومان جاكبسون" من حيث دراسته لوظيفة الكلام مؤسساً فعليا "للفونولوجيا" "*phonologie*" أو "علم الصوتيات" "*Phonétique*" [1]، وإليه تنسب أول صياغة لتعريف الفونيم "*Phonème*" أو الوحدة الصوتية الأصغر، أسس أيضاً في "الولايات المتحدة" للمرحلة التالية من تطور هذا العلم ووضع مبادئه، كما بحث في نظرية تواصل لسانية معتمداً على أسس "نظرية التواصل" "*théorie des communications*"، وبحث أيضاً في الشعر، والدراسات السلافية – المتعلقة بلغات وثقافات أوروبا الوسطى، وأوروبا الشرقية، ودول البلقان –، والتقاليد، والعادات مؤكداً بذلك علاقة اللغة الوثيقة بالثقافة، والأنثروبولوجيا الثقافية.

وقد أثر "رومان جاكبسون" بأفكاره هذه في كل من "كلود ليفي ستروس" "*Claude Lévi-Strauss*"، و"رولان بارت" "*Roland Barthes*"، و"جوزيف غرينبيرغ" "*Joseph Greenberg*"، و"جاك لاكان" "*Jacques Lacan*"، و"بول ريكور" "*Paul Ricœur*".

توفي "جاكبسون" في ولاية بوسطن الأمريكية "*Boston*" عن عمر ناهز 85 سنة وذلك يوم 18 جويلية 1982 م.

---

[1] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م، ص 255.

من خلال هذا التعريف تقسم المسيرة العلمية "لرومان جاكبسون" إلى ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة "حلقة موسكو"، اللسانية "1915-1920 م" التي اندمجت في "الأبوياز" أو "جماعة دراسة اللغة الشعرية" " *OPOÏAZ* (*Société pour l'étude de la langue poétique*) "، ومرحلة "حلقة براغ" "بتشيكوسلوفاكيا" "1920-1930 م"، ومرحلة التدريس "بالولايات المتحدة الأمريكية" في جامعتي "هارفارد" و"معهد ماساتشوستس للتكنلوجيا"، وفي هذه الفترة بالذات، انشغل باللسانيات العامة، وتدريس اللغات والآداب السلافية.

وقد قال عنه الباحث الأمريكي "ديفيد كارتر" "*David Carter*" صاحب كتاب "النظرية الأدبية": كان "رومان جاكبسون" جسرا بين "الشكلانية الروسية" و"البنيوية"، وقد كان عضوا مؤسسا لدائرة موسكو اللغوية، حيث تكشف جميع كتاباته عن مركزية النظرية اللغوية في فكره، وخاصة تأثير "سوسير"، كما كان أحد المؤيدين المتحمسين للشعراء التجريبيين في عام 1920 م [1].

هذا، وقد خلف لنا "رومان جاكبسون" مجموعة من الدراسات والكتب القيمة، مثل: "الشعر الروسي الحديث" 1921م، و"حول الشعر التشيكي" 1923م، و"أبحاث في اللسانيات العامة" 1963م، و"ثمانية أسئلة حول الشعرية" 1977م...

وقد كان "جاكبسون" عالماً موسوعياً في توجهه، وتشي أسماء مؤلفاته بتنوع اهتماماته، ومجالات بحثه؛ فقد كتب في موضوعات شتى، وبلغات مختلفة [2].

كتب بالفرنسية "ملاحظات حول التطور الفونولوجي للغة الروسية مقارنة مع تطور اللغات السلافية الأخرى" *Remarques sur l'évolution phonologique du russe comparée à celles des autres langues slaves* عام 1929 م.

وكتب بالروسية "خصائص علاقة القرابة اللغوية الأوراسية" " *Kharakteristichke yevrazi-yskogo yazykovogo soyuza* " عام 1931 م، وكتب بالألمانية "لغة الأطفال" "*Kindersprache*" عام 1941 م، و"عيوب النطق والقوانين الصوتية العامة" "*Aphasie und allgemeine Lautgesetze* " عام 1941 م، وبعد استقراره في الولايات المتحدة كتب بالإنجليزية "خطوات تمهيدية نحو تحليل الكلام" " *Preliminaries of Language Analysis* " عام 1952 م بالتعاون مع "موريس هولّه" "*Morris Halle*"، كما وضع معه "أسس اللغة" "*Language Fundamentals*" عام 1956 م، وأيضاً "شعر النحو ونحو الشعر" *Poetry of Grammar and Grammar of Poetry*" عام 1968 م، وبالتعاون مع "ليندا ووه" "*Linda Waugh*" "شكل صوت اللغة" "*The Sound Shape of Language*" عام 1979م.

---

[1] دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط 01، 2010 م، ص 37.

[2] ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص، ص 22 وما بعدها.

التعريف "بحلقة موسكو"

غالبا، ما توسم "حلقة موسكو اللغوية" "*Cercle Linguistique de Moscou*" "بالشكلانية" "*Formalisme*"، أو "بالمدرسة الشكلانية الروسية" "*Le Formalisme russe*"، لكن يمكن أن نضيف إليها "مدرسة تارتو السيميائية الثقافية" "*l'école de la sémiotique culturelle Moscou-Tartu*" "بموسكو" "بروسيا"، و"تارتو" "بإستونيا" "*Estonie*"، و"حلقة براغ اللغوية" "*Cercle Linguistique de Prague*".

وعليه، فقد ظهرت "حلقة موسكو" ما بين 1915 م، و 1930 م، في سياق تاريخي ينبذ الرأسمالية، ولا يعترف إلا بالاشتراكية العلمية التي تعود، في جذورها، إلى كتابات "كارل ماركس" "*Karl Marx*"، و"جورجي بيليخانوف" "*Gueorgui Plekhanov* "، و"فريديريك هيجل" "*Georg Wilhelm Friedrich Hegel*"، و"فريديريك أنجلز" "*Friedrich Engels*"، و"جورج لوكاش" "*Georg Lukács*"، وغيرهم من المنظرين الجدليين، مع السعي الجاد نحو ربط المضمون الأدبي بالواقع الثوري، والعملي، والمادي، ومحاربة جميع التيارات الشكلية والنزعات البنيوية التي تعنى بالشكل على حساب المضمون [1].

ومن ثم، فقد حوربت أفكار "حلقة موسكو" أمدا طويلا [2]، بعد أن تعاظم الدور الاشتراكي، واليساري للأدب، ولم يتحقق النجاح لهذه الشكلانية إلا بعد اطلاع الأوروبيين عليها، سيما الفرنسيين منهم سنة 1960 م، عبر الترجمة، والصحافة، والاحتكاك الثقافي، والتمثل العملي، فطوروا تصوراتها النظرية، والتطبيقية، وانطلقوا من مبادئها الفكرية، واستخدموا مفاهيمها الإجرائية، خاصة في مجال "اللسانيات"، و"السيميائيات"، و"نقد الأدب".

كما يتبين ذلك واضحا عند كثير من الدارسين الأوروبيين، نذكر منهم: "رولان بارت" "*Roland Barthes*"، و"كلود ليفي شتروس" "*Claude Lévi-Strauss*"، و"كلود بريمون" "*Claude Bremond*"، و"جيرار جنيت" "*Gérard Genette*"، و"جوليان غريماس" "*Algirdas Julien Greimas*"، و"فيليب هامون" "*Philippe Hamon*"، و"أمبرطو إيكو" "*Umberto Eco*"، و"جان مولينو" "*Jean Molino*"، و"تزتيفان تودوروف" "*Tzvetan Todorov*"، و"جوليا كريستيفا" "*Julia Kristeva*"، و"جان كوهين" "*Jean Cohen* "، و"فرانسوا راستيي" "*François Rastier*"، علاوة على اللسانيين، أمثال: "أندريه مارتينيه" "*André Martinet*"، و"لويس هلمسليف" "*Louis Hjelmslev*"، و"نعوم شومسكي" "*Noam Chomsky*"، و"جيرولد كاتز" " *Jerrold Katz*"، و"جيري فودور" "*Jerry Fodor*"... وغيرهم... [3]

---

[1] ينظر: جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، افريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2016 م، ص 06.

[2] ينظر: رومان جاكبسون وإيخنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيون الروس، ص 09.

[3] ينظر: رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م، ص 78.

ومن باب العلم، يمكن الحديث عن مدارس أساسية ضمن التيار الشكلاني الروسي هي: "حلقة موسكو" التي يمثلها "رومان جاكبسون" "*Roman Jakobson*"، و"حلقة بيترسبورج" "*Cercle Linguistique de Saint-Pétersbourg*" أو "جماعة دراسة اللغة الشعرية" "أبوياز" "*OPOÏAZ* (*Société pour l'étude de la langue poétique*) " التي يقودها "فيكتور شلوفسكي" "*Victor Borissovitch Chklovski*"، و"مدرسة تارتو السيميائية"، و"حلقة براغ اللسانية" التي تمثلت الفكر الشكلاني [1].

نشأة "المدرسة الروسية" أو "الشكلانية الروسية":

تعتبر "الشكلانية الروسية" الممهد الفعلي للدراسات السيميوطيقية في غرب أوربا، سيما في" فرنسا"، واسمها الحقيقي "جماعة أبوياز" " *OPOÏAZ* " أو "جماعة دراسة اللغة الشعرية" [2]، وقد ظهرت هذه الجماعة كرد فعل على انتشار "الدراسات الماركسية" في روسيا، خاصة في مجال الأدب والفن، وقد أصدرت مجلة تسمى بـ"الشعرية"، بمساعدة من مؤسسة الدولة لتاريخ الفنون، وقد نشطت المدرسة في العقدين الأوليين من القرن العشرين، لتعرف اضمحلالا في أواخر سنوات الثلاثين من القرن نفسه، لقد تحامل على هذه الجماعة كثير من الخصوم، فاتهموها بالجريمة الشكلانية، كما فعل "ليون تروتسكي" "*Léon Trotski*" في كتابه "الأدب والثورة" "*Literature and Revolution* "، حيث قال سنة 1924 م: "إذا ما تركنا جانبا الأصداء الضعيفة التي خلفتها أنظمة إيديولوجية سابقة على الثورة، تجد أن النظرية الوحيدة التي اعترضت الماركسية في روسيا السوفياتية، خلال السنوات الأخيرة، هي النظرية الشكلانية في الفن" [3].

ولعل من أعداء، ومعارضي "الشكلانية الروسية" "ماكسيم كوركي" "*Maxime Gorki*"، و"أونتونيلي لوناتشارسكي" "*Anatoli Lounatcharski* " الذي وصف الشكلانية في سنة 1930 م بأنها" تخريب إجرامي ذو طبيعة إيديولوجية" [4]، ومن ثم، فقد كانت سنة 1930 م نهاية أكيدة للشكلانيين الروس، حتى إن أحد السوسيولوجيين الروس أراد تطعيم "المنهج الشكلي" "بالتحليل الاجتماعي الماركسي"، كما هو الشأن بالنسبة "لبوريس أرفاتوف" "*Boris Arvatov*"، بيد أن إشعاعها انتقل إلى عاصمة "تشيكوسلوفاكيا" "براغ"، حيث "رومان جاكبسون" الذي أنشأ "حلقة براغ اللسانية" مع "تروبتسكوي"، والتي تولدت عنها "اللسانيات البنيوية"، و"المدرسة اللغوية الوظيفية"، وبقي الإرث الشكلاني الروسي طي النسيان مدة طويلة، إلى أن ظهرت مدرسة بنيوية سيميائية أدبية، وثقافية جديدة، تسمى "مدرسة تارتو السيميائية الثقافية" "*l'école de la sémiotique culturelle Moscou-Tartu*" "بموسكو" "بروسيا"، و"تارتو" "بإستونيا" "*Estonie*".

---

[1] ينظر: سيزا قاسم، السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد "مدخل إلى السيميوطيقا"، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014 م، ج 01، ص 40.

[2] صلاح فاضل، نظرية البناء في النقد، منشورات الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1985 م، ص 56.

[3] رومان جاكبسون وإيخنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيون الروس، ص 09.

[4] نفسه، ص 09.

ولقد ارتكزت الشكلانية على مبدأين أساسيين هما [1]:

1- موضوع الأدب هو الأدبية؛ أي: التركيز على الخصائص الجوهرية لكل جنس أدبي لوحده.

2- دراسة الشكل قصد فهم المضمون؛ أي: شكلنة المضمون، ورفض ثنائية الشكل، والمضمون المبتذلة.

ولقد قطعت "الشكلانية الروسية" مراحل عدة في البحث الأدبي واللساني، **ففي المرحلة الأولى**، كان الاهتمام ينصب على التمييز بين الشعر والنثر، في حين، كانت البحوث، **في المرحلة الثانية**، تتعلق بوصف تطور الأجناس الأدبية [2]، ومن ثم، فقد نشرت كثير من الدراسات الشكلانية، وترجمت في مجلات غربية هامة، مثل: "مجلة الشعرية"، و"مجلة التحول".

وإذا انتقلنا إلى مرتكزات الشكلانية الروسية لفحص دعائمها النظرية والتطبيقية، فيمكن حصرها في النقط التالية:

1- الاهتمام بخصوصيات الأدب، والأنواع الأدبية؛ أي: البحث عن الأدبية، وما يجعل الأدب أدبا.

2- التركيز على شكل المضامين الأدبية، والفنية، ودراستها في ضوء مقاربة شكلانية.

3- استقلالية الأدب عن الإفرازات، والحيثيات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتاريخية "دراسة الأدب باعتباره بنية مستقلة عن المرجع".

4- التوفيق بين آراء "شارل بيرس" "*Charles Sanders Peirce*"، و"سوسير" "*Ferdinand de Saussure*" حول العلامة.

5- استعمال مصطلح "السيميوطيقا" "*Sémiotique*"، بدل من توظيف مصطلح "السيميولوجيا" "*Sémiologie*".

6- الاهتمام "بالسيميوطيقا الإبستمولوجية"، والتركيز على الأشكال الثقافية.

7- التشديد على خاصية "الاختلاف"، و"الانزياح" بين الشعر، والنثر.

8- الإيمان باستهلاك الأنظمة، وتجددها، وتطورها باستمرار من تلقاء ذاتها.

9- عدم الاكتفاء بالأعمال القيمة، والمشهورة في مجال الأدب أثناء التطبيق النصي والنظري، بل توجهت "الشكلانية الروسية" إلى جميع الأجناس الأدبية، مهما كانت قيمتها الدنيا، مثل: "أدب المذكرات"، و"أدب المراسلات"، و"الحكايات العجيبة"... قصد معرفة مدى مساهمتها في إثراء الأعمال العظيمة، كما فعل "ميخائيل باختين" "*Mikhaïl Bakhtine*" مع الأجناس الشعبية الدنيا في كتابه "شعرية دوستويفسكي" " *la poétique de Dostoievski*" [3].

---

[1] ينظر: ميخائيل باختين، شعرية دويستفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1986 م، ص 50.

[2] دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ص 30.

[3] ميخائيل باختين، شعرية دويستفسكي، ص 52.

ومن أهم مؤلفات الشكلانيين الروس: "كيف صيغ معطف غوغول" "لبوريس إيخانباوم" "*Boris Eichenbaum*"، و"شعرية دويستفسكي"، و"الماركسية والفلسفة" "لميخائيل باختين" "*Mikhaïl Bakhtine*"، و"الشعر ذاته" "ليوري تينيانوف" "*Yury Tynyanov*"، و"الحكايات الروسية العجيبة" "لفلاديمير بروب" "*Vladimir Propp*"، و"سيمياء الكون" و"بنية النص الفني" "ليوري لوتمان" "*Yuri Mijáilovich Lotman*"، و"نظرية النثر" "لفيكتور شلوفسكي" "*Victor Chklovski*"، وغيرها من المصنفات.

الجهود اللسانية "لرومان جاكبسون":

لقد أسس "رومان جاكبسون"، بتنسيق مع "نيكولاي تروبوتسكوي" "*Nikolaï Troubetzkoï*"، و"فيلام ماتيسيوس" "*Vilem Mathesius*"، و"أندريه مارتينيه" "*André Martinet*"، ووليام لابوف " *William Labov*"، اتجاها لسانيا يعرف "بالاتجاه البنيوي الوظيفي"، ويعرف "رومان جاكبسون" باهتمامه "بالشعرية" من جهة، و"بالنحو الكلي" من جهة ثانية، فعلى مستوى "الشعرية" مثلا، فقد ربط اللغة بستة عناصر هي: "المرسل" "*èmetteur*"، و"المرسل إليه" "*rècepteur*"، و"الرسالة" "*message*"، و"المرجع" "*référence*"، و"القناة" "*canal*"، و"السنن" "*code*" [1]، وحدد لكل عنصر وظيفة معينة، وبالتالي، فقد تحدث عن أدبية الأدب، والقيمة المهيمنة في تصنيف الأجناس والأنواع الأدبية، كما تحدث عن تطور الأنساق الأدبية الشكلية، وتعمق في دراسة الشعر في ضوء عناصره البنيوية، سواء أكانت "صوتية"، أم "صرفية"، أم "إيقاعية"، أم "تركيبية"، أم "دلالية"، أم "بلاغية"، ضمن المحورين "الاستبدالي" و"التركيبي" [2].

ومن الناحية اللسانية، فقد أرسى "رومان جاكبسون" نحوا كليا في مجال "الفونولوجيا"، بمعنى أن جميع اللغات يمكن تحليلها انطلاقا من مقاييس موحدة "معيارية"، وهذه النظرية التي طبقها "جاكبسون" في "الفونولوجيا"، والتي سيطبقها "تشومسكي" فيما بعد على التركيب، أتاحت له إبداع نظرية أخرى تعرف "بنظرية السمات المميزة" " *La théorie des traits distinctifs*"، وكان له بذلك دور حاسم في إعادة توجيه مجرى اللسانيات في "الولايات المتحدة"، فقد ظل الوصفيون الأمريكيون، قبل مجيء "جاكبسون"، يشتغلون ضمن فلسفة النسبية، إذ طالما اعتقدوا أن اللغات قد تختلف بعضها عن بعض إلى مالانهاية، قد كانوا يعتقدون أن لكل لغة هيكلها الذي يميزها عن غيرها.

أما "جاكبسون"، فكان يؤمن أن اللغات قد تختلف فيما بينها فعلا، ولكن ضمن حدود معينة، بحيث تجمعها خواص هي ما أطلق عليه "النحو الكلي"، فقد نتحدث لغات مختلفة، بل قد نستعمل في كلامنا أصواتا متنوعة، مثل: "الخاء" التي توجد في بعض اللغات، وتفتقدها لغات أخرى، لكن نجد السمات ذاتها فيها جميعا، مثل: "حلقي"،

---

[1] ينظر: رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص27، وطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م، ص 23.

[2] ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، المكتبة الثقافية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1993 م، ص 49.

و"رخو"، و"شديد"...؛ إذاً، تختلف اللغات حقا، غير أنها في هذه الحالة بمثابة يد واحدة تتفرع إلى أصابع، وتلك هي فرضية "النحو الكلي" [1].

وإذا كان "البنيويون التوزيعيون الأمريكيون" يربطون اللغة بالحضارة التي نشأت فيها، فإن "تشومسكي" يربطها "بالدماغ النفسي"؛ لأن الناس يتفقون في السمات المميزة للأصوات؛ وهذه الأصوات لها ارتباط بالجهاز الصوتي والنفسي، أما "رومان جاكبسون" يستدل بحجة أخرى على "النحو الكلي"، فعلى عكس البنيويين الأمريكيين السابقين "لجاكبسون"، وهم الذين كانوا يربطون كل لغة بحضارتها الخاصة – كما جاء في فرضية "إدوارد سابير" "*Edward Sapir*" و"بينجامين وورف" "*Benjamin Lee Whorf*" –، ويطبعونها بطابع اجتماعي، نجد "جاكبسون" يعتقد غير ذلك؛ فاللغة، بالنسبة له، لها علاقة بالنفس / الدماغ؛ إذ لا يتوقف الأمر عند حقيقة أننا نتشارك في تلك السمات مثل: "شفوي"، و"رخو"،...التي تبين وجود تشابه في النطق مخرجا وصفة، بل يتعداه لإثبات غاية أهم من ذلك، لقد أراد "جاكبسون" أن يوضح ما وراء المجرى الصوتي إلى حيث الدماغ، فالصفات المميزة – المقدرة ببضعة عشرة – لها حقيقة نفسية، وهي متماثلة عند بني الإنسان جميعهم.

إن الدماغ البشري هو ذاته بالنسبة لجميع البشر، ولهذه الحقيقة دلالات تتعلق "بلغة الطفل"؛ فإذا أخذنا طفلا "جزائريا" إلى "الصين"، فإنه يكتسب الصينية دون أدني صعوبة في بضع سنوات، شرط ألا يتجاوز عمره ما يعرف في اللسانيات "بمرحلة الليونة"، تماما كما لو فعلنا ذلك بطفل "جزائري" آخر، وذهبنا به إلى "إنجلترا"، فإنه يكتسب "اللغة الإنجليزية" كأنها لغته الأم [2].

هذا، وقد أوجد "جاكبسون" مجموعة من السمات المميزة والأوصاف المحددة "للفونيمات" "*Les phonèmes*"، بغية التمييز بينها صوتيا، ودلاليا، ومن قبل، كان اللسانيون يشتغلون على "الفونيم" ضمن اللغة المجردة، في حين، انصب اهتمام "جاكبسون" على المميز، بمعنى إذا كان "الفونيم" هو أصغر وحدة لسانية عند اللسانيين، فإن "جاكبسون" يقسم هذا "الفونيم" إلى أصغر من ذلك؛ أي: إلى مجموعة من السمات، والقيم الخلافية، هذا، وقد وضع "جاكبسون" نظاما من اثنتي عشرة خاصية صوتية، وتنغيمية تطبق على الصوامت "*consonnes*" والصوائت "*voyelles*"، إن تلفظا، وإن سمعا، حيث ميز بين مجموعة من السمات المميزة، مثل: "صامت/ صائت"، و"مجهور/مهموس"، و"نهائي / لانهائي"، و"انفجاري/غير انفجاري"، و"هادئ /حاد"، و"ممتد/ باهت".....

وفي العربية، يمكن الحديث عن مجموعة من السمات المميزة: "صائت"، و"صامت"، و"مهموس"، و"مجهور"، و"شديد"، و"رخو"، و"مائع"، و"تكراري"، و"شفوي"، و"لثوي"، و"غاري"، و"طبقي"، و"حلقي"، و"حنجري"، و"لهوي"...

وعلى العموم، فقد كانت جهود "رومان جاكبسون" اللسانية متميزة وواضحة بشكل كبير، فقد ترك تأثيرا ملحوظا في لسانيات القرن العشرين، خاصة في مجال "الفونولوجيا"، ويمكن حصر اهتماماته اللسانية الأخرى في "دراسة

[1] ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، ص 56.

[2] نفسه، ص 57.

الأفازيا" – الحبسة "*Orthophonie*" – [1]، والعناية بالتصنيف اللساني، والاهتمام بالسمات المميزة للأصوات، والفونيمات...

التصـور المنهجـي عند "رومان جاكبسون":

يعد "رومان جاكبسون" من "الشكلانيين" "*Formalisme*" الأوائل الذين أرسوا دعائم "علم الأدب"، أو ساهموا في تطوير نظرية الأدب على أسس علمية، وموضوعية، من خلال حصر موضوع علم الأدب في دراسة الأدبية "*La littérarité*"، ويعني هذا أن "علم الأدب"، أو "الشعرية"، أو "البويطيقا"، أو "الإنشائية" "*Poétique*" يدرس ما يجعل من الأدب أدبا؛ أي: التركيز على وظيفة الأدب التي تتأسس على "الوظيفة الجمالية"، أو "الشعرية"، من خلال إسقاط "العلاقات أو المحور الاستبدالي" "*Relations Paradigmatiques*"، على "العلاقات أو المحور التركيبي" "*Relations Syntagmatiques*"، أو الجمع بين الانتقاء الدلالي، والعلاقات النحوية، ويعني هذا أيضا أن الأدب يتكون من مواد دلالية، وعلاقات نحوية، وتركيبية، أو الجمع بين الدلالة والنحو ضمن علاقات الغياب "الدلالة" من جهة، أو علاقات الحضور "التركيب" من جهة أخرى.

ومن هنا، يتبنى "رومان جاكبسون" منهجا علميا وصفيا في دراسة الأنواع، والأجناس الأدبية، من خلال التعامل مع الأثر الأدبي على أنه مادة، وبناء، وشكل، وقيمة مهيمنة، وبذلك، فقد تمثل المقاربة "البنيوية الشكلانية" "*Formalisme structurel*" في دراسة النصوص الأدبية، بتفكيكها، وتركيبها، اعتمادا على المستويات اللسانية: "الصوتية"، و"التركيبية"، و"الدلالية"، و"البلاغية"، ومن ثم فقد كان "رومان جاكبسون" أول من طبق "المنهج البنيوي اللساني" على "الشعر"، حينما حلل مع "كلود ليفي شتراوس" "قصيدة القطط" "*Les Chats*" "لشارل بودلير" "*Charles Baudelaire*" سنة 1962 م [2]، وقد درسها الاثنان معا دراسة داخلية مغلقة، في إطار نسق كلي من الشبكات البنيوية المتفاعلة، بغية البحث عن الدلالة المبنية، وقد انصب هذا العمل التشريحي على مقاربة القصيدة تفكيكا، وتركيبا، بالاعتماد على "اللسانيات البنيوية" "*Linguistique structurale*"، مع استقراء المعطيات الصوتية، والصرفية، والإيقاعية، والتركيبية، والبلاغية.

كما تمثل "رومان جاكبسون" منهجية تواصلية وظيفية في دراسة اللغة ونظامها التواصلي، ودراسة الفونيمات اللغوية باستقراء سماتها المميزة، في إطار نحو كلي كوني على غرار النحو الكلي "لنعوم شومسكي" "*Noam Chomsky*" في مجال التركيب، وعلى العموم، فقد كان "رومان جاكبسون" أول من أرسى دعائم البويطيقا، أو الشعرية "*Poétique*" على أسس بنيوية، ولسانية، وشكلانية موضوعية، وميز بين الأجناس الأدبية وفق نظرية القيمة المهيمنة.

---

[1] ينظر في ذلك إلى كتاب:

R. Jakobson, Deux aspects du langage et deux types d'aphasie, in R. Jakobson, Essais de linguistique generale,

[2] *C. Levi-Strauss et R. Jakobson, Les Chats de Charles Baudelaire, L'Homme, revue francaise d'anthropologie, n° 1, 1962, pp 5 / 21.*

اللغـة ونظامها التواصلي عند "رومان جاكبسون":

يستند التواصل اللساني عند "رومان جاكبسون" إلى ستة عناصر أساسية [1]، وهي: "المرسل" "*èmetteur*"، و"المرسل إليه" "*rècepteur*"، و"الرسالة" "*message*"، و"المرجع" "*référence*"، و"القناة" "*canal*"، و"السنن" "*code*"، وللتوضيح أكثر، نقول: يرسل "**المرسل**" "**رسالة**" إلى "**المرسل إليه**"، حيث تتضمن هذه الرسالة موضوعا، أو مرجعا معينا، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من "المرسل" و"المتلقي"، ولكل رسالة "قناة حافظة"، كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية، والأسلاك الموصلة بالنسبة للهاتف، واللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي...، ويعني هذا أن اللغة ذات بعد لساني وظيفي، وأن لها ستة عناصر، وست وظائف: "المرسل": **ووظيفته تعبيرية وانفعالية**، و"المرسل إليه": **ووظيفته تأثيرية وانتباهية**، و"الرسالة": **ووظيفتها جمالية**، و"المرجع": **ووظيفته مرجعية**، و"القناة": **ووظيفتها حفاظية**، و"السنة" أو "اللغة": **ووظيفتها وصفية وتفسيرية**، وقد انطلق "جاكبسون" من مسلمة جوهرية، وهي أن التواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، وارتأى أن للغة ستة عناصر أساسية، ولكل عنصر وظيفة ما.

وقد تأثر "جاكبسون"، في هذه العملية التواصلية، بأعمال "دي سوسير"، والفيلسوف المنطقي اللغوي "جون أوستين" "*John Langshaw Austin* " [2].

وعليه، فكثير من النصوص، والخطابات، والصور، والمكالمات الهاتفية عبارة عن رسائل يرسلها "المرسل" إلى "المرسل إليه"، حيث يحول المتكلم رسالته إلى نسيج من الانفعالات، والمشاعر، والأحاسيس الذاتية، ويستخدم في ذلك ضمير المتكلم، ومن ثم، يتخذ المرسل بعدا ذاتيا قوامه التعبيرية الانفعالية، بمعنى أن "الوظيفة الانفعالية التعبيرية" هي التي تحدد العلائق الموجودة بين "المرسل" و"الرسالة"، وتحمل هذه الوظيفة، في طياتها، انفعالات ذاتية، وتتضمن قيما، ومواقف عاطفية، ومشاعر، وإحساسات، يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة المرجعي.

أما "المرسل إليه"، فهو المخاطب الذي توجه إليه رسائل المتكلم بضمير المخاطب، بغية إقناعه، أو التأثير عليه، أو إثارة انتباهه سلبا، أو إيجابا، ومن هنا، فإن "الوظيفة التأثيرية" هي التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين "المرسل" و"المتلقي"، حيث يتم تحريض المتلقي، وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية بامتياز، ما دامت قائمة على الإقناع والتأثير؛ إذاً، يتحول الخطاب اللفظي، أو غير اللفظي إلى "رسالة"، وهذه "الرسالة" يتبادلها "المرسل" و"المرسل إليه"، فيساهمان في تحقيق التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة، وتتجسد هذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية، أو الجمالية بإسقاط المحور الاستبدالي على المحور التركيبي، أو إسقاط محور الدلالة والمعجم على محور التركيب، والنحو انزياحا، أو معيار، ويعني هذا أن "الوظيفة

---

[1] ينظر في ذلك إلى كتاب:

R. Jakobson, Linguistique et poetique, Essais de linguistique generale, Les Éditions de Minuit,Paris, France, 1963 , P 55

[2] جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، ص 55.

الجمالية"، أو "الشعرية" هي التي تحدد العلائق الموجودة بين الرسالة، وذاتها، وتتحقق هذه الوظيفة أثناء إسقاط المحور الاستبدالي على المحور التركيبي، وكذلك عندما يتحقق الانتهاك، والانزياح المقصود بشكل من الأشكال.

كما تهدف "الرسالة"، عبر وسيط "القناة"، إلى الحفاظ على التكلم، وعدم انقطاعه مثلا عند إجرائنا لمكالمة هاتفية نحاول لفت الانتباه، والحفاظ على التكلم فتجدنا نكرر مثلا: "آلو....آلو...هل تسمعني جيدا ؟...."؛ أي: تهدف "وظيفة القناة" إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبلاغ، وتثبيته، أو إيقافه، والحفاظ على نبرة الحديث، والكلام المتبادل بين الطرفين، وللغة كذلك "وظيفة مرجعية"، ترتكز على موضوع الرسالة باعتباره مرجعا، وواقعا، وسياقا أساسيا، تعبر عنه تلك الرسالة، وهذه الوظيفة في الحقيقة موضوعية، لا وجود للذاتية فيها، نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر.

وثمة وظيفة أخرى مرتبطة باللغة، وتسمى "بالوظيفة الوصفية"، أو "الوظيفة الميتالغوية" " *Fonction métalinguistique*" القائمة على الشرح، والوصف، والتفسير، والتأويل، وتهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية، بعد تسنينها من قبل "المرسل"، والهدف من "السنن" هو وصف الرسالة لغويا، وتأويلها، وشرحها، وفهمها، مع الاستعانة بالمعجم، أو القواعد اللغوية، والنحوية المشتركة بين "المتكلم"، و"المرسل إليه".

القيمـة المهيمنـة في نظر "رومان جاكبسون":

يرى "رومان جاكبسون" بأن البحث الشكلاني قد مر بثلاث مراحل أساسية: **المرحلة الأولى:** هي مرحلة تحليل الخصائص الصوتية للأثر الأدبي، في حين، اهتمت **المرحلة الثانية:** بمشاكل الدلالة في إطار نظرية الشعر، وارتكزت **المرحلة الثالثة:** على إدماج الصوت والمعنى في رحم الكل غير المنقسم، وفي هذه المرحلة بالذات، انتشر مفهوم القيمة المهيمنة "*La valeur dominante*" بشكل إجرائي واسع [1]، ويقصد بهذا المفهوم ذلك العنصر البؤري للأثر الأدبي؛ إنها تحكم، وتحدد وتغير العناصر الأخرى، كما أنها تتضمن تلاحم "البنية" [2].

بمعنى أن "القيمة المهيمنة" هي التي تحدد الأجناس الأدبية، وتكسب الأثر نوعية، فالخاصية النوعية للغة الشعرية هي، بداهة، خطاطتها العروضية؛ أي: شكلها كشعر، إن هذا القول يمكن أن يظهر كتحصيل حاصل فالشعر هو شعر، ومع ذلك فيجب للحقيقة التالية لا تغيب عن بالنا؛ وهي أن عنصرا لسانيا نوعيا يهيمن على الأثر في مجموعه "كليته"؛ إنه يعمل بشكل قسري، لا راد له، ممارسا بصورة مباشرة تأثيره على العناصر الأخرى، لكن الشعر بدوره، ليس مفهوما بسيطا، وليس وحدة غير منقسمة؛ بل هو، في ذاته، نظام من القيم، وككل نظام قيم، فهو يتوفر على سلمية خاصة لقيمه العليا والدنيا، وبين هذه القيم، قيمة رئيسية، هي المهيمنة، بدورها – في إطار حقبة أدبية معينة، واتجاه فني معين – لا يمكن للشعر أن يفهم، أو يحاكم باعتباره شعرا.

والمقصود بهذا أن الشعر قد يتحدد بالوزن، أو بالصورة، أو بالنبر، أو بالتوازي، أو بالتكرار، أو بخاصية بنيوية ما...، وتختلف هذه القيم المهيمنة من حقبة إلى أخرى، وإنه من الممكن بحث وجود مهيمنة ليس فقط في الأثر الأدبي

[1] رومان جاكبسون وإيخنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيون الروس، ص 81.

[2] نفسه، ص 81.

لفنان مفرد، ولا في الأصل الشعري، أو في مجموع أصول مدرسة شعرية، ولكن، أيضا، في فن حقبة معينة، باعتبارها كلا واحدا.

وللتمثيل، كانت "الفنون البصرية"، في عصر النهضة، هي المهيمنة، في حين، كانت "الموسيقى" هي المهيمنة في العصر الرومانسي، أما الفن اللفظي، فقد كان مهيمنا في فترة الجمالية الواقعية [1]، ومن باب التوضيح أكثر، فإن نصا ما قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى، فكل الوظائف التي حددناها سالفا متمازجة؛ إذ قد نعاينها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبة على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال، ومن هنا، تهيمن "الوظيفة الجمالية الشعرية" على "الشعر الغنائي"، في حين، تهيمن "الوظيفة التأثيرية" على الخطبة، وتهيمن "الوظيفة الميتالغوية" على النقد الأدبي، وتغلب "الوظيفة المرجعية" على النصوص التاريخية، وتهيمن "الوظيفة الانفعالية" على النصوص الشعرية الرومانسية، وتغلب "الوظيفة الحفاظية" على المكالمات الهاتفية.

وعليه، فقد كان للأبحاث حول القيمة المهيمنة نتائج مهمة في ما يتعلق بالمفهوم الشكلاني للتطور الأدبي، ففي تطور شكل إنشائي، لا يتعلق الأمر كليا بزوال بعض العناصر، وانبعاث عناصر أخرى بقدر ما يتعلق بانزلاق في العلاقات المتبادلة لمختلف عناصر النظام، فالعناصر التي كانت في الأصل ثانوية، في إطار مجموع معين من القواعد الإنشائية العامة، أو بالأحرى الخاصة في مجموع القواعد الصالحة لنوع إنشائي معين تغدو، على العكس أساسية، وفي المقام الأول، وخلافا لذلك، فالعناصر التي كانت، في الأصل، مهيمنة لا تعود لها سوى أهمية صغرى، فتغدو اختيارية [2]، وعلى العموم، تبقى القيمة المهيمنة معيارا شكليا جوهريا للتمييز بين الأجناس، والأنواع الأدبية، ويستخدم أيضا للتفريق بين الأنساق الشكلية الأدبية، ويستعمل كذلك لتفريد النصوص، وتمييزها عن بعضها البعض.

تأسيس الشعـريـة:

لقد ارتبطت "الشعرية" أو ما يسمى أيضا "بالإنشائية"، أو "البويطيقا" "*Poétique*" "برومان جاكبسون" [3]، فقد أسسها على أسس وصفية، وعلمية موضوعية، من خلال التركيز على "الأدبية" "*Littérarité*"، و"القيمة المهيمنة"، و"العناصر البنيوية" التي تميز جنسا أدبيا عن الآخر، ومن ثم، فقد كان يقارن بين لغة الشعر ولغة النثر العادية، في ضوء مقاربة بنيوية لسانية، وكان هدفه الأساس هو البحث في أدبية النص استبدالا وتأليفا، وقد ركز كثيرا على دراسة الشعر لسانيا، باحثا عن قواعده وقوانينه من خلال مقارنته بالكلام اليومي، وبالتالي، فقد كان يعنى باستقراء المعطيات النصية "الصوتية"، و"الإيقاعية"، و"النغمية"، و"الصرفية"، و"التركيبية"، و"البلاغية"، و"الدلالية"، ضمن نسق تفاعلي كلي، تترابط فيه العناصر البنيوية جميعها إن إيجابا وسلبا، وإن تفكيكا وتركيبا، وقد اهتم بالخصوص باللغة الشعرية، وربط

---

[1] رومان جاكبسون وإيخنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيون الروس، ص 82، 83.

[2] نفسه، ص 84، 85.

[3] ينظر في ذلك إلى كتاب:

R. Jakobson, Linguistique et poetique, Essais de linguistique generale. Les Éditions de Minuit,Paris, France, 1963 .

الصوت بالدلالة، مع تصنيف المعطيات المبنية في النص الشعري، بغية رصد "الوظيفة الجمالية"، أو "الشعرية" التي تتحقق في النص، ودراسة الدوال اللفظية باعتبارها علامات سيميائية.

ومن جهة أخرى، فقد قد اهتم بالتوازي، أو التعادل حينما تحدث عن "الوظيفة الجمالية" القائمة على إسقاط محور الانتقاء، أو الدلالة على محور التركيب، أو التأليف، ومن ثم، لا يقتصر التوازي على الإيقاع فقط، بل يمتد ليشمل التركيب، والدلالة معا، وفي هذا الصدد، يقول "جاكبسون": "كل مقطع، في الشعر، له علاقة توازن بين المقاطع الأخرى في المتتالية نفسها، وكل نبر لكلمة يفترض فيه أن يكون مساويا لنبر كلمة أخرى، وكذلك، فإن المقطع غير المنبور يساوي المقطع غير المنبور، والطويل عروضيا يساوي الطويل، والقصير يساوي القصير، وحدود الكلمة تساوي حدود الكلمة، وغياب الحدود يساوي غياب الحدود، وغياب الوقف يساوي غياب الوقف؛ فالمقاطع تحولت إلى وحدات قياس، والشيء نفسه تحولت إليه أجزاء المقاطع وأنواع النبر" [1].

وأهم مقال فصل فيه "جاكبسون" مبدأ التوازي، أو التعادل مقاله المعنون بـــ "نحو الشعر وشعر النحو" [2]، بيد أن هذا المبدأ قد انتقده كثير من الباحثين، خاصة "جان كوهين" "*Jean Cohen* " [3]؛ وذلك لأن التعادل لا يتوافر في الشعر كله، لا يتوافر في القصيدة جميعها، ومن ثمة، فإنه ليس مكونا من المكونات الشعرية، وإنما يصح أن يسمى خاصة ثانوية محتملة قد تحضر، وقد تغيب [4].

كما اهتم "جاكبسون"، ضمن تحليله "للوظيفة الجمالية"، أو "الشعرية" بالمحورين: "الاستبدالي"، و"التركيبي"، وعلاقتهما "بالاستعارة"، و"الكناية"، فقد أثبت بأن الاستعارة شعرية، أما الكناية فهي واقعية، وقد تطورت هذه الفكرة نتيجة البحث في الاضطراب العقلي، وفقدان القدرة على الكلام "الأفازيا"، ففي جملة **"عبرت السفينة البحر"**، يمكن أن تكون الجملة مجازية، أو استعارية عن طريق اختيار فعل مختلف، على سبيل المثال، بمقارنة حركة السفينة بحركة المحراث **"حرثت السفينة البحر"**، والكناية هي استخدام وسيلة سمة شيء ما للإشارة إلى الأمر برمته، فعلى سبيل المثال، يمكن أن يشير العمق للبحر **"وعبرت السفينة العمق"**، تعتمد الاستعارة على مزيج من الأشياء ليست بالضرورة أن تكون مرتبطة، أو متجاورة، بينما تستخدم الكناية السمات المرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا [5].

واعتمادا على هذا التمييز، يمكن التفريق بين المدارس، والاتجاهات الأدبية، فالمدرسة الرومانسية استعارية، في حين، تعد المدرسة الواقعية كنائية، وفي هذا يقول "جاكبسون": "وقد تم الاعتراف بأسبقية العملية الاستعارية في المدارس الأدبية الرومانسية، والرمزية مرارا وتكرارا، ولكنها لاتزال غير مدركة أن الكناية هي الغالبة، والتي تكمن وراء ما يسمى

---

[1] *R. Jakobson, Linguistique et poetique, Essais de linguistique generale, p 220.*

[2] *R.Jakobson, Huit questions de Poetique, Point, Paris, France, 1977, pp: 88 - 108 .*

[3] *Jean Cohen, Le haut Langage, Flammarion, Paris, France, 1979, p 16.*

[4] ينظر: محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1989 م، ص 46.

[5] ينظر: دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ص 38، 39.

"بالاتجاه الواقعي" الذي ينتمي إلى مرحلة وسيطة بين انحدار "الرومانسية"، وصعود "الرمزية"، وتعارض هذه العملية كل منهما على حد سواء [1].

وعليه، فقد أثرى "رومان جاكبسون" "الشعرية" بأجوبة كثيرة، ومقنعة، كان يطرحها النقاد، ودارسو الأدب بإلحاح شديد، مثل: ما الذي يميز الأدب ؟، وكيف يمكن تصنيف الأجناس، والأنواع الأدبية ؟، وكيف يمكن التمييز بين المدارس، والاتجاهات الأدبية، والفنية ؟، وكيف يمكن تحليل الأثر الأدبي تحليلا بنيويا لسانيا، وشكلانيا ؟!!.

وخلاصة القول

فإن "رومان جاكبسون" يعد من أهم الشكلانيين الروس الذين خاضوا في "الشعرية" انطلاقا من مقاربة بنيوية لسانية، ويعتبر أيضا من مؤسسي "نظرية الأدب" على أسس علمية موضوعية، من خلال الاسترشاد باللسانيات، والاستفادة من نظرياتها تصورا، وتطبيقا.

وكذلك، يكفيه فخرا أنه من المؤسسين الفعليين "للشعرية الإنشائية"، ومن اللسانيين الأوائل الذين أرسوا دعائم "النحو الكلي"، خاصة في مجال "الفونولوجيا"، وبالتالي، فهو صاحب "نظرية السمات المميزة" في دراسة "الفونيمات"، ولا ننسى جهوده الجبارة كذلك في مجال "الأفازيا"، ودراسة "الاستعارة"، و"الكناية"، وتصنيف الأجناس، والأنواع الأدبية وفق القيمة المهيمنة.

وأهم ما يمتاز به "رومان جاكبسون" أنه قد أرسى لبنات "علم التواصل" وفق الأنظمة اللسانية، على أساس أن اللغة الإنسانية لها وظيفة أساسية تتمثل في التواصل، وبالتالي، فإنها تستند إلى ستة عناصر، وست وظائف أساسية تابعة لها.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
2. استيتية سمير شريف، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتاب الحديث، عمان، الأردن، ط 02، 2008 م.
3. جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، افريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2016 م.
4. دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط 01، 2010م.
5. ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، المكتبة الثقافية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1993 م.
6. رومان جاكبسون وإيخنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيون الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، المملكة المغربية، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م.

[1] نفسه، ص 39.

7. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م.
8. سيزا قاسم، السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد "مدخل إلى السيميوطيقا"، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014 م.
9. صلاح فاضل، نظرية البناء في النقد، منشورات الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1985م.
10. صلاح فضل، في النقد الادبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 م.
11. طاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م.
12. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1413 هج، 1993 م.
13. فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة الوالي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 2000 م.
14. محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1989 م.
15. ميخائيل باختين، شعرية دويستفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1986 م.
16. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *C. Levi-Strauss et R. Jakobson, Les Chats de Charles Baudelaire, L'Homme, revue francaise d'anthropologie, n° 1, 1962.*
2. *Henry Kučera, Roman Jakobson, Language, vol. 59, no 4, décembre 1983.*
3. *Jean Cohen, Le haut Langage, Flammarion, Paris, France, 1979.*
4. *R. Jakobson, Linguistique et poetique, Essais de linguistique generale, Les Éditions de Minuit,Paris, France, 1963 .*
5. *Tzvetan todorov, roman jakobson, reponses, revue poétique , N 57, le seuil, paris, France, 1984.*

المحاضرة الرابعة

مدرسة براغ 1

"مدرسة براغ اللغوية"؛ فمن مفهوم، أو مصطلح "الوظيفة" جاءت تسمية "مدرسة براغ اللغوية" [1]؛ إذ يسعى اللساني في هذه المدرسة إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب؛ أي: يبحث عن الوحدات التي يمكنها أن تغيير المعنى كلما استبدلت بأخرى، فتغير معنى الوحدات اللغوية دليل على أن لها "وظيفة".

فمدرسة "براغ اللغوية" اهتمت بمفهوم "الوظيفة" لا بل نال هذا المفهوم اهتماماً أكثر من غيره، نظراً لأهميته، من كونه يعنى بالقيمة الاتصالية للغة، وما يمكن أن تشتمل عليه من مستويات نتعرف من خلالها، على مختلف الوظائف التي تضطلع بها علاقات هذه اللغة داخل أنظمتها المختلفة، وبناء عليه فإذا أراد الباحث تحليل المدونة اللسانية تحليلا وظيفيا، عليه أن يحصي مجموعة الوحدات اللغوية، ثم يرتبها من حيث الشبه والاختلاف – أي: يقابل بينها –، وحينها تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الذاتية؛ أي: "وظيفتها"، ومثال ذلك [2]:

قال	الرجل
سافر	الرجل
ذهب	الرجل

من خلال الملاحظة السريعة لهذه المدونة – على "المستوى الافرادي" – تظهر أن ثمة ثلاث وحدات لسانية مختلفة من حيث البناء، وإن هذا التقابل هو الذي يعكس الفوارق الدلالية بينها، مما يؤكد أن لكل كلمة "وظيفة" داخل التركيب، فالبنية نظام تحولات، والتحولات علاقات لعناصر البنية؛ أي: دخول عنصر في البنية مع عنصر آخر في علاقة متبادلة، أو دخول جملة مع جملة، أو نص مع نص، هذه العلاقة هي ما يمكن أن نطلق عليه تسمية "الوظيفة" " *Fonction*"؛ فالوظيفة، إذن، هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين مكونات البنية، وفاعلية هذه المكونات بالنظر إلى نشاطها الذي يمارسه كل عنصر منها داخل المجموعة التي ينتمي إليها، وليس هناك أية قيمة يمكن لأي عنصر أن يمتلكها بشكل منعزل، وإنما يكتسب مثل هذه القيمة بالعلاقة التي يشكلها مع عنصر آخر، أو مع عناصر أخرى، فيكون الكشف عن هذه العلاقات التي تتواصل من خلالها عناصر البنية هو كشف عن وظائف البنية ذاتها [3].

إذن، فالتحليل الوظيفي يعمل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام وأساسه، مع النظر إلى أن كل تركيب، أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة، ومن هنا، لا يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام الذي تندرج في علاقاته، فالنظام هو تنظيم لعلاقات البنية وضبطها، وليس هذا التنظيم سوى علاقات قواعدية محكمة للعناصر المتشكلة والمتفاعلة فيه، والتي هي وظائف ذاتها، نتمكن بالكشف عنها من معرفة طرق الاستخدام اللغوي، وغاياته.

---

[1] جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417 هج،1997 م، ص 105، وينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000 م، ص 86.

[2] شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م، ص 17.

[3] ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 86.

حلقة براغ اللغوية

تعد "حلقة براغ اللغوية" "*Cercle Linguistique de Prague*" أفضل من يُمثل "الاتجاه الوظيفي" في دراسة اللغة؛ وقد نشأت في أحضان "نادي براغ اللساني" الذي أنشأه العالم التشكي "فيلام ماثيسيوس" " *Vilem Mathesius* وبعض معاونيه سنة 1926 م [1]، وعُرفت "بالمدرسة الوظيفية" "*Fonctionnalisme*" أو "الفونيمية"، وبلغت ذروتها في الثلاثينيات، وتحديدا عندما انظم اليها سنة 1928 م ثلاثة لسانيين روس وهم: "رومان جاكبسون" "*Roman Jakobson*"، و"سيرجي كارسفسكي" "*Sergueï Kartsevski*"، و"نيكولاي تروبتسكوي" "*Nikolay Trubetskoy*" [2]، ومنذ 1930 م ازداد توسع المدرسة لينظم إليها لفيف من اللسانيين الفرنسين من أشهرهم، "أندريه مارتينيه" "*André Martinet*"، و"إميل بنفست" "*Émile Benveniste*"، وغيرهم من لسانيين أوربيين، وما زال نفوذها إلى الآن عندما قام لسانيون بعد وفاة "فيلام ماثيسيوس" بإحيائها من جديد رسميا في نوفمبر 1992 م، ومن أبرزهم "بيتر سغال" "*Peter Segal*"، و"ايفا هاجيكوفا" "*Eva Hagicova*" [3]، وواصلت أفكار "مدرسة براغ اللغوية" ازدهارها في أمريكا (نيويورك، هارفاد ...) ممثلة في أعمال "رومان جاكبسون"، زد على ذلك "الدراسات اللسانية" التي ظهرت في "فرنسا" مع مطلع القرن العشرين بإشراف "الجمعية اللسانية الباريسية"، والتي كان من أولويات بحثها:

-الدرس التاريخي من خلال أعمال "أنطوان ماييه" "*Antoine Maillé*".

-دراسات صوتية تبحث في الجانب الفسيولوجي السمعي للكلام، من خلال مؤلفات "روسلو"، و"جاستون"، و"باري وفندريس" في كتابه ذايع الصيت "اللغة".

-العناية بالدراسات التقابلية في ميدان "علم التراكيب" بخاصة بين "الفرنسية" و"الإنجليزية" من خلال أعمال "أنطوان كوليولي" "*Antoine culioli* "، و"هنري آدام زويسكي" "*Henry Adams Xueski*" [4].

ويذكر "بيتر شتينر" "*Peter Stiener* " أن تسمية "حلقة براغ اللغوية" " *Cercle Linguistique de Prague*" وضعت على غرار تسمية "حلقة موسكو اللغوية" "*Cercle Linguistique de Moscou*" خاصة وأنها تضم في صفوفها عضوين من أبرز أعضاء حلقة موسكو هما "جاكبسون"، و"بوجاترف" "*Petr Bogatyrëv*"؛ لذا فصلة النسب قوية بين "الشكلية" و"حلقة براغ اللغوية"، فالكثير من الشكليين كانوا قد ألقوا محاضرات في "براغ" في العشرينيات [5].

---

[1] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 136.

[2] ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م، ص 103.

[3] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2011 م، ص 70.

[4] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م، ص 240.

[5] ينظر: دراقي الزوبير، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 م، ص 84.

وعلى الرغم من هذه العلاقة القوية، يعلق "تيري إيجلتون" "*Terry Eagleton*" على "حلقة براغ اللغوية" قائلا: "إن "مدرسة براغ للغويات" – "جاكبسون"، و"يان موكاروفسكي" "*Jan Mukarovsky* "، و"فيليكس فوديتشكا" "*Felix Vodicla*"، وغيرهم – تمثل نوعا من الانتقال من الشكلية إلى "البنيوية الحديثة" "*Structuralisme moderne*"، فقد طوّر أعضاؤها أفكار الشكليين، لكنهم نظموها نسقيا على نحو أكثر رسوخا في إطار لغويات "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*"، أصبح من الواجب النظر إلى القصائد باعتبارها "بنيات وظيفية"، تكون فيها الدالات والمدلولات محكومة بمنظومة واحدة مركبة من العلاقات، ويجب دراسة هذه العلامات لذاتها، وليس كانعكاسات لواقع خارجي: لقد ساعد تأكيد "دي سوسير" على العلاقة التعسفية بين "العلامة والمرجع"، وبين "الكلمة والشيء"، على فصل النص عن الوسط المحيط به وجعله موضوعا مستقلا" [1]، ولقد تم التحول من المفهوم الشكلي "للأدب"، إلى مفهوم "حلقة براغ اللغوية"، عبر ثلاث مراحل تغيرت فيها النظرة "للأدب" من كونه:

1- حصيلة تجمع "لأدوات"، تعمل على نزع الألفة عما هو معتاد، لكي تغير من إدراكنا لهذا المعتاد.

[إلى كونه] 2- نظام من "الأدوات" التي تعمل عبر وظائف "تزامنية" "*Synchronique*"، و"تعاقبية" "*Diachronique*" محددة.

[لكي ينظر إليه على أنه] 3- علامة مستخدمة في سياق له "وظيفة جمالية" "*Anesthétique Fonction*".

ويفسر "ماثيسيوس" سرعة انتشار، وتقبل أفكار "حلقة براغ اللغوية" بالنجاحات العلمية السريعة التي أنجزتها الحلقة، وهي نجاحات لم تكن أبدا وليدة الصدفة كما يقول "فيلام ماثيسيوس"، وإنما وليدة "مطلب ثقافي حاد"، نبع من احتياج العالم للعلمية في القرن العشرين، لذا "فحلقة براغ اللغوية"، تعد خطوة تطورية في المسيرة الفكرية للقرن العشرين، فهي "مرحلة لما بعد الوضعية" في مجال الدراسات اللغوية والأبحاث الشعرية.

ويذكر "ليبومار دوليزل" "*Lubomír Doležel*" أن "حلقة براغ اللغوية" أقامت أسسها "الإبستيمولوجية" "*Epistémologie* "، عن طريق إعادة صياغة الاهتمامات التقليدية حول دراسة "الأدب"؛ لتنتقل بها إلى أفق أخرى أبعد، أفق "ما بعد وضعية" [2]، وهي تفعل ذلك بالاستناد إلى أربعة عناصر رئيسية:

أولها: دراسة "الأدب" طبقا للفكر العلمي الحديث، الذي تبني النزعة البنيوية في ذلك الوقت.

وثانيها: دراسة الأسس الشعرية للأعمال الأدبية من "منظور تجريبي"، يهدف إلى توضيح إشكالاتها، والتعليق على هذه الإشكالات "بلغة شارحة" "*Métalangage*" تتبنى "المنظور الوصفي"، بهدف توضيح تلك المتغيرات الثابتة، أي: تلك المتغيرات التي نجدها موجودة بنسب مختلفة في أي عمل أدبي.

وثالثها: دراسة الفئات المختلفة من الشعرية، ووصفها بشكل واضح في مجموعة من الأعمال الأدبية المحددة.

أما رابعها: فهو التمييز بين القارئ العادي، وبين القارئ الدارس الذي لديه خبرة في التعامل مع الأعمال الأدبية، و"حلقة براغ اللغوية" توجه اهتمامها الأساسي لهذا القارئ غير العادي، أو على الأقل ما تقدمه "الحلقة" من تحليلات

[1] تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 01، 1995 م، ص 124.

[2] ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 107.

وتفسيرات تقدمه على مستوى هذا القارئ المميز، الذي يملك خبرة تمكنه من إدراك بعض أشياء في الأعمال الأدبية، وفي التحليلات النقدية، ربما لا يستطيع الفرد العادي إدراكها على نحو دقيق.

وفي ظل هذا الإطار الخاص "بحلقة براغ اللغوية" وفي ظل الملمح السائد في الدراسات اللغوية بعامة، التقط كلا من "جاكبسون" و"يوري تينيانوف" "*Yury Tynyanov* " ذلك الملمح وناقشاه وقدماه في عام 1928 م فيما سمي "بالأطروحات"، وبعد ذلك بعام – أي في عام 1929 م – صاغ "جاكبسون" مصطلح "البنيوية" "*Structuralisme*" في مجال الدراسات الأدبية، وعرفها بشكل واضح في النص التالي: "إن كان علينا أن نحدّد الفكرة التي تقود العلم الحالي بتجلياته الأشد تنوعا، فمن الصعب أن نقع على خيار أنسب من "البنيوية"، فالعلم المعاصر لا يعالج أية مجموعة من الظواهر التي يتفحصها بوصفها كتلة ميكانيكية، وإنما باعتبارها كلا بنيويا، أو نظاما تتمثل المهمة الأساسية بالكشف عن قوانينه الداخلية سواء كانت سكونية أم تطورية، ويبدو أن المنبه الخارجي لم يعد بؤرة الاهتمامات العلمية، بل الأسس الداخلية للتطور؛ فالتصور الميكانيكي للسيرورات، أو العمليات يخلي الطريق للسؤال المتعلق بوظيفة هذه السيرورات" [1].

وهذا النص بهذه الصياغة، يعد أوضح تعريف "للبنيوية" في صورتها الأساسية، و"جاكبسون" هنا يحاول أن يصنع منها استراتيجية بحث علمية، يُبحَث من خلالها في "النصوص الأدبية" المختلفة، وعلى هذا "فالبنيوية" كما تبدو هنا، هي منهج بحثي يحاول أن يعمل على تحقيق العناصر التالية، عند تعامله مع أية مجموعة محددة من الظواهر [2]:

1- النظر إلى مجموعة الظواهر هذه على أنها تشكل كلا واحدا متكاملا، وليس كلا ميكانيكيا به بعض انفصال بين عناصره المختلفة.

2- هذا الكل المتكامل له قوانينه، وأنظمته الداخلية التي تحكمه، وتحكم سيرورته، وهذه القوانين تنقسم بين كونها قوانين سكونية [تزامنية] وأخرى تطورية [تعاقبية].

3- هدف ووظيفة البحث هو الكشف عن هذه القوانين، وعن هذه الأنظمة التي تحكم هذا الكل المتكامل، وتحكم سيرورته.

4- البحث في هذه القوانين يجب أن يتم عن طريق التركيز على هذه الظواهر نفسها، دون النظر إلى أية منبهات، أو علاقات أخرى تقع خارج هذه الظواهر.

وهكذا فإن طموح "حلقة براغ اللغوية" كان طموحا كبيرا فيما يخص الوقوف على العناصر التي تحقق الأدبية في الأعمال المختلفة؛ لذا حاولت صياغة نظرية ذات "طابع نسقي"، تقيمه على أساس تحديد ما هو جوهري وأساسي في "الأدب"، عن غيره من باقي العناصر التي ليست شرطا في تحقيق الأدبية، وقد نجحت بالفعل في الوصول إلى نتائج ذات أهمية كبيرة في دراسات أعضائها حول "الشعر التشيكي"، لكن الأحداث التي تلت ذلك، لم تُمهِل أعضاءها الوقت الكافي لكي يحققوا ما يريدونه، فمع الغزو الألماني "لتشيكوسلوفاكيا" أُغلِقت الجامعات بأمر من "النازية"، في نوفمبر عام

---

[1] جوناثان كولر، الشعرية البنيوية، ترجمة السيد إمام، دار شرقيات، القاهرة، مصر، 2000 م، ص 80، وينظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001 م، ص 96، 97.

[2] ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 87، 88.

1939 م، وعلى الرغم من مواصلة أعضاء الحلقة لاجتماعاتهم في منازلهم الشخصية، إلا أنه مع استئناف نشاط "الحلقة" في جوان عام 1945 م وكان الكثير من أعضائها المهمين قد رحلوا، سواء بالوفاة الطبيعية كـ"فيلام ماثيسيوس" "*Vulém Mathesieus*"، و"نيكولاي تروبتسكوي" "*Nikolay Trubetskoy*"، أو بالنفي والإبعاد "كجاكبسون".

وعلى الرغم من أن "موكاروفسكي" "*Jan Mukařovský*" قد زار "باريس" "*Paris*" في عام 1946 م، وألقى فيها محاضرة عن "البنيوية" في "معهد الدراسات السلافية" "*L' Institut d' Etudes Slaves*"، إلا أن هذه المحاضرة لم تُنشر، ولم يكن لها أثر يذكر في الثقافة الفرنسية [1]، وبالتالي فإن "البنيوية" لم تنتقل من "حلقة براغ اللغوية" بشكل مباشر إلى "فرنسا"، رغم قرب المسافة في القارة الأوروبية بينهما، وإنما انتقلت عبر وسيط آخر هو "كلود ليفي شتراوس" "*Claude Lévi-Strauss*" الذي عَرف "البنيوية" من "جاكبسون"، وذلك في "الولايات المتحدة الأمريكية" بعدما رحل "جاكبسون" إليها في عام 1939 م؛ وهو ما أدى إلى انتقال "البنيوية" من "تشيكوسلوفاكيا" إلى "الولايات المتحدة الأمريكية"، وقد عمل "شتراوس" على الاستفادة من "البنيوية" في حقله التخصصي "الأنثروبولوجيا"، وفي المحور القادم أتناول صنيعه هذا وأثره على "البنيوية".

فـ"حلقة براغ اللغوية" أفادت كثيرا من أصول "مدرسة سوسير" أو "أفكار سوسير" ولكنها غيرت بعض هذه الأصول وطورت بعضها الآخر، وكان من أشهر مؤسسي هذه المدرسة "نيكولاي تروبتسكوي" "*Nikolay Trubetskoy*"، و"رومان جاكبسون" "*Roman Jakobson*" [2]، لقد وضعت هذه المدرسة نظرية كاملة في التحليل الفونولوجي، وأقامت هذه النظرية على تصور خاص "للفونيم" "*phonème*"، ولم يكن هذا التصور إلا منبعثا من "ثنائية سوسير" المعروفة، وهي "اللغة / الكلام" "*Parole / langue*"؛ "فالفوينم" عند "تروبتسكوي" يكون مرة من "اللغة" بوصفها نظاماً متعارفاً عليه في بيئة معينة، ويكون مرة أخرى من "الكلام" الذي هو ممارسة فعلية فردية للغة، فحين يكون "الفونيم" من اللغة يكون وحدة صوتية معزولة عن غيرها، فلا ينظر لوظيفتها اللغوية، ولا إلى دورها في المعنى، و"الفونيم" هنا يدرس ضمن فرع من "علم اللغة" هو "علم الأصوات اللغوية".

وقد كان لظهور "نظرية الفونيم" التي هي من ثمار "مدرسة براغ اللغوية" أثر كبير في تطور الدراسة اللغوية عامة، والدراسة الصوتية خاصة، إذ استطاعت أن تحل كثيرا من المشكلات العلمية، ولاسيما في تعلم اللغات، وتعليمها، وساعدت كذلك على تحديد أخطاء النطق، وتعيين الاتجاه الصحيح لعلاج هذه الأخطاء [3]، ولم تقف "حلقة براغ

---

[1] *Lubomír Doležel, Structuralism of the Prague School, IN: The Cambridge History Of Literary Criticism, Volume VIII, From Formalism to Poststucturalism, ED: Raman Selden, Cambridge University Press, New York, 2005, P.36*

[2] ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 115.

[3] ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 93.

اللغوية" عند وضع "نظرية الفونيم"، بل أمدت الدرس اللغوي المعاصر بمقولات وأفكار أخرى، تضمنها برنامجها الذي اعلنته عام 1929 م، وهو يعد لونا جديدا من النظر اللغوي، وجه علماء اللغة إلى ألوان من أخرى من البحث.

ومن أفكار "حلقة براغ اللغوية" ذات الأثر الكبير في الدرس اللغوي، تحديد الوظيفة الحقيقية للغة، التي تتمثل "بالاتصال"، وما أثارته هذه الوظيفة من أسئلة في ذهن اللغوي مثل: كيف يتم الاتصال ؟، ولمن يوجه ؟، وفي أي مناسبة ؟، وغير ذلك، ومن أفكار هذه "المدرسة" أن اللغة ظاهرة طبيعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجة عنه، يتعلق بعضها بالبيئة الاجتماعية ويتصل بعضها الآخر بالسامع، ويرجع قسم ثالث إلى الموضوع الذي يدور عليه الكلام، ونتيجة لهذه الفكرة برز في "الدرس اللغوي الحديث" ما يعرف بمستويات الاستعمال اللغوي، "كاللغة الثقافية"، و"اللغة الأدبية"، و"اللغة العامية"، ومما دعت إليه "حلقة براغ اللغوية" الكشف عن تأثر اللغة بكثير من الظواهر "العقلية"، و"النفسية"، و"الاجتماعية"، وقد قادت هذه الفكرة إلى ظهور ثلاثة فروع في علم اللغة هي: "علم اللغة النفسي" "*Psycholinguistique*"، و"علم اللغة الاجتماعي" "*Sociolinguistique* "، و"علم الأسلوب" أو "الأسلوبية" "*Stylistique*"، وكان اللون الأخير من البحث اللغوي قد ظهر على يدي "جاكبسون"؛ إذ رأى أن دراسة الشعر هي جزء من دراسات علم اللغة، وقال عنها: أنها الدراسة اللغوية للوظيفة الشعرية، وكأنه كان يرى أن الشعر هو إحدى وظائف اللغة.

أقطاب "حلقة براغ اللغوية"

سميت "حلقة براغ اللغوية" بـــ"المدرسة الوظيفية" انطلاقا من تحديدها لمنهجها باعتبارها اللغة نظاما وظيفيا يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، وباعتقادها أن البنى "الصوتية"، و"القواعدية"، و"الدلالية" محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها، لذلك يجب أن تكون دراستها دراسة وظيفية محضة، فالباحث فيها يحاول دائما أن يكشف ما إذا كانت كل القطع الصوتية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة في التبليغ أم لا .

فمن خلال هذا المنهج في الدراسة استقطبت "حلقة براغ اللغوية" العديد من علماء اللسانيات الشباب إلاّ أن الشخصيات الأساسية فيها انقسمت إلى:

أ – اللسانيون التشيك: يتقدمهم "فيلام ماثيسيوس" "*Vulém Mathesieus*"، و"ترنكا" "*B. Trnka*"، و"هافرانك" "*Bohuslav Havránek*"، و"فاشيك" "*Josef Vachek*".

ب – اللسانيون الروس: يتقدمهم "نيكولاي تروبتسكوي" "*Nikolay Trubetskoy*"، و"سيرجي كارسفسكي" "*Sergueï Kartsevski*"، ويضاف إليهم "رومان جاكبسون" "*Roman Jakobson*"، بالإضافة إلى بعض اللسانيين الفرنسيين: كـ"أندريه مارتينيه " "*André Martinet*"، و"إميل بنفنيست" "*Émile Benveniste*".

وسنقصر الحديث على بعض الأعلام فاخترنا من اللسانيين التشيك "فيلام ماثيسيوس"، ومن اللسانيين الروس "نيكولاي تروبتسكوي"، ومن اللسانيين الفرنسيين "أندريه مارتينيه"، وما قدّمه هؤلاء من جهود جبارة للبحث اللساني البراغي، بخاصة في مجال "الفونولوجيا".

فيلام ماثيسيوس

ولد "فيلام ماثيسيوس" [1] "*Vulém Mathesieus*"، في الثالث من أوت عام 1882 م في " باردوبيتسه" "*Pardubice*" "بجمهورية التشيك" "*République tchèque*"، وتوفي 12 أبريل 1945 في "براغ"، لغوي، ومؤرخ، وأديب، ومن علماء اللغة الانكليزية التشيك، ويعتبر المؤسس وأول رئيس "للحلقة براغ اللغوية" عام 1926 م، وممثل اللسانيات البنيوية، وكان أول أستاذ للغة الإنجليزية في "جامعة تشارلز" في براغ " *Université Charles de Prague*" عام 1912 م، ومن مجالات اهتمامته الرئيسية النحو، وعلم الأصوات، واللسانيات العامة، وأعرب عن اعتقاده في إمكانية دراسة اللغة كظاهرة مستقلة عن الظروف.

يعتبر "فيلام ماثيسيوس" من أشهر العلماء في "اللسانيات"، و"اللغة"، و"الأدب الإنجليزي"، شغل منصب أستاذ اللغة الإنجليزية "بجامعة كارولين الأمريكية" "*Université de la Caroline*"، وكان نداءه الأول حول منهج جديد غير تاريخي سنة 1911 م حين نشر مقال بعنوان "حول كمونية الظواهر اللغوية" – أي: ما استخفى وكمن في الظاهرة اللغوية –، ومن أهم الأبحاث التي قام بها استعماله للدراسة الوظيفية للتميز بين النحو، والأسلوبية [2].

ومن أهم إسهامات "فيلام ماثيسيوس" التي نال بها شهرة كبيرة في اللسانيات، تمييزه بين مفهومي "الموضوع" و"الخبر"، وتطويره لمنظور الجملة الوظيفي: حيث اعتبر الموضوع: هو الاسم الذي تخبر عنه الجملة، أو الكلمة التي هي محور الكلام في الجملة، والخبر هو كل ما يقال عن موضوع الكلام، إلى غير ذلك.

فاللساني "ماثيسيوس" يرى أن الجملة تنقسم إلى "موضوع وخبر"، والفرق بينهما هو دلالة الأول على فكرة معروفة، ودلالة الثاني على فكرة جديدة نعلمها من تضام الموضوع مع الخبر [3].

وليس من الصعب أن نكتشف من خلال تعريف "الموضوع والخبر" أنها يقابلان "المسند والمسند إليه" في النحو العربي، وإن نحن تمعنا قليلا لوجدنا ما يشترطه "ماثيسيوس" فيهما هو ما يشترطه علماء العربية في أقسام الجملة (المبتدأ والخبر)، فالأصل في المبتدأ (في العربية) أن يكون معرفة، وفي الخبر أن يكون نكرة، لأنك إذا قدمت حكما مألوفا، ومعلوما لدى المخاطب لن تجد فائدة في إعادة إبلاغه له، اللهم إلا إذا كان على سبيل التذكير، والأمر نفسه بالنسبة للمبتدأ، فهو في جملته محكوم عليه، ولا بد أن يكون المحكوم عليه معروفا، فإن لم يكن كذلك فما فائدة المخاطب، أو السامع في معرفة الحكم، فالغرض من الإخبار إفادة السامع ما ليس عنده، وتنزيله منزلتك في علمك بذلك الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه، فإن قلت: رجل قائم، أو عالم، أو مريض ... وما إلى ذلك من الأخبار، لم يكن في كلامك ما يفيد السامع، لأنه ليس من الغريب، وليس بالجديد أن يكون هناك رجل قائم، أو عالم، أو مريض في هذا

---

[1] ينظر إلى تعريف "فيلام ماثيسيوس" في المراجع الآتية:

أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 139.

Larousse, Vilém Mathesius, 2017.
Ressources de la Bibliothèque nationale de France, Vilém Mathesius, 2017.
Toman, Jindrich, The magic of a common language : Jacobson, Mathesius, Trubetzkoy and the Prague Linguistic Circle, Cambridge, 1995.

[2] ينظر: محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 71.

[3] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 139.

الوجود، ممن لا يعرفهم المخاطب، وليس هذا ما ينتظر السامع أن يسمعه، فإذا اجتمع في الكلام معرفة ونكرة كانت المعرفة مبتدأ والنكرة خبرا، لأنك إذا ابتدأت بالاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت فإنما ينتظر الذي لا يعلمه.

نيكولاي تروبتسكوي

"نيكولاي سرغي نيكولايفتش تروبتسكوي" [1] "*Nikolay Sergeevitch Trubetskoy*" عالم باللغات، واللسانيات، وأحد مؤسسي "حلقة براغ اللغوية"، روسي من أسرة عريقة توارثت لقب الإمارة في "روسيا"، و"ليتوانيا" "*Lituanie*" قروناً عدة، واشتهر منها قادة عسكريون، ومفكرون، وعلماء، كان أبوه الأمير "سرغي نيكولايفتش تروبتسكوي" فيلسوفاً، و"عالم لاهوت" – علم دراسة الإلهيات دراسة منطقية ويسمى هذا العلم "بالإلهيات "*Théologie*" –، وباحثاً اجتماعياً، وأول رئيس منتخب "لجامعة موسكو" عام 1905 م.

ولد "تروبتسكوي" في "موسكو" "*Moscou*" – عاصمة الاتحاد السوفياتي سابقا – وتوفي في "فيينا" "*Vienne*" – عاصمة "النمسا" "*Autriche* " –، وتلقى علومه الأولية في إحدى مدارس "موسكو"، انكب على دراسة "الأثنوجرافيا" "*Ethnographie*" – علم وصف الأعراق البشرية –، و"الفيلولوجيا الفنلندية الأغريّة، والقوقازية"، وهو لا يتجاوز الثالثة عشر، فدرس اللغات "الفلندية الأغرية" – لغات تنتشر من شرق أوربا شمالا إلى المجر جنوبا، وتنتمي هذه اللغات إلى العائلة الأورالية الألطية، وتدعى هذه اللغات أيضا اللغات الأورالية، وأمثلتها اللغة الفلندية، والاستونية، والهنغارية – ، نشر مقالين علميين، وهو لا يتجاوز الخامسة عشر، أتم دراسته الجامعية في "جامعة موسكو" عام 1913 م، ثم انتقل إلى جامعة "لايبزيغ" "*Leipzig* " في "ألمانيا" حيث تلقى محاضرات في علوم اللغة 1913 – 1914 م، وبعدها عاد ليزاول دراسة "اللسانيات الهندو أوربية" في "جامعة موسكو" وبعد مناقشته حولها أصبح أستاذا بالجامعة سنة 1916 م، وبعدها عمل أستاذاً في "جامعة روستوف" "*Université de Rostov*" عام 1918 م، إلا أنه اضطر إلى مغادرة "روسيا" بعد "الثورة البلشفية"، وإخفاق "حركة الروس البيض"، وسيطرة النظام السوفييتي، فر إلى "إسطنبول" "*Istanbul*" عام 1919 م، وبعدها أقام في "براغ" ثم في "فيينا" عام 1922 م حيث درس "فقه اللغة السلافية"، وفي هذه الفترة أي ما بين 1919 و 1922 م أوكل إليه كرسي "اللسانيات الهندو أوربية" في "صوفيا" "*Sofia* " – عاصمة "جمهورية بلغاريا" "*Bulgarie*" –، وعين بعد ذلك في كرسي "الفيلولوجيا السلافية" في "فيينا"، ومنذ ذلك الوقت أصبح عضوا بارزًا في "نادي براغ اللساني".

تفرغ "تروبتسكوي" للبحث في تاريخ اللغات السلافية، والدراسات التاريخية المقارنة للغات شمالي "القوقاز" "*Caucase*" – الداغستانية، والأبخازية، والأديغية وغيرها – انضم إلى "الحركة الأوراسية"؛ وهي تيار معارض ظهر عام

[1] ينظر إلى تعريف " نيكولاي تروبتسكوي" في المراجع الآتية:

ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 235، 236، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 141، ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 109.

Anderson Stephen R, Phonology in the Twentieth Century, Theories of Rules and Theories of Representations, The University of Chicago Press, Chicago, USA, 1985, pp 83-116

1921 م في أوساط المهاجرين من المثقفين الروس بعد أن تأكد لهم انهيار "حركة الروس البيض"، والفوضى التي عمّت العالم الأوربي بعد "الحرب العالمية الأولى"، وكان أنصار هذا التيّار يرون أن الحضارة الأوربية ستضمحل، وتنهار، ويحل محلها حضارة شرقية مصدرها آسيا، والمناطق المجاورة لها من أوربا مشوبة بالروح القومية، وأفكار "الكنيسة الأرثوذكسية السلافية" "*Eglise orthodoxe slave*"، وكان شعارهم « السوفيات من دون الشيوعيين ».

اشترك "تروبتسكوي" مع اثنين من علماء اللغات هما التشيكي "فيلام ماثيسيوس" "*V.Matesius*"، والروسي "رومان جاكبسون" "*Roman Jacobson*" في تأسيس "حلقة براغ اللغوية" التي ظهرت في عام 1926 م، وبلغت أوج نشاطها في الثلاثينات، ثم انحل عقدها في أوائل خمسينات القرن العشرين، وقد انضم إلى هذه الحلقة عدد كبير من العلماء "التشيك"، و"السلوفاك"، و"الروس"، و"الألمان" من المعنيين بدراسة أصول اللغات، ونشأتها، واللسانيات البنيوية، والمقارنة، وفي عام 1930 م انتخب "تروبتسكوي" عضواً في أكاديمية العلوم في "فيينا" [1].

يعد "نيكولاي تروبتسكوي" واضع "مبادئ الفونولوجيا" (علم وظائف الأصوات اللغوية) على أنها علم قائم بذاته متفرع عن اللسانيات [2]، وقد طور "تروبتسكوي" نظرياته في هذا الباب بناء على الأفكار التي طرحها اللغوي "الروسي / البولندي" "إيفان ألكسندروفتش بودوين دي كورتني" "*Jan Baudouin de Courtenay* "، والسويسري "فرديناند دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*" وألف كتاباً بعنوان "أسس الفونولوجية" "*Principes de phonologie*" عام 1939 م، ويعد من المراجع الأساسية في هذا الباب، وترجم إلى لغات كثيرة.

كذلك يعد "تروبتسكوي" أول من وضع "مبادئ المورفونولوجيا" "*Principes de Morphologie*" أو "علم الأصوات الصرفية"، وحدد مهماته، ومضمونه، وهو فرع من اللسانيات يبحث في مجالات استخدام وسائل التصويت في تصريف الكلام واشتقاقه، أو بعبارة أخرى دراسة أصوات الكلام وارتباط كل "فونيم" "*phoneme*" [3] بغيره، وتراتبه، والتبدلات التي تطرأ عليه في الكلمة، وعلاقة ذلك كله بالتصريف، والنحو، فـ"تروبتسكوي" اعتنى بتطوير مفهوم "الفونيم"، وأضفى عليه صبغة علمية، وعملية في آنٍ واحد وعرفه بقوله "الفونيم هو أولا وقبل كل شيء مفهوم وظيفي" [4]، كما اعتنى بمفهوم التضاد الفونولوجي ويعرفه بقوله "إنه كل تضاد فونولوجي بين صوتين مختلفين، يمكن أن يميز بين معانٍ فكرية في لغة معينة" [5].

---

[1] ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 139.

[2] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م، ص 91، 92.

[3] أصغر وحدة أساسية في الدراسة الصوتية الحديثة لأية لغة بشرية يُميز بها المعنى، وهو أصغر وحدة صوتية تستعمل في بناء الكلام، وتؤثر فيه، بحيث لا يمكن استبدالها بفونيم آخر دون تغير في المعنى.

[4] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 142، وينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م، ص 57.

[5] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 143.

وقد خلف "نيكولاي تروبتسكوي" مقالات كثيرة تناولت بعض التصورات حول "المورفونولوجيا" "*Morphologie*" نشرت ضمن مجموعة مؤلفات "حلقة براغ اللغوية" ترجمت إلى الروسية سنة 1965 م، و"علم الأصوات المقارن للغات شمالي القوقاز" عام 1926 م، و"دراسات في اللغة البولندية" (وارسو عام 1929 م).

توفي الأمير "نيكولاي تروبتسكوي" في "فيينا" عام 1938 م إثر نوبة قلبية حادة.

ترك "تروبتسكوي" عدداً من المؤلفات المهمة في مجال اختصاصه من أهمها "مبادئ الفونولوجيا" " *principe de phonologie*" الذي كتب باللغة الألمانية، الذي نشرته "حلقة براغ اللغوية" بعد وفاته بسنة؛ أي سنة 1939 م؛ لأنّه خلفه غير كامل في صورته التي رسمها له، وترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1949 م وبعدها إلى اللغة الإنجليزية، أما الترجمة العربية للكتاب فكانت متأخرة؛ فقد ترجمه "عبد القادر قنيني" سنة 1994 م بعنوان "مبادئ علم وظائف الأصوات"، ويعد كتاب "مبادئ الفونولوجيا" أشهر أثر لساني خلفه، وقد بدأ أبحاثه من حيث انتهى "سوسير"، وأقام تصوره "للفونيم" على أساس التفرقة التي وضعها هذا الأخير بين اللغة والكلام؛ حيث ينتمي الفونيم إلى مفهوم اللغة بالمعنى "السوسيري"، أما الأصوات فتنتمي إلى الكلام، وعليه فرق "تروبتسكوي "بين "علم الأصوات" "*Phonétique* " و"علم وظائف الأصوات" أو "الفونولوجيا" "*phonologie* " [1]، ورأى أن الأول: هو العلم – أي: "علم الأصوات" – الذي يحلل، ويصف أصوات اللغة، وهي في حالة التجريد، وهي مستقلة عن غيرها، ومعزولة عن البنية اللغوية، بغض النظر عن دورها في المعنى.

والثاني – أي: "علم وظائف الأصوات" – هو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل البنية اللسانية، ومثال ذلك قولنا: "النون صامت+ مجهور+ أغن"، فنكون قد وصفناها على أنها وحدة صوتية معزولة عن غيرها من الأصوات، وهو ما يهتم به علم الأصوات بينما يهتم "علم الأصوات الوظيفي" بتنوعات الصوت حسب السياق، "فالنون" مثلا في كلمة (نهر) من الناحية الصوتية والتكوين النطقي الفيزيولوجي تختلف عن النون في كلمة (منك) و(عنك)...الخ [2].

وأسس التحليل الفونولوجي عند "نيكولاي تروبتسكوي" هي:

1- الفونيم أصغر وحدة فونولوجية، وهو علامة لسانية مهمتها حمل معنى الكلمة.

2- ينبغي التمييز بين الوحدة اللسانية (الفونيم) وتحقيقات الصوت الفعلية والمتنوعة.

3- الفونيمات المنتمية إلى لغة واحدة، متضادة فيما بينها، ويتم التعبير عنها بواسطة عناصر الحركات، والصوامت، والإيقاع.

---

[1] ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 94.

[2] حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م، ص 105.

4-تؤدي التقلبات الثنائية دورا جوهريا، تظهر في سلسلة من المكونات المتوازية، ويؤدي أحد طرفي التقابل وظيفة الطرف الموسوم، الذي يدخل في تميز بالضد مع الطرف غير الموسوم [1].

يعد "تروبتسكوي" المؤسس الأول "لعلم الأصوات الوظيفي"، ومن آرائه في هذا المجال أنّ "الفونيم" هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس، منتهيا إلى جملة من القواعد تتعلق بهذا المفهوم منها:ق

1- إذا كان صوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل: "قال" و"**ڤال**" فاختلاف "القاف" و"**الڤاف**" لا يؤدي إلى تغير المعنى .

2- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صورتان واقعتان لفونيمين مختلفين مثل: "حال"، "جال"، "فالحاء" و"الجيم" فهما فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما، وهما قادران على تغيير الدلالة .

3- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران في الإطار الصوتي نفسه، فهما تركيبان لفونيم واحد، مثل: صوت "النون" في العربية التي تتعدد صورها بتعدد الأصوات الموالية لها [2].

ويرى "تروبتسكوي" أن "الفونيم" عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات، وأشكالها، والأنماط الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات، ومنه فكل "فونيم" يؤدي وظيفتين:

أ- وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

ب- وظيفة سلبية: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى، ومثال ذلك فونيم "النون" (ن) يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة "نام"، لتحديد معناها ومدلولها، وهي الوظيفة الإيجابية، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة "نام" مختلفة عن كلمات مثل: "قام"، "صام"، "حام"، وتظهر الوظيفة الإيجابية (الأساسية) بشكل جلي – أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بأخر- في تغير المعنى، مثلا: استبدال فونيم "الصاد" في كلمة "صام" بالقاف فتصبح الكلمة "قام"؛ فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة، قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها بفونيمات أخرى، وبترتيبها، وموقعها في بنية الكلمة، وهو ما يشبه فكرة التقاليب، والتباديل في الاشتقاق الأكبر في العربية [3].

ج- الوظيفة التمييزية للفونيم (القيمة الخلافية): يرى "تروبتسكوي" أنّ "الوظيفة التمييزية" هي الوظيفة الأساسية للوحدات الفونولوجية، ويعرف "الفونيم" من حيث وظيفته اللسانية على أنه: **أصغر وحدة يمكنها أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين،** ويفترض هذا الاختلاف وجود تضاد بين الوحدات المميزة؛ إذ أن ليس بإمكان أي "فونيم" تأدية

---

[1] ينظر: مجلة عالم الفكر، وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 27، العدد 01، 1998 م، ص 234.

[2] ينظر: عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م، ص 45.

[3] ينظر: سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 01، 2005 م، ص 70.

وظيفة تمييزية إلا إذا كان مضادا لفونيم آخر، مثل الزوج (تاب/ ناب)، فوجود تضاد صوتي بين فونيمي التاء والنون، ميز بين دلالة الكلمتين، وعليه ركز على أن مفهوم الفونيم يأتي من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي [1]، فالوظيفة التمييزية هي أساس التحليل الفونيمي بين الوحدات المفيدة.

إثر هذا الجهد الكبير حاز العالم "ترويتسكوي "شرف المؤسس الأول "للفونولوجيا" وقاده إلمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط واستخلاص ملاحظاته الهامة الأولى على النظم الصوتية، ووصف منهجه في تحليل اللغة بأنه علم جديد، وقد كان هذا التحليل الفونولوجي رائدا في مجال الدراسات البنيوية المنهجية من حيث دقته، وصرامته، ونتائجه حتى راحت تحتذيه باقي الدراسات اللسانية الأخرى، فقد حدث على يده تحول الدرس الفونولوجي من الجزئيات المعزولة إلى النظام، ثم بحث هذه الجزئيات من خلال علاقتها المختلفة.

وبناء على ما تقدم فإن "المدرسة الوظيفية" أو "حلقة براغ اللغوية" هي إحدى المدارس المهمة في حقل اللسانيات؛ إذ استطاعت أن تفرض نفسها في هذا الميدان، ولا يزال تأثيرها ساريا إلى يومنا هذا، وقد وضع الوظيفيون كـ"فيلام ماثيسيوس"، و"نيكولاي تروبتسكوي" منهجهم أصلا لتحليل الأصوات الأساسية تحت اسم الفونولوجية؛ أي الصوتيات الوظيفية ساعين من وراء ذلك لمعرفة الوظيفة الأولى لهذه الأصوات، فالباحث عند تحليله للنصوص لا يفصل بين المعنى واللفظ، ويراهما مترابطين لذلك فهو يبحث عن آثار المعنى في معطيات اللفظ بالتساؤل عن وظيفة كل عنصر عنه، وهل يساهم في عملية التبليغ، ولهذا كان للمدرسة الوظيفية الصدى الكبير في الأوساط اللسانية العالمية، ولدى عدد كبير من منظري، ومثقفي العصر.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م.
2. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
3. تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 01، 1995 م.
4. جوناثان كولر، الشعرية البنيوية، ترجمة السيد إمام، دار شرقيات، القاهرة، مصر، 2000 م.
5. جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417 هج،1997 م.
6. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م.
7. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000 م.
8. دراقي الزوبير، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 م.

[1] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 237، 238.

9. سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 01، 2005م.
10. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م.
11. الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م.
12. عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م.
13. عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م.
14. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
15. ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001م.
16. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2011 م.
17. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
18. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م.
19. وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 27، العدد 01، 1998 م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Anderson Stephen R, Phonology in the Twentieth Century, Theories of Rules and Theories of Representations, The University of Chicago Press, Chicago, USA, 1985.*
2. *Dictionnaire Larousse, Vilém Mathesius.*
3. *Lubomír Doležel, Structuralism of the Prague School, IN: The Cambridge History Of Literary Criticism, Volume VIII, From Formalism to Poststucturalism, ED: Raman Selden, Cambridge University Press, New York, 2005.*
4. *Ressources de la Bibliothèque nationale de France, Vilém Mathesius.*
5. *Toman, Jindrich, The magic of a common language : Jacobson, Mathesius, Trubetzkoy and the Prague Linguistic Circle, Cambridge.*

المحاضرة الخامسة

مدرسة براغ 2

توطئة:

تندرج اللسانيات الوظيفية في التيار البنيوي الذي كان بمثابة ردّ على النظرية التاريخية؛ والذي انطلق مع "سوسير"، فهي فرع من فروع البنيوية، لكنها ترى أنّ البنية النحوية، والدلالية، والفونولوجية للغات تحدّد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع، وظهر الاتجاه الوظيفي إلى الوجود مع حلقة "براغ" التي استفادت من آراء "سوسير"، وجعلتها منطلقا لها، فكوّنت لنفسها نظرية لغوية، وحدّدت هذه المدرسة منهجا لنفسها بالانطلاق من تحديد للغة باعتبارها نظاما وظيفيا يهدف إلى تمكين الإنسان من التعبير، والتواصل، فهدف اللغة عند أصحاب هذه المدرسة هو التواصل، ودراستها ينبغي أن تراعي ذلك، فكلّ عنصر يساهم في التواصل ينتمي إلى اللغة، وكلّ ما ليس له دور في ذلك فهو خارج عنها، لكن هذه النظرية الوظيفية لم تتبلور في كلّ مظاهرها إلاّ مع " أندريه مارتينيه" "*André Martinet*".

أندريه مارتينيه:

ولد "أندريه مارتينيه" [1] "*André Martinet*" في 12 أفريل 1908 م في "سان ألبان دي فيلار" "*Saint-Alban-des-Villards*" بمقاطعة "السافوا" "*Savoie*" "بفرنسا" "*France*"، وبعدما أتم دراساته العليا اشتغل بالتدريس في بعض ثانويات "باريس"، وفي الوقت نفسه انكب على دراسة اللغة الإنجليزية، ونال "شهادة التبريز" – يعني قريب من محاضر –، و"شهادة الدكتوراه" في "دراسة اللغات الجرمانية" سنة 1937 م، وأصبح "مدير للدراسات الفونولوجية" "بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا" عام 1938 م، وفي "الحرب العالمية الثانية" ألقي عليه القبض، وأودع السجن فاغتنم الفرصة هناك، وألف كتابا قيما بعنوان "نطق الفرنسية المعاصرة" "*La prononciation du français contemporain*" معتمدا على أربع مئة رواية .

ومن 1932 م إلى 1938 م كانت له اتصالات مكثفة مع علماء "حلقة براغ اللغوية" وبخاصة مع "تروبتسكوي"، كما شارك في أعمال "الحلقة" التي كانت تنتشر بانتظام، ومن 1946 م إلى 1955 م استقر "بالولايات المتحدة الأمريكية" وشاهد تطور "اللسانيات" فيها على يدي "سابير" "*Edward Sapir*"، و"بلومفيد" "*Leonard Bloomfield*"، وفي عام 1946 م عين مديرا للمجلة العلمية اللسانية "الكلمة" "*Word*" واستمر في منصبه هذا حتى عام 1960 م، وفي عام 1947 م حمل مسؤولية إدارة "معهد اللسانيات" "بجامعة كولومبيا" "*Université*

[1] ينظر إلى تعريف "أندريه مارينيه" إلى المراجع الآتية:

أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 151، وينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م، ص 117، وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 103، 104، وينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م، ص 16.

Francois Dosse, History of Structuralism: The Sign Sets, University of Minnesota Press, USA, ,May, 1997.

Columbia" "بنيويورك" "*New York*" كما عين مديرا "للجمعية العالمية للغة المساعدة" التي كانت ترمي إلى إنشاء لغة عالمية جديدة، وشغل منصب أستاذ في "جامعة السربون" "*Université Paris-Sorbonne*"، ومنصب مدير "الدراسات اللسانية في معهد الدراسات العليا بباريس".

ويعد "مارتينيه" اليوم من أشهر اللسانين المعاصرين الذين يؤكدون على "علم اللغة الوظيفي"، بقوله عن هذا العلم، إنه "ليس فصلاً من علم اللغة، بل هو علم اللغة كله، وأن وظيفة وحدة، أو بنية هي التي تسمح بالوصول إلى التفسير الكامل للواقعة اللغوية" [1]، وهذا يشير إلى أهمية الجانب الوظيفي في تحليل اللغة، وفهمها، وتفسير الوقائع المرتبطة بها، لأن مثل هذا الجانب يمتلك القدرة على كشف المعاني التي يهدف النظام اللغوي إلى توصيلها، الأمر الذي يؤكد ارتباط الوظيفة بالمعنى، وأن كل وظيفة محددة مهما كان نوعها تؤدي معنى محدداً في سلسلة الوظائف، أو المعاني التي ترتبط بالبنية اللغوية.

توفي "أندريه مارتينيه" "بفرنسا" ببلدية "*Châtenay-Malabry*" في 16 جويلية 1999 م.

مؤلفاته: ألف "مارتينيه" ما يزيد عن مائتين وسبعين مؤلفا يتعلق العديد منها "باللسانيات العامة"، و"اللسانيات الوصفية"، و"الفونولوجيا الوظيفية"، و"الفونولوجيا التاريخية" ومن أشهر هذه المؤلفات [2]:

"التصنيف الصامتي ذو الأصل التعبيري في اللغات الجرمانية" وهذا هو عنوان الأطروحة التي نال بها شهادة الدكتوراه، و"نطق الفرنسية المعاصرة"، و"الفونولوجيا كنوع من الصوتيات الوظيفية"، و"نظرية وظيفة اللغة"، و"اقتصاد التغيرات الصوتية"، و"مبادئ اللسانيات العامة"، وهذه قائمة بمؤلفات "أندريه مارتينيه":

La gémination consonantique d'origine expressive dans les langues germaniques, 1937.
La phonologie du mot en danois, 1937.
La prononciation du français contemporain, 1945.
Économie des changements phonétiques, 1955.
La Description phonologique avec application au parler franco-provençal d'Hauteville, 1956.
Éléments de linguistique générale, 1960.
A functional view of language, 1962.
Langue et fonction, 1962.
La linguistique synchronique, 1965.
Manuel pratique d'allemand, 1965
Le français sans fard, 1969.
Dictionnaire de la prononciation française dans son usage réel, avec Henriette Walter, 1973.
Évolution des langues et reconstruction, 1975.
Studies in Functional Syntax, 1975.
.Grammaire fonctionnelle du français, 1979
.Syntaxe générale, 1985

---

[1] *André Martinet, La linguistique synchronique, PUF, Paris, France, 1970, p 175.*

[2] ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 152، 153.

.Des steppes aux océans : l'indo-européen et les indo-européens, 1986
.Fonction et dynamique des langues, 1989
.Mémoires d'un linguiste, 1993

اعتمد "أندريه مارتينيه" في دراسة "الأصوات الوظيفية"، على مبادئ "حلقة براغ اللغوية" فتطورت على يده "اللسانيات" في أوروبا بصفة عامة، وفي "فرنسا" بصفة خاصة، وقد ركز على الوظيفة في اللغة أثناء عملية التبليغ والتواصل.

ومن أهم آرائه اللسانية ما يلي:

أ– وظيفة اللغة: يعد "مارتينيه" الوظيفة التواصلية الوظيفة الأساسية للغة بين أفراد المجتمع اللغوي، وهذه الوظيفة تؤديها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقية الوظائف التي تؤديها اللغة، بل يقرها، ويعتبرها ثانوية كما يرى أن اللغة ليست نسخا للأشياء، ونقلا آليا لها؛ بل هي بنى منظمة، ومتراصة، ومتكاملة يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء، والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية فتعلم لغة أجنبية مثلا، لا يعني وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة، وإنما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة بالتعرف على البنى اللغوية لها تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللغة الأم [1].

ب– التقطيع المزدوج: هذا التقطيع يظهر في ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره، ورغباته الذاتية، التي تمثل تجربة في جوهرها يسعى لإيصالها للغير، ويكون ذلك إما بصيحة فرح، أو صرخة ألم، وإما بحركة دالة وهذا السلوك لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي، لذلك تفكك التجربة الإنسانية التي تيسرت صياغتها في اللغة إلى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم إلى عدد من الوحدات الصوتية [2]، يعتبر التقطيع المزدوج أساس نظرية "مارتينيه" الذي يرى أن اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية، لكونه مزدوج التقطيع؛ أي: أن الأقوال اللسانية تتكون على بعض المستويات [3].

ج– المبادئ الوظيفية للدراسة اللسانية: يحصرها "مارتينيه" في ما يلي:

– الصلات القائمة بين الوحدات اللسانية: يرتكز التركيب اللساني الوظيفي العلاقات بين الفونيمات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التراكيب، وتتحدد وظيفة كل فونيم داخل الجملة انطلاقا من هذه العلاقات.

–رتبة الوحدات اللسانية: إن دراسة علاقة الفونيمات في ما بينها وحدها، لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها، وانتظامها داخل تركيب وفق ترتيب معين، فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية .

---

[1] ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 253، 254.

[2] أندري مارتينيه، مبادئ ألسنية عامة، ترجمة: ريمون رزق الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1990 م، ص 18، وينظر: رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م، ص 82، وينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م، ص 63.

[3] ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 250.

–محتوى الوحدات اللسانية: يركز "مارتينيه "على المحتوى الدلالي للفونيم الذي يكسبه دلالة خاصة ومستقلة عن غيره، تجعله يؤدي وظيفة مميزة داخل التركيب .

– مفهوم الملائمة: تعتبر الملاحظة الموضوعية للمعطيات أساس كل علم، وهذه المعطيات متشابكة ومعقدة، لذا يجب التركيز على مظهر الموضوع، وعلى اللساني أيضا أن يتقصى السمات الخاصة، والملائمة للموضوع الذي يسعى لدراسته، فاللغة كباقي العلوم لها سمات ملائمة أو مناسبة لتحليلها؛ فالأعداد مثلا: هي السمات المناسبة في "علم الحساب"، والأشكال هي السمات التي يجب التركيز عليها في "علم الهندسة"، وهذه الطريقة تحدد مستويات الدراسة بدقة ووضوح.

– الاقتصاد اللغوي في مجال التطور اللساني: تطور اللغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجية أهمها: اتصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرئيسية الذي يساعد على تطور اللغة.

ويشير هنا "مارتينه" إلى أن هذه الأسباب الخارجية يكمن تأثيرها في اندراجها في إطار بنية اللغة، كما أنه يركز على وجوب المحافظة على التفاهم والاتصال الذي يضمن للغة البقاء والتطور.

–الدراسة التركيبية: استطاع "مارتينيه" أن يطور التحليل التركيبي للجملة، انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها "الدراسة الفونولوجية"، فوضع الخطوط الأولية والتي تقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب، وطرق ترتيبها [1].

ومن الملاحظ أن "التحليل التركيبي" في اللسانيات قد تخلى عن مصطلح (كلمة) لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم، ولأنه يطلق على وحدات دنيا بأتم معنى كلمة مثل: "من"، "على"، "هل"... [2]، ويطلق أيضا عليها مصطلح "وحدة" "*unité*"، وتتكون من عناصر لكل واحد منها وظيفته، مثل قولنا: "خرج"، "أخرج"، فكلاهما تتضمن الحروف الدالة على الخروج، وأخرج تتضمن زيادة على ذلك الصيغة الدالة على الأمر الموجه للمخاطب المفرد والمذكر، لهذا كان من الضروري توخي مصطلحات أكثر دقة، تفي بمفهوم "الوحدة الدنيا"، وقد اصطلحت النظرية الوظيفية على هذا المفهوم بالفونيم [3]، ويرى "مارتينيه" أن العلاقة التي تربط "الفونيمات" في النظام اللساني تتجلى في حالات هي:

1– اللفظة المستقلة: هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها، وتتمثل في الظروف مثل: "اليوم"، "غدا"، "أحيانا"، والعلاقة التي تربط هذه الوحدات بغيرها من الألفاظ قائمة على أساس دلالتها الذاتية لا باعتبار موقعها في التركيب، أو تقيدها بترتيب مثل: "كرم الأديب **أمس**"، فلفظة "**أمس**" يمكن أن تظهر مواقع مختلفة، إذ يمكن القول أيضا: **أمس** كرم الأديب / وكرم **أمس** الأديب / الأديب كرم **أمس** [4].

2–اللفظة الوظيفية: اللفظة لا وظيفة لها في حد ذاتها، بل تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى، كما يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق اللساني الذي ترد فيه مثل: "حروف الجر"، و"أدوات النصب"، و"الجزم" في العربية، نحو:

---

[1] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 255، 256، 257، وينظر:

John Lyons, Linguistique générale, traduction de F Dubois Charlier et Drobinson, Larousse, Paris, France, 1970, p 139,140.

[2] جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 118.

[3] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م، ص 113.

[4] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000 م، ص 101.

ذهب الطالب **إلى** الجامعة، فـ"**إلى**" لفظة وظيفية، لا وظيفة لها في حد ذاتها، لكنها تجلب للاسم الذي يأتي بعدها – الجامعة – وظيفة؛ فيعتبر اسما مجرورا.

3- اللفظة التابعة: هي اللفظة المقترنة باللفظة الوظيفية التي تحدد وظيفتها، مثل الاسم المجرور المقترن بحرف الجر، فلفظة (**الجامعة**) في المثال السابق هي لفظة تابعة مقترنة باللفة الوظيفية (**إلى**)، وهناك لفظة تابعة مقيدة بالموقع تحدد وظيفتها من خلال موقعها، فتغير الموقع يؤدي إلى تغير وظيفتها النحوية مثال: "زارنا عميد **الكلية**"، (الكلية) مضاف إليه، وهي لفظة مقيدة بالموقع.

4- العبارة المستقلة: تتألف العبارة من لفظة وظيفية مقترنة بلفظة تابعة، لا تحدد وظيفتها النحوية من خلال جزء واحد من عناصرها، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة على سبيل الذكر: "الجار والمجرور"، و"المضاف والمضاف إليه"، و"النعت والمنعوت" ..مثال: "زرت **مع أساتذتي** معرض الكتاب"، عبارة (**مع أساتذتي**) تدل على المعية لا تفهم من خلال جزء واحد من العبارة، بل من خلال ارتباط العنصرين معا، ويجوز تغيير موقعها.

5- المركب الاسنادي: مثال: اشترى الأستاذ **كتابا قيما**، فلفظة (**كتاب**) مفعول به مرتبطة ارتباطا مباشرا بالمركب الاسنادي فهو يؤدي وظيفة أولية ولفظة (**قيما**) نعت، يتعلق تعلقا غير مباشر بالمركب الاسنادي عن طريق المفعول به، ولذلك فوظيفة غير أولية [1]، وقد ميز "مارتينيه" بين نوعين من الالحاق هما:

أولا: الإلحاق بالعطف: هو الذي يبقى الكلام مطابقا لبنية الجملة النواة، إذا حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه) مثال: حضر العظماء والأشراف إذا حذف العنصر الأول العظماء تصبح الجملة حضر الأشراف مطابقة للجملة الأولى.

ثانيا: الإلحاق بالتبعية: ويختلف عن الإلحاق الأول، ففيه يتميز الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع) مثال: "كافأه **بجائزة كبيرة** من الكتب"، لا يمكننا حذف العنصر الأولي (جائزة) لأن وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع (كبيرة)، ومفهوم الإلحاق عند "مارتينيه" يتضمن وظائف مختلفة: "كالنعت"، و"المضاف إليه"، و"المفعول"، و"المعطوف"، ومن منطلق "التحليل الوظيفي" للبنى التركيبية يعرف الجملة بقوله: هي كل تركيب تتصل عناصره بركن اسنادي وحيد، أو متعدد عن طريق الإلحاق [2].

6- أنواع الوحدات التركيبية: تتخذ الوحدات التركيبية أشكالا مختلفة، فتارة تكون مجرد لفظات بسيطة، وتارة أخرى تطرأ عليها ظواهر تجعل منها لفظات من نوع خاص، اللفظات المميزة، والعدمية، والمفروقة، والمشتركة وتارة تكون مؤلفة من جزئين فأكثر على شكل صيغ مركبة تعمل عمل الوحدة التركيبية الواحدة: "الصيغة الاتحادية"، و"الصيغة التركيبية" [3].

---

[1] ينظر: عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م، ص 48، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 153، 154، وينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات ص 119 وما بعدها، وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 108، 109.

[2] ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م، ص 111، 112، 113، وينظر: عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، ص 46.

[3] أندري مارتينيه، مبادئ ألسنية عامة، ص 104 وما بعدها.

أ– اللفظة البسيطة: هي "الوحدة الدنيا" للتقطيع الأول مزود، ومدلول، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي في المحيط نفسه، مثال: "أحمد طالب **نجيب**"، يمكن استبدال لفظة (نجيب) بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي مثال: "مجتهد"، "كسول"، "ذكي"، "مجد".

كما يمكن للفظة البسيطة أن تقترن بوحدات أخرى على المحور التركيبي مثل:

"هذا طالب **نجيب**" / "جاءت طالبة **نجيبة**" / "التقيت **بنجباء** القسم".

ب– اللفظة الممتزجة: يكون فيها الدال منطويا على مدلولين أو أكثر، ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية مثلا: صيغة جمع التكسير في اللفظة (أبطال) لها مدلولان، أحدهما يمثل معنى لمفرد (بطل)، والثاني يمثل معنى الجمع، ولا يمكننا التمييز الخطي بين المدلولين في حين يسهل ذلك لصيغ الجمع السالم مثلا: مسلم، مسلمون، مسلمات، فمدلول المفرد، ومدلول الجمع يمثلهما في جمع التكسير دال هو الدال الممتزج (أبطال)

ج– اللفظة المفروقة: هي عكس اللفظة الممتزجة، وفيها يتجزأ الدال إلى جزئين، أو أكثر لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة، مثال: "ارتد**ت الممرضة** مئزر**ها**"، تدل على التأنيث في هدا المثال ثلاث علامات هي: (ت) في (ارتدت)، و(ة) في (الممرضة)، و(ها) في (مئزرها).

د– اللفظة العدمية أو الصفرية: هي غياب شكلية متوقعة، ويرمز لها أثناء التحليل بعلامة تفاضلية على شكل صفر(0) ويتضح ذلك في اللغة المكتوبة بوجود علامتين شكليتين هما الفتحة والتاء المربوطة مع المؤنث وغيابها مع المذكر، مثل: معلم 0 معلمة، أستاذ 0 أستاذة ، كما تتجلى في الأفعال: مثال: كتب 0 كتبت = كتب+ت

هـ – اللفظة المشتركة: دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر، ولا يمكن استقلالها بمدلول واحد يحدده السياق مثال: تبتسم، فصيغة المضارع نجده مع:* المخاطب المفرد المذكر "أنت"، * مع الغائب المفرد المؤنث "هي".

و– الصيغة الاتحادية: وحدة قابلة للتحليل شكلها ومعنويا إلى وحدتين دالتين أو أكثر إلا أنها تتصرف تركيبها كمفردة واحدة وتتحد لأداء وظيفة واحدة، مثال: جواز السفر، أم كلثوم، جملة القول... فقد تكون "مضافا ومضافا إليه"، أو "صفة وموصوف"، أو "أسماء مركبة"، أو "صيغة جامدة"، وهي تعامل معاملة اللفظة الواحدة [1].

7–الصيغة التركيبية: يرى "مارتينيه" بأنها مجموع لفظات لكل منها وظيفة خاصة، وتحتوي في أغلب الأحيان على وحدة وظيفية تحقق لها الاستقلالية، فتكون وظيفتها غير مرتبطة بالموقع مثال: في السنة الماضية تؤدي الوظيفة نفسها في التراكيب التالية: "في **السنة الماضية** سافرت إلى مصر" / "سافرت في **السنة الماضية** إلى مصر" / "سافرت إلى مصر في **السنة الماضية**" [2].

---

[1] ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 111 وما بعدها.

[2] ينظر: سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م، ص 74 وما بعدها.

وبهذا تتضح لنا قيمة الجهود التي بذلها "مارتينيه" في البحث اللساني الحديث الذي أصبح يتسم بالموضوعية العلمية، بعد أن طغت عليه المعيارية في الماضي، فقد توصل إلى تمييز عناصر بسيطة بواسطة التقطيع المزدوج خاصة، واقترب بذلك من العلوم الدقيقة مما فتح أفاقا جديدة في ميدان البحث والتطبيق.

رومان جاكبسون

لعلنا أفردنا الحديث عن "رومان جاكبسون" في المحاضرة السابقة – محاضرة "حلقة موسكو اللغوية" –، وسنحاول في هذه المحاضرة ذكر "نظرية وظائف اللغة" التي جاء بها "جاكبسون"

نظرية وظائف اللغة:

تعد هذه النظرية أهم، وأشهر ما جاء به "جاكبسون" "*R. Jakobson* "، وقد استلهمها من "نظرية الاتصال" "*Théorie de la communication*"، التي ظهرت لأول مرة سنة 1948 م، ومفادها أن عملية التواصل تتطلب ستة عناصر أساسية هي "المرسل" "*èmetteur*"، و"المرسل إليه" "*rècepteur*"، و"الرسالة" "*message*"، و"القناة" "*canal*"، و"المرجع"، و"شفرة الاتصال"؛ "فجاكبسون" كان من أبرز علماء اللسانيات الذين لفتوا الانتباه إلى وظائف اللغة، وأن مفهوم اللغة يجب أن يُدرس بوصفه نظاماً وظيفياً، وأن الكشف عن هذا النظام إنما يتم من خلال وظيفة العناصر الداخلة فيه، وقد رأى أن هناك ست وظائف للاتصال كان قد صنَّفها على الشكل التالي:

1-**الوظيفة التعبيرية** (*La fonction expressive*): أو الوظيفة الانفعالية (*Emotive*) تركز على المرسل إذ تعبّر، بصفة مباشرة عن موقف المتكلم حيال ما يتحدث عنه، وتنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معيّن صادق أو كاذب، فتبدي عواطفه، ومواقفه تجاه قضية ما، يتجلى باعتماد آليتين: الأولى دلالية صرفة كصيغة التعجب، والاستغاثة، والندبة.... الخ، وفي بعض الأدوات اللغوية التي تدل على "الاستفهام"، أو "التعجب"، أو "الانفعال"، حين يكون الخطاب مكتوباً [1].

أما في الخطاب المنطوق فتعتمد على "النبر"، و"التفخيم"، و"الترقيق"، و"الجهر"، و"الهمس"، و"ارتفاع الصوت وانحداره"، تهيمن هذه الوظيفة من الناحية الأسلوبية عندما يحتلّ الكاتب أو الناظم المكانة المركزية في النصّ ويسعى إلى التعبير عن أفكاره، ومشاعره كما في أدب السيرة، أو في "الشعر الغزلي" فيسيطر ضمير المتكلم، وأدوات تركيبية خاصة يتصدرها التعجب.

2- **الوظيفة الافهامية** (*La fonction cognitive*): أو "التأثيرية" "*impressive* " ويحمل المصطلح الثاني دلالة عاطفية في حين أن الأول ينطلق من وجهة نظر عقلية، تهيمن في الأدب الملتزم والروايات العاطفية؛ إذ تكثر مخاطبة

[1] رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م، ص 29، وينظر: عبد السلام مسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط 03، ص 158.

الآخر، ومحاولة التأثير عليه، وإقناعه، أو إثارته، وتتعلق هذه الوظيفة بالمتلقي، فالنص خاضع لتأثير حرية القارئ بأقصى ما في هذه الحرية من شفافية، فللقارئ قدرة مشروطة وهو في ذلك لا يختلف عن الكاتب [1].

3- **الوظيفة الانتباهية** (*la fonction phatique*): وتتعلق بقناة التخاطب، وتتجلى كثيرا في المحاورات الشفافية، ولذلك يمكن أن ندرج فيها كل ما من شأنه أن يثير انتباه المتلقي من تكرارات، وتأكيدات، أو إطناب..، وتوظّف هذه الوظيفة لإثارة انتباه المخاطب، أو التأكد من استمرار جهوزيته للاستقبال، مثل: "قل، أتسمعني؟" أو "إستمع إليّ!" ومن الجانب الآخر من الخطّ "هِمْ هِمْ"، أو "إم إم"، أو "أي أي"؛ إذ تنسحب العملية التواصلية قليلاً من دائرة الرسالة للتأكّد من ممرّها، لذا اشترك الباثّ والمستقبل في صنع هذه الوظيفة [2].

4- **الوظيفة المرجعية** (*la fonction référentielle*): أو المعرفيّة (*cognitive*)، أو الإيحائية (*démotive*) حين تتجه الرسالة إلى السياق وتركّز عليه، فدور اللغة أن تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها بالرمز إليها؛ إذ اللغة رموز معبّرة عن أشياء، وتنصب هذه الوظيفة على مرجع الرسالة "جميع الظروف التي تحف العملية التواصلية" [3].

5- **وظيفة ما وراء اللغة** (*La fonction métalinguistique*): تستعمل حين يشعر المتخاطبان بالحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن (الشيفرة) الذي يوظفان رموزه في التخاطب فيكون الخطاب مركّزاً عليه لأنه يشغل "وظيفة ميتالسانية"، "أو وظيفة شرح"، أو "ميتالغوية" فيتساءل المستمع: إنني لا أفهمك، ما الذي تريد قوله؟ أو: ما تقول؟ ويسبق المتكلم مثل هذه الأسئلة فيسأل: "أتفهم ما أريد قوله؟"، أو يقول: أريد أن أقول، أو: أقصد ...، أي الكلام عن الكلام (لا الكلام عن الأشياء).

ويمكن أن تراعى هذه الوظيفة في القراءة وهي:

- وحدة اللغة: فالكاتب يستثمر في إبداعه الكلمات، والجمل التي يعبر بها مجتمعه عن أغراضهم المختلفة.
- وحدة الثقافة: أي: التراث الثقافي المشترك، والعقيدة الفكرية العامة المشتركة.
- وحدة البداهة: أي: مجموع الأفكار والمعتقدات، وأحكام القيمة التي يفرزها الوسط، فيتقبلها كأمور بديهية لا تحتمل التبرير، أو الاستدلال [4].

6-**الوظيفة الشعرية** (*Fonction poetique*): تركّز هذه الوظيفة على الرسالة، وتفرض هيمنتها على فنّ الشعر باعتباره رسالة لفظية، وعملاً إبداعياً تتدخل فيه ذاتية المبدع لتنسج أبنيتها داخل نظام لساني معين، وتظهر في الرسائل

---

[1] رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص 29، وينظر: الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007 م، ص 39.

[2] نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م، ص 382.

[3] رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص 28، وينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 381، وينظر: بيار جيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1984 م، ص 01.

[4] رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص 23.

اللغوية الأخرى وغير اللغوية كما في الفنون "الرسم، الموسيقى، المسرح..."، ويكون النص في هذه الوظيفة غاية في ذاته فتصبح هي المعنية بالدرس.

يقول "جاكبسون" في شرح هذه الوظائف: "يقوم "المرسل" بإرسال "رسالة" إلى "المرسل إليه"، وتتطلب هذه "الرسالة" لكي تكون فاعلة، سياقا تشير إليه، يمكن "للمرسل إليه" استيعابه، والسياق إما أن يكون لفظيا، أو يمكن له أن يكون كذلك، كما تقتضي "الرسالة" شفرة مشتركة كليا، أو جزئيا، بين "المرسل" و"المرسل إليه"، وقناة اتصال فيزيائية، أو رابط سيكولوجي، بين المرسل والمرسل إليه، يمكنها من إقامة عملية الاتصال، والإبقاء عليه" [1].

وتشهد كتب التراث العربي على اختلاف مجالاتها على وجود ما يسمى اليوم "بعناصر الاتصال"، أو "عناصر الخطاب"، وأهمها الخطاب في حد ذاته، أو الرسالة، والمرسل، والمرسل إليه، والمقام أو السياق العام، إذ يبدو وعي اللغويين العرب بالرسالة واضحا جدا، وذلك في اهتمامهم بصياغة القواعد النحوية التي تصبو إلى المحافظة على نظام واحد للجملة حتى لا يعسر الفهم على المخاطب، وهو الأمر الذي جعلهم يعنون بالإعراب عناية كبيرة حتى تحقق الرسالة قوتها التأثيرية، وما أشار إليه البلاغيون قديما في تعريفهم للبلاغة لأكبر دليل على انشغال الفكر العربي بقضية الرسالة، فقولهم: "البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة"، يؤكد أن الخطاب الأدبي يقوم بالدرجة الأولى على عملية الإبداع، فيخترق من أجل أن يترك في النفس أثرا خلابا قيود اللغة، محافظا في الوقت نفسه على حسن العبارة وفصاحتها.

وإذا كان المرسل إليه في الدرس اللساني الحديث أهم أقطاب الخطاب، فإنه في رأي علماء العربية ينال القدر نفسه من الأهمية والتبجيل، وهو الأمر الذي جعل البلاغيين يعتبرون أبلغ الناس أسهلهم لفظا وأسرعهم بديهة، ويعتبرون البلاغة إجابة من غير إبطاء، وقول من غير خطأ، مشترطين في البليغ سرعة الإيصال مع سلامة العبارة، لأن الخطأ في التركيب ينفي سهولته، وفي البلاغة الأمر نفسه، مما يحقق العملية الإبلاغية بين السامع، والمتكلم.

فضلا عن الرسالة ومنشئها فإن لمتلقيها جانبا آخر من الأهمية، فلولا وجوده ما وجدت الرسالة أصلا، ولكان وجودها دون فائدة تذكر، وليس اهتمام نحاة العربية بتقسيم أدوات النداء حسب المنادى إلا دليل على أهمية هذا الطرف في العملية الإبلاغية، فهم يرون أن هذه الأدوات قسمان :أدوات لنداء القريب: "الهمزة" و "أي"، وأدوات لنداء البعيد: باقي الأدوات.

إسهامات "حلقة براغ اللغوية"

منظور الجملة الوظيفي:

يقوم هذا المنظور على أن المستويات اللغوية جميعا تتفاعل خلال عملية الاتصال اللغوي، مما ينتج ما يسمى "بالمستوى الكلامي"، وعلى هذا الأساس فالمنظور الوظيفي يتجلى في الكلام الذي يعبر عن القيمة الاتصالية للغة، من خلال تفاعلها مع الواقع الذي وجدت فيه.

[1] بيار جيرو، السيمياء، ص 12.

إن الشكل العام لمنظور الجملة الوظيفي في جميع اللغات هو نظام الرتبة فيها، وهو دراسة لعملية ترتيب المفردات في التركيب اللغوي، من أجل الحصول على محتوى دلالي معين [1]، ويتعلق الأمر هنا "بالتقديم"، و"التأخير"، و"الزيادة"، و"الحذف"، و"الفصل" ...الخ، حيث يركز الدارس هنا على التغيرات التي تطرأ على التركيب مثل: "غربت الشمس"، "غربت الشمس قبل قليل"، "الشمس غربت قبل قليل"، "قبل قليل غربت الشمس"، وغيرها من التراكيب التي يكون لكل منها وظيفة خاصة ما كانت في مثيلاتها، ومن إنجازات "حلقة براغ اللغوية" أيضا ما جاء به "جاكبسون" الذي استطاع من خلال نشاطاته العلمية أن يعكس اهتمامات هذه الحلقة بوجه خاص، ومن أهم ما جاء به نظرية وظائف اللغة التي استلهمها من "علم الاتصال"، إضافة إلى "علم النفس اللغوي"، و"الأسلوبية" و"الإنشائية".

علم الأصوات:

إن الصوت ظاهرة فيزيائية عامة الوجود في الطبيعة، ويتمثل الصوت اللغوي في مجموع الأصوات التي تخرج من الجهاز الصوتي البشري، والتي يدركها السامع بواسطة جهازه السمعي المتمثل في الأذن وما يكونها، والصوت هو الركيزة، والمقوم المادي للسان، وهو حد التحليل اللغوي ومادته، ونهايته، وأصغر قطعة في النظام اللغوي.

وعناصر الصوت اللغوي **فيزيائية:** بما أنه صوت، **فيزيولوجية:** لأنه يصدر من الجهاز الصوتي البشري، **نفسانية صوتية:** لأنه مدرك بكيفية خاصة.

عرف "الدرس الصوتي الحديث" مصطلحين رئيسين هما "الفونتيك" "*phonétique*"، و"الفونولوجي" "*phonologie*"، فكانا مدار اختلاف الدارسين منذ مطلع هذا القرن، فمنهم من أعطى مفهوم الأول للثاني، أو العكس، ومنهم من جعلهما بمفهوم واحد، إذ لا فرق بينهما، وحين دخل مصطلح "الفونتيك" درسنا اللغوي العربي أبقاه بعض الدارسين دخيلا، فقالوا "فونتيك" دون تعريب، وغالبا ما كان يقرن بكتابته بالأحرف اللاتينية ؛ الفرنسية "*phonétique*"، أو الإنجليزية "*phonetics*"، مع شرح لمدلوله بالعربية، ثم استقر الأمر في النهاية عند معظم الدارسين على جعل "الفونتيك" دراسة الأصوات التي تجري في الكلام من حيث هي حركات عضوية مقترنة بنغمات صوتية "علم الأصوات"، أما "الفونولوجي" فهو دراسة "لسلوك الأصوات"، في مواقعها، أكثر مما هو دراسة للأصوات في حد ذاتها، لأنه يعنى بتجاورها، وارتباطاتها، ومواقعها، وكونها في هذا الحرف أو ذاك، وإمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك، وكثرة ورودها، وقلته، ودراسة الظواهر الصوتية "كالنبر"، و"التنغيم" ...الخ ، وهنا يكاد يجمع الباحثون على أن يكون الفونولوجي علما دالا على دراسة وظائف الأصوات، وليس غريبا إذا تداخلت مصطلحات العلمين لأن هدفهما واحد ومسعاهما مشترك.

نظرية الفونيم:

[1] جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط01، 1980 م، ص 117.

معلوم أن الوحدة الأساسية لعلم الأصوات هي الصوت المفرد، وقد اختلف الدارسون كما اختلفوا في تحديد مفهوم "الفونتيك" و"الفونولوجي" حول مفهوم "الفونيم"، فذهبوا في ذلك مذاهب شتى [1]، إذ "يمكن أن توصف أصوات لغة ما من خلال وجهات نظر متباينة، حسب خواصها المادية، التي يمكن قياسها، وملاحظتها علميا، أو حسب ورودها (توزيعها) في نصوص لغوية، أو حسب وظيفتها في نصوص لغوية"، ومن هنا نشأ الاختلاف في تعريف الفونيم، ومن أصحاب هذه التعريفات:

أصحاب النظرة العقلية: وهم الذين اعتبروا الفونيم صوتا مفردا، له تجريد ذهني، أو صورة ذهنية يستحضرها المتكلم إلى عقله بالإرادة، وينطقها في الكلام بلا وعي، فينجح مرات في تحقيق صورة الصوت بالنطق، ويخفق مرات أخرى. من أعلام هذه النظرة "كورتيني" "*Jan Niecisław Ignacy Baudouin de Courtenay*" [2].

النظرة العضوية التركيبية: يعترف أصحاب هذه النظرة بعبارة (عائلة أصوات) [3]، لأن "الفونيم" في نظرهم يعني "الحرف"، فهو عائلة من الأصوات التي يعتبر كل منها عضوا من العائلة، مثل النون في العبارات: **إن** شاء الله، انبثق ، **إن** قال...

النظرة الوظيفية التركيبية: يحدد أصحاب هذه النظرة الفونيم في ضوء وظيفته التركيبية في اللغة، وفي مقدمتهم "تربتسكوي" الذي يعتبر "الفونيم" هو الوحدة التي تحقق خلافات صغرى تتميز من خلالها الكلمات عن بعضها البعض. من أعلام هذه النظرة "بلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*".

لقد أخذ الكثيرون من باحثي "حلقة براغ اللغوية" في دراسة القوانين التي تحكم بنية النظم الصوتية، ويعد هذا الاستكشاف من أهم المكاسب العلمية التي أسهمت فيها "حلقة براغ اللغوية"، فلم يكتفوا بوصف الأصوات اللغوية، وتحديد مخارجا، بل راحوا يكتشفون العلاقات التي تربطها ببعضها البعض داخل النظام اللغوي، ويحددون منزلتها منه، للوصول إلى الوظيفة المنوطة بالصوت في عملية التبليغ [4].

ولعل "تربتسكوي" من أشهر علماء "حلقة براغ اللغوية" عناية بتطوير مفهوم "الفونيم"، وهو ما جعله يولي أنواع التضاد الفونولوجي أهمية كبيرة، حيث إن الفونيم – في نظره – هو مفهوم وظيفي قبل كل شيء، وتتحدد وظيفته بمقابلته بالفونيمات الأخرى، وأنواع التضاد حسب ما ورد عنده سبعة هي: التضاد السالب، التضاد التدريجي، التضاد المتكافئ، التضاد الثنائي، التضاد متعدد الجوانب، التضاد المتناسب، التضاد الممكن تحييده.

مبادئ "حلقة براغ اللغوية"

---

[1] ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م، ص 227، 228، وينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 237، 238.

[2] محمد مصطفى رضوان، نظرات في اللغة، جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1976 م، ص 255.

[3] صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1981 م، ص 62.

[4] ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1985 م، ص 150، 151، 152.

عنيت "مدرسة براغ" بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة، ومن أهم مبادئها ما يلي:

أولا: المبادئ الجمالية:

لعل اللساني "جان موكاروفسكي" "*Jan Mukařovský*" كان أهم من وضع المبادئ الجمالية للمدرسة، والتي تتلخص فيما يلي:

الفن وطبيعته السيميولوجية: يقوم هذا المبدأ على أنّ فهم علم الجمال البنيوي يكون في إطار مذهب "علم السيميولوجيا" "*Sémiotique*"، ولم يبق الأمر قاصر على الأدب، بل تعدى إلى دخول تحليلات اجتماعية ونفسية، وأصبح شاملا لما يسمى بشخصية الفنان، والبيئة الداخلية للعمل الفني معا، دون إهمال علاقة الفن بالمجتمع وقد نادى "موكاروفسكي" بضرورة دارسة مشكلات الرمز، والعلامة ودلالتهما، ومنه فعلى "علم الجمال" أن يتناول الأعمال الفنية كمركز، وبنية، وقيمة في الوقت نفسه.

دور الفاعل في الفكر الوظيفي: يرى "موكاروفسكي" أن الفاعل الذي يظهر في جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يتجسد في شخص واقعي، ولا في شخصية المؤلف، وعليه فالبنيوية الجمالية تخلصت من وهم الفاعل المستقل، الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث، وقصرته على نطاق الوظائف التي يقوم بها، كما توضحها بنية العمل الفني نفسه.

خواص الوظيفة الجمالية وعلاقتها بالوظائف الأخرى: يرفض لغوي "حلقة براغ اللغوية" تبعية الفن للتطور الاجتماعي، رغم اعترافهم بالقوى الخارجية التي تمارس تأثيرا على الأبنية الفنية، لأن هذا التأثير خاضع لعوامل جمالية منبثقة من الفن في حد ذاته، وهي التي لا تسمح بقيام علاقة سببية بين الفن، والمجتمع، فالنظام الاجتماعي لا يولد بالضرورة شكلا معينا من الابداع الفني، وعليه يجب أن يوضع في الاعتبار قطاعين من الواقع أولهما: واقع الرمز، أو العلامة، وثانيهما: الواقع الذي يشير إليه هذا الرمز، واتحادهما هو الذي يمثل الفن، لذا حرصوا على استقلالية الرمز، وقدرته التواصلية في حدود السياق الاجتماعي، ومقتضياته السياسية، والاقتصادية، والفلسفية لبنية اجتماعية معينة.

مع أن "الحلقة" اشتهرت في ميدان اللسانيات بدراساتها الصوتية الدقيقة، إلا أنها اهتمت بلغة الشعر والأدب بصفة عامة، وامتدت إلى مجالات اجتماعية، وفلسفية، ونفسية، ومن أهم مكاسبها:

1. دعوتها إلى تطوير فكرة تعدد الوظائف للوحدات البنيوية .
2. اعتمادها على بعض العناصر الرياضية في تحليلاتها، ولم تعد تقتصر على ما يلاحظ في الواقع مباشرة، بل ركزت على العلاقات التجريدية النظرية، وما يمكن أن تسفر عنه من علاقات فرضية [1].

ثانيا: المبادئ اللسانية:

من أهم المبادئ اللسانية ما يلي:

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 89، 90.

1- تصوّر المدرسة عملية التّطور اللغوي على أنها كسر لتوازن النظام القائم، وإعادته مرة أخرى، "فجاكبسون" يرى أن استغلال الفوارق الصوتية يؤدي للوصول إلى القدرة التعبيرية للقول الانفعالي، وأن للطاقة التعبيرية للأصوات دورا مهما في ادخال تعديلات مهمة على الكلمات، والأنظمة السياقية، والموسيقية .

2- تتصور المدرسة أن البنيوية اللسانية كلّ شامل، تنتظمه مستويات محددة.

3- ترى أن العناصر اللسانية، والعلاقات القائمة بينها متعايشة ومترابطة، ولا يمكن فصلها.

4- ترى أن اللسانيات البنيوية تتصور الواقع على أنه "نظام سيميولوجي" رمزي وتميز بين اجراءين مختلفين أولهما: التقاط العناصر الواقعية المحددة والذهنية المجردة، وإمكانية التعبير عنها من طرف المتحدث بكلمات من اللغة التي يستخدمها، وثانيهما: وضع العلاقة المختارة التي تشكل كلا عضويا (الجملة)، ويمكن أن تقوم الكلمة مكان الجملة للتعبير عن الهدف نفسه.

5- دعت المدرسة إلى ضرورة بحث المعالم البنيوية لدلالة الكلمات المعجمية، ورأت أن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة، إنما هو نظام تتناسق في داخله هذه الكلمات وتتعارض فيما بينها [1].

منهج "حلقة براغ اللغوية"

على الرغم من التباين المنهجي بين المنهجين التاريخي والوصفي إلا أنهما يتفقان على أن اللغة يجب أن تدرس باعتبارها نظاما تتحرك به الألسنة بطريقة معينة، لتتمكن من التواصل، إلا أن أعضاء "حلقة براغ اللغوية" يرون أن "المنهج التاريخي" لا يجدي نفعا في هذا المجال، لأنه يقتصر على عرض تطور اللغة، وتغّير عناصرها عبر التاريخ، ولا يمدنا بما تفهم به نظامها، ويعدون لذلك اللغة نظاما لا يمكن الفصل بين عناصره انطلاقا من مبدأ "دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها"، وعليه فإن منهجهم ينطلق من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يهدف إلى تحقيق "التواصل والتعبير"، الذي يقتضي أن تحمل العناصر اللسانية شحنة إعلامية.

وإذا كان "التحليل الوصفي" للوقائع الحالية التي تقدم بيانات كاملة عن هذه اللغة، أفضل طريقة لمعرفة جوهرها، وخواصها المميزة فإنه ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار تصور اللغة كنظام وظيفي عند دراسة حالات لغوية ماضية، وعليه فالدراسة التاريخية لا يمكن أن تهمل فكرتي النظام والوظيفة، كما أن الوصف لا يمكن أن يلغي فكرة التطور، إذن لا يمكن الفصل بين المنهجين التاريخي والوصفي.

يعد برنامج "حلقة براغ اللغوية" اسهاما في لون جديد يتصل بأهداف النظرية اللسانية، وقد وجه أنظار اللسانيين إلى ميادين من البحث اللساني لم تظهر إلا في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ويتمثل فيما يلي:

1- التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في الاتصال (كيفيته، ومناسبته ولمن يوجه) لأنّ اللغة – بالدرجة الأولى- نظام "للاتصال والتعبير" من أجل الرقي، والتفاهم المشترك.

[1] ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

2- اللغة حقيقة واقعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية، بعضها يتعلق بالسامع، والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام وهكذا يكون من الضروري التمييز على المستوى النظري والعلمي بين لغة "الثقافة" بصفة عامة، ولغة "الأعمال الأدبية"، و"المجلات العلمية"، و"الصحف"، و"لغة الشارع"...إلخ.

3- على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين "البنية اللسانية"، و"الأفكار"، و"العواطف"، التي توصلها هذه البنية، لأن اللغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية، والنفسية للشخصية الإنسانية.

4- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، فلكل منها خصائصها المميزة، ومن ثمة فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.

5- يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة "التقابلات الفونيمية"، ولا ينبغي فصل "الظاهرة المورفولوجية" عن الظاهرة الفونولوجية.

6- إعطاء الأولية للبحث الوصفي لما له من تأثير على الواقع اللساني الفعلي، دون استبعاد الدراسة التاريخية، لأنّ النّظام اللّساني الكامل لا بد أن يكون تاريخيا في ضوء الوصفية.

7- المنهج المقارن في اللغة يجب أن يتخلص من محدودية الملاحظة، وعليه يمكن الباحثين من بناء أنماط مميزة للغات [1].

ويتولى "جاكبسون" في إطار "حلقة براغ اللغوية" تنمية "الاتجاه البنائي" في دراسة الصوتيات مشيرا إلى أنه لابد أن يقوم على منهج متكامل غير منعزل؛ إذ أن كل حدث صوتي يعالج على أنه وحدة جزئية تنتظم مع وحدات أخرى في مستويات مختلفة، ومع أن "حلقة براغ اللغوية" قد اشتهرت في تاريخ "علم اللغة" بدراساتها الصوتية الدقيقة إلا أن دراسات كثيرة من نصوصها الأساسية تشمل بحوثا في "لغة الشعر"، ومن أهم معالمها [2]:

1- لابد من وضع مبادئ وصف "لغة الشعر" من مراعاة طابعها الثابت، وذلك لتفادي خطأ شائع في الخلط الدائب بينها، وبين لغة التواصل، والتفاهم، والحديث العادية.

2- من خواص اللغة الشعرية أنها تبرز عنصر الصراع، والتعديل بدرجات متفاوتة، وكلما اقتربت "لغة الشعر" من لغة التفاهم تعارضت مع التقاليد الشعرية، وكلما تواطأت مع هذه التقاليد ابتعدت عن حيوية الحدث العفوي.

3- أن المستويات المختلفة للشعر من صرفية، وصوتية، ونحوية، وبلاغية...إلخ، ذات صلات حميمة فيما بينها؛ إذ يستحيل عزل أحدهما عن سواه كما تفعل عادة بعض الدراسات الأدبية.

4- تعبير القيم الصوتية في "لغة الشعر" هي نقطة الانطلاق في وصف "البنية الشعرية".

5- تتميز "لغة الشعر" بوضوح مراتب قيمها، ويعتبر الإيقاع هو المبدأ المنظم للعناصر الصوتية الأخرى، وهي بنية النغم، وتشكيلات الحروف في مقامات موسيقية.

---

[1] ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136، 137.

[2] جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 130 وما بعدها.

6- إن الوسيلة الوحيدة لدراسة مستويات "لغة الشعر" بطريقة فعالة تتمثل في رسم شبكة توازي أبنيتها المختلفة مثلا: فتأثر القافية لا يقف عند حد النظام الموسيقي الصوتي؛ إنما نجده وثيق الصلة بالنظم الصرفية، والنحوية... إلخ.

7- المبدأ الأساسي في "فن الشعر" الذي يميزه عن أنظمة اللغة الأخرى أن القصد فيه يرتكز لا على الدلالة، وإنما على الرمز في نفسه على التعبير في ذاته.

زد على ذلك فإن من أهم مبادئ "حلقة براغ اللغوية" اعتبارها للغة كجهاز وظيفي ونظام يتكون من وسائل تعبيرية تؤدي وظيفتها في تشجيع الفهم المتبادل فغاية اللغة عند "حلقة براغ اللغوية" هي تحقيق ما ينوي الفرد إيصاله؛ أي: التواصل وفي نظرتها للغة حقيقة واقعية؛ أي: أنها ظاهرة فيزيائية بمعنى أنها ذات واقع مادي ونمطها محكوم بعوامل خارجية غير لغوية وهي البيئة الاجتماعية، وبعض تلك العوامل يتصل بالسامع، وبعضها يتصل بالموضوع الذي يدور حوله الكلام .

نفهم من هذا أن "المدرسة الوظيفية" أو "حلقة براغ اللغوية" تتخذ المعنى مقياسا في تحليلها للنصوص اللغوية، وتعتبر أن المعنى يتغير بتغير اللفظ، وهذا يستدعي شيئين في الحقيقة إذا تغير المعنى فلا بد أن يتغير اللفظ، وإذا ثبت على حال واحدة فلا بد أن يثبت المعنى، وتكمن نظرة "المدرسة الوظيفية" للمعنى من خلال الاهتمام بمكونات العلامة، وعلاقة طرفيها بعضها ببعض، والتركيز على الخصائص الصوتية المميزة في العلامة اللغوية؛ وهي خصائص ذات ارتباط بجانب المعنى [1]، أو تركيز النظرية على بعض مشكلات الدلالة المتمثل تحديدا في تحكيمه للمعنى لاسيما إذا انتقلنا من لسان إلى أخر لأن الترجمة ليست استبدال قوالب بقوالب أخرى تختلف عنها شكليا وتقطيعا، إنما هي عمليه دلالية محظة [2]؛ إذ أنها تقتضي كما يقول "مارتيينه" أن يتنصل الإنسان من سيطرة اللغة المنقول إليها، والتي تمارس ضغوطها عليها باعتبار أن اللغة ليست قوالب تعبيرية، أو أشكالا صوتية؛ إنما هي قوالب تتضمن فكرا، وثقافة، ورؤية اجتماعية لمختلف أبعاد الكون .

نخلص مما سبق

أن علماء "حلقة براغ اللغوية" التقطوا مشعل الدراسات اللغوية الحديثة الذي صب "دي سوسير" زيتها، ونسجت "المدرسة الشكلية" خيوطها، فلئن كان زعيم هذه الحلقة هو "ماثيسوس"، فإن المحرك الأساسي لها هو مؤسس "المدرسة الشكلية الروسية" نفسه "رومان جاكبسون"، الذي ذهب أولا إلى "براغ" "كملحق ثقافي"، ثم سرعان ما أدرك أن المناخ السائد في وطنه الأصلي سوف ينتهي بخنق نظرياته المستقلة، فأخذ ينفث دعوته في الأوساط اللغوية، وجعل يطبق بعضا من مبادئ الشكلية على مشاكل "الشعر التشيكي"، فكتب له النجاح في حلها، فضلا عن الأثر الكبير

[1] جوليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني ومنير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م، ص 255.

[2] ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996 م، ص 117، 118.

الذي تركه مؤلَف "دي سوسير" "محاضرات في اللسانيات العامة" على بزوغ نجم هذه الحلقة اللسانية، التي شرعت تعقد ندوات منتظمة، وتتوجها ببحوث في اللسانيات الوظيفية على وجه الخصوص.

ولعل ما يميز هذه "المدرسة" نظرتها إلى نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة "الصوتية"، و"الصرفية"، و"النحوية"، والدلالية"، ودراسته دراسة وظيفية محضة، وهذا ما جعلها تختلف عن باقي المدارس اللسانية الأخرى؛ فهي تنطلق في وصفها للغة من "الوظيفة"؛ إذ ترى أنها نظام من الوظائف وكل وظيفة نظام من العلامات، في حين يذهب "دي سوسير" إلى القول بأنها نظام من العلامات، ليصل الاثنان إلى العلامة كحد نهائي للغة .

أخذ كثير من باحثي حلقة براغ في دراسة القوانين التي تحكم بنية النظم الصوتية ويعتبر استكشاف هذا الميدان من أهم المكاسب العلمية التي أسهمت فيها الحلقة، خاصة وأنها استطاعت أن تتجاوز المرحلة الجزئية فنجد أحدهم يؤكد أنه إذا كنا نستطيع أن نصل إلى القوانين الصوتية عن طريق التجريبي استقرائي فإن بوسعنا أن نتعرف عليها أحيانا عن الطريق الاستنتاجي المنطقي وهذا يضفي عليها طابعا مطلقا ويرى أن السبب في ذلك هو " خضوع علم الأصوات للبنائية العالمية المنتظمة فالعصر الذي نعيش فيه يتميز باتجاه الواضح في جميع العلوم، واستبعاد النزعة الجزئية وإحلال النزعة البنائية محلها وعلى هذا فإن علم الصوتيات لا يمثل ظاهرة منعزلة وإنما يشكل جزءا من حركة علمية عامة"

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م.
2. أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996 م.
3. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1985 م.
4. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
5. أندري مارتينيه، مبادئ ألسنية عامة، ترجمة: ريمون رزق الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1990 م.
6. بيار جيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1984 م.
7. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط01، 1980 م.
8. جوليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني ومنير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.
9. جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.
10. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م.

11.خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000 م.
12.رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م.
13.رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م.
14.سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م.
15.شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م.
16.صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1981 م.
17.الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007 م.
18.الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م.
19.عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م.
20.عبد السلام مسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط 03.
21.عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م.
22.محمد مصطفى رضوان، نظرات في اللغة، جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1976 م.
23.ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
24.نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م.
25.نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م.

المصادر باللغة الأجنبية:

1. *André Martinet, La linguistique synchronique, PUF, Paris, France, 1970.*
2. *Francois Dosse, History of Structuralism: The Sign Sets, University of Minnesota Press, USA, ,May, 1997.*
3. *John Lyons, Linguistique générale, traduction de F Dubois Charlier et Drobinson, Larousse, Paris, France, 1970.*

المحاضرة السادسة

مدرسة كوبنهاغن

توطئة:

تطور البحث اللساني في القرن العشرين على أيدي أنصار "اللسانيات البنيوية" " *linguistique structurale*"، فكانوا يتطلعون إلى مناهج جديدة تساير الاتجاهات الأخرى العامة السائدة في العلوم، وعليه فقد اكتسبت لسانيات النصف الأول من القرن العشرين سمتها الخاصة، وسادت نظرتهم الجديدة إلى الظواهر اللغوية، لكن هذا لا يعني أن اللسانيات التقليدية قد اضمحلت، أو انتهت، زد على ذلك أن "الصوتيات" "*Phonétique*" شهدت بوصفها أبسط العناصر اللسانية، وأكثرها قابلية للبحث ازدهارا كبيرا؛ ذلك أن الأصوات هي العنصر المادي المحسوس الوحيد في اللغة، أما المعاني فهي مجردة، وشكلت حقلا بكرا ملائما لبناء النظريات.

كما أكدت "البنيوية" "*Structuralisme*" ضرورة الفصل بين الدرس الآني "التزامني" "*synchronique*"، والدرس التاريخي "التعاقبي" "*diachronique*"، بعد أن كان النحو التاريخي والمعاصر متداخلين، وزاد الاهتمام في القرن العشرين باللغات "غير الهندوأوروبية"، وتوافرت بين أيدي اللسانيين مادة خصبة من تلك اللغات التي تتميز باختلاف بنيتها عن اللغات "غير الهندوأوروبية"، وصرف البنيويون جل اهتمامهم إلى إقرار الدراسة الوصفية اللسانية في المراحل الأولى، لذلك ذهب بعض الدارسين إلى اتهامهم بإهمال الدراسة التاريخية للغة، لكن الواقع يثبت عكس ذلك، فإذا كان هؤلاء البنيويون قد اهتموا اهتماما كبيرا بالمنهج الوصفي، فذلك لأنهم كانوا بصدد ترسيخ هذا المنهج وإقراره، لكن تاريخ اللغة لديهم اكتسب محتوى مختلفا، فعلى تاريخ اللغة – في رأيهم – أن يفسر التطور اللغوي في مجمله، وأن يدرس أسباب هذا التطور، أو التغير اللغوي.

كما حظي "علم اللهجات" "*Dialectologie*" باهتمام اللغويين في بداية القرن العشرين، كما بلغ علم الدلالة طور النضج في هذا القرن، وكذلك شهدت اللسانيات النفسية "*Linguistique psychologique*" (علم اللغة النفسي "*Psycholinguistique*") إنجازات كبرى، إلى جانب النحو المنطقي، أو العقلاني، أو التوليدي، كما توسع مفهوم الدراسات الفيلولوجية "*Philologie*"، فشملت التاريخ الثقافي للغة، ودراسة العامية، والأدب الشعبي، وهكذا اكتسبت "البنيوية" انتشارا واسعا، وأضحت فكرة البنيويين أن اللغة نظام تواصلي ينبغي على الباحثين أن يفحصوا بنيته، من المسلمات التي لا يمكن للساني أن يتجاوزها، وأعرض كثير من البنيويين عن معالجة القضايا اللسانية التقليدية التي كانت قد ازدهرت من قبل، وأضحى التعاون المكثف بين اللسانيين والعلماء في المجالات المعرفية الأخرى سمة بارزة من سمات المنهج البنيوي، فلجؤوا إلى اقتباس مناهج العلوم الأخرى وطرائق البحث فيها [1].

"اللسانيات البنيوية "هي علم يقوم على أساس أن تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يتم بمعزل عن بقية العناصر في النظام اللغوي، وهي نظرية تطبق المنهج الوصفي في دراسة اللغة، فتنظر إليها على أنها وحدات صوتية تتجمع لتكون وحدات مورفولوجية (صرفية) لتكون هذه بدورها عبارات، وتراكيب، وجملا، "فاللسانيات" تطورت عبر مراحلها التاريخية،

[1] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م، ص 101.

والمتعاقبة، وأصبحت علما أساسيا يعتمد على المناهج العلمية الحديثة، وما كان لهذا العلم أن يصل الى هذا التطور لولا جهود علماء كبار أفنوا حياتهم في سبيل البحث، والدراسة عبر مدارس لسانية لها روادها، ومنهجها، ومبادئها.

بلغت "اللسانيات البُنيويَّةُ" أوجَها في الفترة الواقعة بين (1925 م – 1950 م) وبذلك نستطيعُ القولَ إنَّ المدارس اللغوية منذ "فرديناند دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*" وحتى "نعوم تشومسكي" " *Noam Chomsky*" تنتمي إلى "اللسانيات البنيويَّةِ" بصورةٍ أو بأخرى، لأنها جميعا تؤمن بأنَّ اللغَةَ عبارَةٌ عن نظامٍ مِنَ العلاقات، وتعود البنيوية في اللسانيات إلى ما قبل عام 1930 م في "أوروبا"، و"الولايات المتحدة"، وتعني البنيوية منهجا جديدا في تناول حقائق معروفة بالنظر إلى وظيفتها في النظام، كما تنظر إلى الوظيفة الاجتماعية في اللغة (الوظيفة التواصلية) فاللغة ظاهرة اجتماعية وظيفتها التواصل والتفاهم المتبادل، إلى جانب التمييز بين الجوانب التاريخية، وخصائص النظام اللغوي في لحظة زمنية محددة، ولعل من أهم التيارات البنيوية الحديثة في اللسانيات، "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" وقد عرفت هذه المدرسة باسم "الغلوسيماتيكية" "*Glossematics*" التي اعتمدت "المنهج التحليلي، والاستنباطي"، وقد درست اللغة أيضا على أنها صورة "*forme*" وليست "مادة" "*substance*"، واعتبرت اللغة حالة خاصة من "النظام السيميائي" "*système sémiologique*".

التعريف بالمدرسة (النشأة والتطور):

ظهرت "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" في مطلع القرن العشرين عام 1933 م متأثرة بالمفاهيم الجديدة التي جاء بها "دي سويسر"، ومقرها "كوبنهاجن" "*Copenhague*" "بالدانمارك" " *Danemark*"، وتعتبر هذه المدرسة من أهم "التيارات البنيوية الحديثة" في اللسانيات، وقد عرفت هذه المدرسة "الغلوسيماتيكية" "*Glossematics*" [1]، وتسمى "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" أيضا "بمدرسة اللغويات الرياضية" [2]، أو "مدرسة السوسيريين الجدد" لأنها تقترب كثيرا من وصفية "دي سوسير"، وقد تأسست "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" على يد "لويس هيلمسليف" "*Louis Hjelmslev*"، و"راسموس فيغو برونداال" "*Rasmus Viggo Brøndal*" [3]، وظهرت مجلتها "مجلة كوبنهاجن اللغوية" "*Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague* " عام 1934 م، وكان مجال نشرهم فيما بعد هي أعمال "حلقة كوبنهاجن اللغوية"، بالإضافة إلى ذلك فقد اشتركتا مع "مدرسة براغ اللغوية" منذ 1939 م في نشر مجلة "أعمال لغوية للمجلة الدولية لعلم اللغة البنيوي" " *Revue internationale de linguistique structurale* " .

[1] حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 02، 2000 م، ص 231.

[2] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 62.

[3] السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الازهرية، القاهرة، مصر، 2008، ط 01، ص 78.

حاول أصحاب هذه المدرسة التجديد في طريقة دراسة اللغة، والإعراض عن الأساليب التقليدية، واعتماد الدراسة العلمية، وقد وظفوا المصطلحات الغربية في بحثهم اللساني، وصاغوا العناصر اللغوية في شكل رموز جبرية ذات سمة رياضية، واستعملوا التراكيب اللغوية في شكل معادلات رياضية الأمر الذي ترتب عليه ردة فعل قوي من اللسانيين، والمفكرين، والفلاسفة [1]، هذه الجماعة انتشرت دراستها بأكثر من لغة فمنهم من نشر "بالإنجليزية"، و"الفرنسية"، و"الألمانية"، لقد قامت هذه المدرسة على كثير من مبادئ "مدرسة جنيف اللغوية" ثم "مدرسة براغ اللغوية" لكن أهم ما يميزها أنها حصرت الدراسات اللغوية في مجال "علم الرموز" "*symbologie*"، وأهملت الأصوات والمعاني، ونظرت إلى اللغة على أنها كيان صوري مجرد مستقل، يخضع لنسق من العلاقات الداخلية يمكن دراستها بنوع من المعادلات الجبرية للوصول إلى أحكام لغوية جديدة عامة.

ولعل من أهم هذه المبادئ التي قامت عليها "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" [2]:

الأول: اللغة ليست "مادة"، وإنما هي "صورة" أو "شكل".

الثاني: جميع اللغات تشترك في أنها تعبر عن محتوى.

الثالث: يوضع لتحليل اللغة نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات.

الرابع: تقوم على النقد الحاد للسانيات التي سبقتها وحادت في نظرها عن مجال اللغة بانتصابها خارج الشبكة اللغوية.

الخامس: تقوم على النسقية التي تنصب على داخل اللغة فهي تصدر منها.

من خلال هذه المبادئ نستنتج أن اللغة من منظور هذه المدرسة لها جانبان: "اللفظ، والمعنى" وكلاهما له شكل وجوهر؛ فشكل المعنى هو "علم النحو"، وجوهره "علم الدلالة"، وشكل اللفظ هو "علم الصوتيات"، وجوهره "علم الفنولوجيا"، فبدلا من أن نقول في اللغة العربية مثلا: إن حرف الجر يختص بالأسماء، نقول: إن ظهور حرف الجر في جملة ما، لابد أن يصاحبه ظهور الاسم، وبدلا من أن نقول: إن الصفة تتبع الموصوف في الإعراب والعدد والنوع، – ومعنى هذا أن ظهور أي عنصر لغوي يحكمه ظهور عنصر لغوي آخر – ، تأتي الصياغة الرياضية الصورية لهذا القانون، فنقول مثلا: إن ظهور العنصر "س" في تركيب ما يؤدي إلى ظهور العنصر "ص"، أو العكس.

إذا هذه النظرية تتعامل مع عدد من العلامات القائمة على عدد من العناصر اللغوية، التي يعبر عنها "رياضيا"، حيث تمزج بين علمي "اللغة" و"المنطق" بصورة تجريدية، وعلى الرغم من هذا فإن هذه النظرية لم تقدم إلا عددا ضئيلا من التصنيفات اللغوية وقد عاب اللغوي الإنجليزي "فيرث" "*John Rupert Firth*" هذه النظرية، ووصفها بأنها نظرية مجرة منطقية، ومن هذا المنطلق لم تحظ تعاليم "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" بالانتشار، ولم يكتب لأفكارها، ومقولاتها الذيوع، لغرابتها، وغرابة ما يعبر عنها من المصطلحات، ومعنى هذا أن نظرية "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" هي محاولة

---

[1] جرهارد هليش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003 م، ص 61، 62.

[2] ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 158، وينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 109.

لإنشاء بناء منطقي رياضي، يستند إلى جهاز من التعريفات والمصطلحات، وقد أضفى عليها هذا التصور الجديد للغة ضربا من الصعوبة، فلم يحالفها الحظ في الانتشار، على نحو ما انتشرت مدرسة "جنيف"، و"موسكو"، و"براغ" .

أقطاب "مدرسة كوبنهاجن اللغوية"

عرفت هذه المدرسة "بجماعة كوبنهاجن"، وهم نخبة من اللسانيين الذين أسهموا بشكل فعال في تطور الدرس اللساني في الربع الأول من القرن العشرين، وتعرف هذه المدرسة أيضا "بالسوسيرية المحدثة" [1]، وتميل كذلك إلى التجريد والتحليل المنطقي باستخدام الطرق الرياضية، وهي مدينة لتعاليم "دي سوسير" والمنطق الرمزي [2].

ولعل من أهم رُوَّاد هذه المدرسة هم اللغويون الدانماركيون على نحو: "لويس هيلمسليف" "*Louis Hjelmslev*"، و"راسموس فيغو برونداﻝ" "*Rasmus Viggo Brøndal*"، و"ينْس أُوتّو هاري يسْبرسِن" "*Jens Otto Harry Jespersen*"، و"هولغر بيدرسن" "*Holger Pedersen*".

لويس هيلمسليف

"لويس هيلمسليف" [3] "*Louis Hjelmslev*" عالم لسانيات دنماركي، وَضَعت آراؤه الأساس لما عُرف بـ"مدرسة كوبنهاغن اللسانية"، وهو سليل عائلة من "الأكاديميين"، ولد في العاصمة "كوبنهاغن" "*Copenhague*" – عاصمة الدنمارك "*Danemark*" – يوم 03 أكتوبر 1899 م، ودرس اللسانيات المقارنة في جامعتها، ثم في "براغ" "*Prague*" "بجمهورية التشيك"، و"باريس" "*Paris*" "بفرنسا"، حيث كان من زملائه في الدراسة، "جوزيف ڤندريس" "*Joseph Vendryès*" أسهم في عام 1931 م في تأسيس "حلقة كوبنهاغن اللسانية" "*Cercle Linguistique de Copenhague*" اقتداء "بحلقة براغ اللغوية" "*Cercle Linguistique de Prague*"، وكان ذلك بالتعاون مع "راسموس فيغو برونداﻝ" "*Rasmus Viggo Brøndal*" الذي طوّر معه نظرية جديدة في اللغة أطلق عليها تسمية "الغلوسيماتيكية" "*Glossematics*" وهي مصطلح مشتق من الأصل اليوناني "*glossa*" بمعنى "لسان" أو "لغة والجذر" "*glosseme*" وهو أصغر وحدة ذات معنى في أي لغة من اللغات، قد يكون كلمة، أو جذراً، أو عنصراً نحوياً، أو عنصر نبر، وهدف هذه النظرية المتأثر ببنيوية "حلقة براغ اللغوية" هو تطوير منظومة تحليل لغوي يعتمد على توزيع

---

[1] عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م، ص 23 .

[2] إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م، ص 25.

[3] ينظر إلى ترجمة "يلمسيف" في:

ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 247، وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م، ص 116، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 157 وما بعدها، وينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 79، وينظر: هيام كردية، معجم أعلام الألسنية في الغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2011 م، ص 224 / 226.

Butler Christopher, Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories, john benjamins publishing company, Amsterdam, Pays-Bas, 2003, part 1, p 121 / 124.

هذه الوحدات وعلاقاتها الداخلية [1]، و"لويس هيلمسليف" هو ابن عالم الرياضيات "يوهانس هيلمسليف" " *Johannes Hjelmslev*" "1873-1950"، ولعل هذا ما دعاه إلى إدخال عمليات علمية رياضية في التحليل اللساني، و"لويس هيلمسليف" بهذا الإجراء حاول عصرنة الدراسات اللغوية باستخدام مناهج علمية رياضية.

ويعد "لويس هيلمسليف" صاحب النظرية البنيوية التحليلية (الرياضيات اللغوية) تتلمذ في "باريس" على يد اللساني الفرنسي "أنطوان ميبه" "*Antoine Meillet*" "1866 م / 1936 م" الذي اتسمت أعماله بالالتزام الصارم بمبادئ "فقه اللغة" "*philologie*" التي تدرس اللغة من الناحية التاريخية بما فيها المقارنة بين اللغات، ودراسة النصوص الأدبية، والتاريخ الثقافي لمجتمع ما، كما تأثر "ميبه" هو الآخر بتعاليم "دي سوسير" [2]، نشر "هيلمسليف" في عام 1928 م أول بحوثه المهمة بعنوان "مبادئ النحو العام" "*Principes de grammaire générale*"، ثم أصدر في الثلاثينيات كتابه الثاني "نوع الحالات الإعرابية" "*La catégorie des cas* " وهو إسهام مهم في حقل اللسانيات، وفي "نظرية المعرفة" المتعلقة باللسانيات "*épistémologie de linguistique*"، أما أشهر أعماله فهو "مقدمة في نظرية اللغة" "*Les prolegomènes à une théorie de la langue*" الذي صدر عام 1943 م انتقد فيه الطرائق السائدة آنذاك في "علم اللسانيات" كونها وصفية أكثر منها منهجية.

ومثله مثل "فرديناند دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*" رأى "هيلمسليف" في اللغة نظاماً من العلامات من حيث الاستخدام اللغوي، لكن اللغة من وجهة نظر عالِم اللغة يجب أن تتبدى نظاماً من الأشكال، أو الوحدات المتناهية الصغر، وحدد "هيلمسليف" العلاقة اللغوية بأنها الوحدة الناجمة عن الوظيفة الدلالية، وهي التي تتضمن "شكل التعبير"، و"شكل المحتوى"، وهما مستويان لغويان؛ **"فمستوى التعبير"** هو المنحنى الخارجي في اللغة؛ أي: الغلاف الصوتي، أو الكتابي (أو أي غلاف آخر يمكنه احتواء الأفكار والمعاني)، و**"مستوى المحتوى"** هو الذي يكوِّن الآراء التي يعبَّر عنها بوساطة اللغة [3]، وأخذ كثير من علماء اللسانيات على "هيلمسليف" و"مدرسة كوبنهاغن اللغوية" أن اللغة صارت لديهم كياناً تجريدياً مستقلاً عن الواقع؛ مما يجعلها تغرق في الصيغ والتراكيب الرياضية البحتة، فقد انصرفت نظرية "هيلمسليف" ومعها "مدرسة كوبنهاغن اللغوية" عن تأمل الوقائع والظواهر المباشرة إلى ملاحظة بنية هذه الوقائع والظواهر؛ مما يجعل منها مجموعة من التصورات الشكلية التي تقتصر على المجال النظري.

توفي "هيلمسليف" "بكوبنهاجن" يوم 30 ماي 1965 م.

من آراء "لويس هيلمسليف"

[1] ينظر: هيام كردية، معجم أعلام الألسنية في الغرب، ص 225 .

[2] *Butler Christopher, Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories, part 1, p 123 , 124.*

[3] وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 117.

يفرق "لويس هيلمسليف" في إطار نموذجه الثنائي للعلامات بين الشكل "*forme*" والمادة "*substance*" فهو يحدد اللغة بأنها شكل خاص منظم داخل مادتين: "مادة المضمون"، و"مادة التعبير"، وانطلاقا من موقف "لويس هيلمسليف" يبدو أنه خرج نوعا ما على مفاهيم "حلقة براغ اللغوية" والتي ترى أن اللغة "شكل" وليست "المادة" [1].

ومن أهم ما جاء به "لويس هيلمسليف" مفهوم "غلوسيماتيك" "*glossématique*" وهي مصطلح مشتق من الأصل اليوناني "*glossa* " بمعنى "لسان" أو "لغة والجذر" "*glosseme*" وهو أصغر وحدة ذات معنى في أي لغة من اللغات، وهذا لتعيين النظرية المستخلصة من نظرية "دي سوسير" التي تجعل من اللغة غاية لذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة بالكلام، والنظرية هذه تهتم قبل كل شيء باللسانيات، فإذا ثبتت نجاعتها توسع بها إلى العلوم الإنسانية الأخرى، ولكي يمكن قبول نتائجها يجب أن تتفق والتجربة الفعلية، ومع هذا فإن نظرية "لويس هيلمسليف" نظرية بارعة في عمومها، وشمولها، ومداها، ولكن هذه النظرية لم تطبق حتى الآن تطبيقا كاملا على لغة من اللغات، ولا حتى اللغة الدنماركية لغة "لويس هيلمسليف"، وربما كان هذا مما يوحي بأن من الخير أن تعد هذه النظرية نوعا من الرياضيات الخالصة [2]، من مؤلفاته: "مقدمة في النظرية اللغوية"، و"مقدمة في اللغة"، و"محاولات لسانية".

Prolégomènes à une théorie du langage
La Structure fondamentale du langage
Le langage

راسموس فيغو بروندال

"راسموس فيغو بروندال" [3] "*Rasmus Viggo Brøndal*" عالم، ولغوي، وفيلسوف دنماركي ولد "بكوبنهاجن" في 13 أكتوبر 1887 م، وتوفي في 14 ديسمبر 1942 م "بكوبنهاجن"، كان أستاذا للغات الرومانسية والأدب في "جامعة كوبنهاغن" "*Université de Copenhague*"، وكان أيضا مؤسسا "لحلقة كوبنهاغن اللغوية".

تلقى "بروندال" تعليما تقليديا في "علم الفلسفة" لكنه أظهر اهتماما مبكرا بالمشاكل النظرية، إذ قدم له الفيلسوف الدنماركي "هارالد هوفدينغ" "*Harald Hoffding* " نظرية وتاريخ الفئات الفلسفية، التي كانت أساس نظريته "للسانيات التطورية" "*Linguistique évolutionnaire*"، هذه الخلفية جعلته يتقبل أفكار "قبل البنيوية" "*Pré structuralistes*" (مثل: أنطوان مييه) خلال دراسته في "باريس" من (1912 م- 1917 م)، قرأ كتاب

---

[1] بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 01، 2004 م، ص 161.

[2] جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 109.

[3] ينظر إلى ترجمة "راسموس فيغو بروندال" إلى المراجع الآتية:

Patrick Guelpa, Introduction à l'analyse linguistique, Armand Colin Masson, paris, France, 1997, P 131.
Larsen, Svend Erik, Actualité de Brøndal, Ediciones Larousse, Hachette Livre; Lagardère, paris , France, 1987, p 86.
Per Aage Brandt, Linguistique et sémiotique: actualité de Viggo Brøndal, Travaux du cercle linguistique de Copenhague, Danemark, 1989, p 25.

"فرديناند دي سوسير" "دروس في اللسانيات العامة" "*Cours de linguistique générale*" مباشرة بعد نشره، حيث كان يراجع النسخة النهائية من أطروحته الموجهة عن "تاريخ اللغة" عام 1917 م؛ واحتوت هذه المذكرة على كثير من أفكار "دي سوسير"، وفي عام 1928 م، تم تعيين "برونداال" أستاذا "للغات الرومانسية" في "جامعة كوبنهاغن"، حيث بقي في التدريس حتى سنة 1942 م، وسرعان ما أصبح "برونداال" مع "لويس هيلمسليف" من الشخصيات الرئيسية في "علم اللغة الإنشائية الدنماركية"، وكان "برونداال" على اتصال وثيق مع "حلقة براغ اللغوية" "*Cercle linguistique de Prague*"، وخاصة "رومان جاكبسون" "*Roman Jakobson*"، وكان من أهم مؤسسي "مدرسة كوبنهاغن اللغوية" في عام 1931 م.

تعد المشكلة الأساسية التي تناولها "برونداال" في اللسانيات هي العلاقة بين الفكر واللغة، وقد وضع قواعد اللغة التي توحد اللغويات والمنطق على أساس مبادئ "اللسانيات البنيوية الحديثة"، بالنسبة "لبرونداال"، كانت بنيوية "دي سوسير" من أهم الأليات التي ساعدته على شرح أعماله النحوية [1]، ولعل من أهم هذه الأعمال "اللغة والمنطق" عام 1937 م "*Langage et logique*"، و"اللسانيات البنيوية" عام 1939 م "*Linguistique Structurale*" وقد أعيد طباعتهما في "مقالات في اللسانيات العامة" عام 1943 م، مع بيبليوغرافيا مشروحة من "برونداال" كان من المفترض أن تحتوي قواعده اللسانية على جميع المبادئ لخصم العناصر المحددة للغة على مختلف المستويات، وعلاقتها بالحقائق غير اللغوية، بقدر ما يمكن لتلك العناصر، والعلاقات أن تعبر عن العلاقة بين اللغة والفكر، تحتوي هذه المقالات على كل من القواعد النحوية واللغوية على أربعة أبعاد: "التشكل"، "التركيب"، "الرمزية"، و"المنطق"، ويغطي البعدان الأخيران التعبير اللغوي والمحتوى اللغوي، على التوالي [2].

على الرغم من أن "برونداال" من اللغويين البنيويين، إلا أنه لم يدافع أبدا عن فكرة اللغة باعتبارها بنية متماسكة بحتة، إن صورته المفضلة للغة هي كهيكل هندسي نحول به العالم إلى معنى، وعند القيام بذلك، نعمل على موقفنا وبنية العالم، هذه العلاقة التي لا تنفصم بين اللغة والواقع، وهي الموضوع، والهدف، والعقل، والمادة هي الواقع من حيث الحقيقة، ولكي تكون هذه النظرية صالحة، يجب أن تجيب على السؤال المتعلق بكيفية ارتباط البشر بالعالم من خلال وعي محدد لغويا، وليس مجرد وصف هيكل رسمي ثابت، وجوهر نظرية "برونداال" هو إعادة تفسير فئات "أرسطو" الفلسفية، منذ البداية، يقترح "برونداال" توليفة من اللغويات الكلاسيكية والحديثة في محاولة طموحة لفهم الواقع البشري على أساس الكون اللغوي، ودمج مفاهيم المنطق، والفلسفة اللغوية [3].

---

[1] بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2009 م، ص25، 26.

[2] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 317 وما بعدها.

[3] جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م، ص 135.

ويركز عمل "برووندال" على قواعد اللغة العالمية على التشكيل، والرسومات المجردة للدلالات، وبناء الجملة، وهو يتعامل فقط بشكل متقطع مع "علم الأصوات"، وهذا هو، البعد الرمزي في نظريته، لم يكن "برووندال" قلقا بشكل خاص بشأن مفهوم العلامة، وكان هدفه النهائي العثور على السمات الأساسية للغة التي حافظت عليها كظاهرة متعمدة في الحس الظاهري، ورأى لجوهر اللغة وهدفها في العلاقة الإنسانية بالعالم، لكن مفاهيم "برووندال" مستمدة من نفس السياق الفلسفي لمفهوم الإشارة، وهي في المقام الأول فئات "أرسطو" – المادة، والكمية، والجودة، والعلاقة – المنقحة للإشارة إلى الفئات العامة الأربعة، النسب، والوصف، هذه الفئات هي العناصر الأساسية لبناء قواعد اللغة.

وقد ساعدت متطلبات "اللسانيات البنيوية" عند "برووندال" على تعريف الفئات في العلاقات المتبادلة اللازمة، والكافية للأغراض المورفولوجية والنحوية، ولكنه وضع أيضا مجموعة من الفئات النسبية المحددة، وخاصة التماثل، والانتقال، والاتصال، من العلاقات المنطقية للنظرية المنطقية الحديثة، وذلك أساسا لأغراض الدلالية، جميع الفئات توضح طرقا مختلفة لربط الأشياء والوعي، وعلاوة على ذلك، يتم تنظيم كل من مجموعة من الفئات وفقا لسلسلة من المبادئ البنيوية المستمدة من مذهب اللغة كبنية من الاختلافات والتشابه [1].

كما طور "برووندال" مبدأ الاستمرارية ليشمل المفهومين المترابطين للتعويض والتباين [2]، وهي أقل منطقيا من أشكال العلاقة والفئات، وهي تفترض مسبقا وجود عناصر محددة نوعيا من قبل الفئات، وكميا من خلال أشكال العلاقة، على هذا الأساس، فإنها تخلق صلة بين الخصائص النوعية والرسمية للوحدات النحوية، إذا كان، في لغة معينة، يتم تعريف العنصر النحوي (على سبيل المثال، فئة كلمة) رسميا على أنها معقدة، ثم التمايز الداخلي للطبقة سيكون أكثر تقييدا من التمايز الداخلي لعنصر أقل تعقيدا (إيجابي، أو سلبي، أو محايد)، وهذا ما يسمى "مبدأ التعويض"، إذا كان هناك عنصران أو مجموعة من العناصر، في لغة معينة، يتلقون تقريبا نفس التعريف النوعي أو الرسمي (على سبيل المثال، "الأسماء"، و"الصفات"، و"حروف الجر")، فإن التمايز الداخلي للعنصرين، أو مجموعات العناصر سيكون مختلفا، وهذا ما يسمى "مبدأ الاختلاف".

يِنْس أُوتّو هاري يِسْبرِسِن

"يِنْس أُوتّو هاري يِسبرسن" [3] *Jens Otto Harry Jespersen*"، عالم لغات، وعالم صوتيات دنماركي، وحجة بارزة عالمياً في قواعد اللغة الإنكليزية، ولد في بلدة "راندرز" "*Randers*" بالدانمارك في 17 جويلية 1860 م، وتوفي في مدينة "روسكيلدِه" *Roskilde* بالدانمارك في 30 أفريل 1943 م، وأسهم في تطوير تعليم اللغات في المناهج

[1] ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م، ص 418.

[2] بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ص 221 وما بعدها.

[3] ينظر إلى ترجمة "يِنْس أُوتّو هاري يِسْبرِسِن" في المراجع الآتية:

J M Pickett, The sounds of speech communication: a primer of acoustic phonetics and speech perception, Baltimore: University Park Press, Pennsylvania, USA, 1980.
Peter Ladefoged, Preliminaries to Linguistic Phonetics, Cambridge University Press, United Kingdom, 1971.

التعليمية الأوربية، كما ساعد بقسط كبير من خلال مؤلفاته المتعددة على تطوير "علم الصوتيات"، و"النظرية الألسنية" [1]، و"تاريخ اللغة الإنكليزية"، إضافة إلى تأسيس لغة عالمية عُرفت باسم "نوفيال" "*Novial*"، عرضها في كتابه "لغة عالمية" "*Langue internationale*" سنة 1928 م، وأتبعه في عام 1930 م بمعجم لها، آمن "يسبرسن" بأن مشاكل اللغة سببت الحرب، ولذلك صنع لغته "نوفيال"، لكن لغة "نوفيال" خمدت بوفاة "يسبرسن" عام 1943 م، وبقيت كذلك حتى أعيد اكتشافها، وبُعثت من جديد في تسعينات القرن العشرين في ظل الاهتمام باللغات الصناعية في عصر الإنترنت.

وتعتبر "نوفيال" لغة اصطناعية ولغة مساعدة دولية، صنعها "أوتو يسبرسن" كي تكون لغة تعارف، وتواصل دولي دون أن يضطر أحد إلى تغيير لغته الأم، ومفردات "لغة نوفيال" مبنية بشكل كبير على اللغات "الجرمانية؛ أي من الألمانية، والإنجليزية، والهولندية، والسويدية، والدنماركية، والنرويجية، والآيسلندية، و"الرومنسية" – اللغات الرومنسية أصلها "اللغة اللاتينية" أغلبيتها في جنوب أوروبا، وأهمها هي الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية، والرومانية، والكتلانية – ، وقواعدها متأثرة "بالإنجليزية"، وساعد "أوتو يسبرسن" في صناعة "لغة إيدو"، ولغة إيدو"*Ido*" هي لغة اصطناعية ابتكرت لتصبح لغة ثانية عالمية لمتحدثي الخلفيات اللغوية المختلفة، وهي أسهل للتعلم من أي لغة عرقية، يوازي هذا الاستعمال المقصود الاستعمال الحالي "للغة الإنجليزية" كلغة تعارف، و"كالفرنسية"، و"العربية"، و"اللاتينية"، و"اليونانية" في العصور السابقة، بخلاف "اللغة الإنجليزية" التي تعتبر لغة طبيعية وشاذة أحياناً، ولقد صمم "أوتو يسبرسن" "لغة إيدو" بشكل معين للانتظام المعجمي، والإملائي، والقواعدي، وبهذا المعنى، "إيدو" تصنف كلغة مساعدة دولية، هي قد تكون ثاني أكثر اللغات استعمالاً بعد "لغة الإسبيرانتو" "*Esperanto*" ، – "لغة الإسبيرانتو" هي لغة مصطنعة اخترعها طبيب العيون البولندي "لودفيغ أليعازر زامنهوف" "*Ludwik Lejzer Zamenhof*" كمشروع لغة اتصال دولية سهلة عام 1887 م، لم تكن "لغة الاسبرانتو" معادلة لإحدى اللغات الأوروبية الرئيسية بل هي تغيير معجمي لاتيني، وبالتالي هي قريبة بشكل نسبي "للغة السلافية"، ووثيقة الصلة "بالعبرية الحديثة"، و تغيير معجمي عبراني –.

استعمل "أوتو يسبرسن" في "لغة إيدو" الأبجدية اللاتينية ذات الحروف الستة والعشرين المستعملة في الأبجدية الإنجليزية بدون علامات صوتية، وهي بذلك تشبه اللغات الرومانسية في الشكل، ويظن البعض أحيانا أنها "اللغة الإيطالية"، أو "الإسبانية" من النظرة الأولى، و"لغة إيدو" واضحة بشكل كبير لأولئك الذين درسوا "لغة الإسبيرانتو"، مع ذلك هناك بعض الاختلافات في تشكيل الكلمة، والقواعد، والكلمات الوظيفة القواعدية التي تجعلها أكثر من مشروع إصلاح بسيط [2]، بعد استهلالها من طرف "أوتو يسبرسن"، كسبت "لغة إيدو" دعماً من بعض جاليات "الإسبيرانتو" في ذلك الوقت، لكن بعد موت "أوتو يسبرسن" هبطت في الشعبية، وكان ذلك لسببين: أولاً، ظهور الانشقاقات الدينية

[1] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974 م، ص 42.

[2] ينظر: فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، بمراجعة عبد السلام رضوان، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر، 2000 م، ص 242.

الأخرى التي نشأت عن مشاريع الإصلاح المتنافسة؛ وثانيا: قلة العامة التي تعي "لغة إيدو" كمرشحة للغة دولية، أضعفت هذه العقبات الحركة، وهي لم تزيد إلا بعد ظهور الإنترنت حيث بدأت باستعادة زخمها السابق.

استلهم "يسبرسن" في شبابه أعمال مواطنه اللغوي الشهير "راسموس راسك" ***Rasmus Rask*** واعتمد على نحوياته للبدء بدراسة اللغات "الإيسلندية"، و"الإيطالية"، و"الإسبانية"، ثم قرر خوض ميدان الدراسات اللغوية حين كان "علم الصوتيات"، وتطوير تعليم اللغات يشغلان الحيز الأكبر من اهتمام العلماء، فحصل في عام 1887 م على "شهادة الماجستير" من "جامعة كوبنهاغن" بأطروحة في "اللغة الفرنسية"، وكان قبل ذلك بعام واحد قد نشر أولى أعماله المهمة عن "قوانين الصوتيات"، مما ساعد على تأسيس "الجمعية الاسكندنافية لإصلاح تعليم اللغة"، شغل بين عامي "1893 م / 1925 م" كرسي أستاذ اللغة الإنكليزية في "جامعة كوبنهاغن"، قاد في أثنائها حركة بناء تعليم اللغة على تبادل الحوار كلامياً بدلاً من حفظ النصوص، والعمل على مفرداتها، وقواعدها النحوية، وألف في هذا المجال عدداً من الكتب التي استخدمت في الدانمارك وغيرها من بلدان شمالي أوروبا وغربيها، وقدم في كتابه الشهير "كيفية تدريس اللغة الأجنبية" " ***Comment enseigner une langue étrangère***" عام 1901 م، أورد فيه "يسبرسن" جملة من الأفكار، والتأملات النظرية في الموضوع، وقد تركزت معظم أبحاثه المنشورة حول اللغة الإنكليزية، وأهمها "نمو اللغة الإنكليزية وبنيتها" "***La croissance et la structure de la Langue anglaise*** " في عام 1909 م في سبعة أجزاء.

أولى "يسبرسن" اهتماماً خاصاً للعلاقة ما بين الصوت والمعنى في اللغة، وكان من أولى اهتماماته أيضاً التطور اللغوي الذي تأثر فيه بنظرية عالم التاريخ والطبيعة والجيولوجيا البريطاني "تشارلز داروين" " ***Charles Robert Darwin*** " في النشوء والارتقاء، مما ظهر جلياً في كتابه "التطور في اللغة، مع إشارة خاصة إلى الإنكليزية" " ***Les progrès dans Langue, avec référence spéciale à l'anglais phonétique***" عام 1894 م، وقد بقي كتابه "الصوتيات" "***phonétique***" مدة طويلة من الزمن أفضل دراسة علمية في حقل "علم الصوتيات العام" [1].

وفي عام 1913 م أنجز "يسبرسن" عملاً رائداً في كتابه "منطق اللغة" "***La logique de la langue***" على صعيد "نظرية النحو" "***théorie grammaticale***"، أما عمله الرئيسي في نشأة اللغة، وارتقائها، وربما الإنجاز الأكثر إبداعاً فقد سطّره في كتابه "اللغة: طبيعتها، تطورها، وأصلها" " ***langue Son développement , nature et origine***" عام 1922 م، كما عبر عن إيمانه بفعالية التغيير اللغوي في كتابه "فلسفة النحو" " ***La philosophie de la grammaire***" عام 1924 م، وانطلاقاً من اهتمامه الطويل الأمد "باللغات العالمية المساعدة" " ***international Langues auxiliaires***"

هولغر بيدرسن

ولد "هولغر بيدرسن" "***Holger Pedersen***"، في 7 أبريل 1867 م في قرية ""جيلبال" "***Gelballe***" بالدنمارك، وتوفي 25 أكتوبر 1953 م في "هيليروب" "***Hellerup***" قريبة من "كوبنهاغن"، درس "اللغة الدنماركية"، "الأرمينية"، و"الألبانية"، وقد نشر العديد من الأعمال "باللغة الألمانية"، و"الفرنسية"، والتي كانت لغتي الأكثر استخداما

[1] ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 02، 1997 م، ص 53.

على نطاق واسع في مجال البحث اللغوي، درس "هولغر بيدرسن" في "جامعة كوبنهاغن"، وبعدها في "جامعة لايبزيغ" "*Université de Leipzig*" "بألمانيا" "*Allemagne*" [1]، وفي عام 1893 م، درس في "جامعة برلين"، "اللغات السلتية"، "السنسكريتية"، و"الأرمنية الكلاسيكية"، وفي العام نفسه، سافر إلى "كورفو" "*Corfou*" "جزيرة يونانية" لدراسة "اللغة الألبانية"، كما شارك "هولغر بيدرسن" في أعمال "نظرية الحنجرة"، واقترح أول مجموعة من "اللغات الهندو أوروبية" مع عائلات أخرى، وصاغ مصطلح "اللغات النوسترتيكية" "*Langues nostratiques*" لوصف اللغات، وهي الفصيلة افتراضية أو العائلة اللغوية الكلية، والتي تشمل عدة عائلات من اللغات الأوروبية والآسيوية.

في عام 1895 م، قضى عدة أشهر في "جزر آران" "*Îles d'Aran*" في "ايرلندا" "*Irlande*" لدراسة الشكل المحافظ للغة المنطوقة "الغيلية" "*gaélique*"، وهي من اللغات "الجودية" أو "الجويدية"؛ وهي اللغات التي تتكلمها "الشعوب الغالية" في "إيرلندا"، و"اسكتلندا"، و"جزيرة مان"، وتنقسم إلى فرعين وهما اللغات السلتية، واللغات البريتانية، وهي من ضمن ،اللغات الهندية الأوروبية، وفي عام 1896 م، مكث في "بريطانيا" حيث التقى بـ"جوزيف لوث" "*Joseph Loth*"، و"أنطوان ميبه" "*Meillet Antoine*"، ثم عاد "هولغر بيدرسن" إلى الدنمارك، وقدم أطروحة الدكتوراه في "جامعة كوبنهاغن" حول "اللغات الكلتية" "*Langues celtiques*" التي تتحدث بها بعض الجزر في "بريطانيا"، و"أيرلندا"، وفي الشمال الغربي من "فرنسا"، وفي عام 1900 م أصبح أستاذا محاضرا في "النحو المقارن"، وفي عام 1902 م عرض عليه "منصب الأستاذية" في "جامعة بازل" "*l'université de Bâle*"، لكنه رفض، ولكن سمح له في نفس الوقت لإقناع "جامعة كوبنهاغن" بإنشاء الأستاذية الخاصة بالنسبة له، أصبح أستاذا "للغة الروسية" في "جامعة كوبنهاغن"، ونشر قواعد "اللغة الروسية" في عام 1916 م، ودرس أيضا العلاقة بين "اللغات السلافية" باللغات البلطيقية السلافية، بما في ذلك "الروسية"، و"التشيكية"، و"الليتوانية"، ويضع دراسة مقارنة للغات البلطيقية السلافية، والذي سمي "بقانون بيدرسن" "*Loi de Pedersen*" [2].

في عام 1924 م و 1925 م، قدم عدة محاضرات في "المدرسة الفرنسية" "*Collège de France*" في "باريس"، وقام بتحرير كتاب عن مجموعة من "اللغات الهندو أوروبية".

كان "بيدرسن" مهتما بلغات آسيا الصغرى أيضا، وهي تعمل بشكل جيد في "اللغة الحيثية" وهي لغة منقرضة من "اللغات الأناضولية" كان يتحدث بها "الحيثيون"، في آسيا الصغرى وشمال "بلاد الشام"، وترجع أقدم نصوصها إلى الفترة الممتدة ما بين عام 1400 وعام 1190 قبل الميلاد، وكذلك درس "بيدرسن" العلاقة بين "اللغة الحييثة" مع اللغات الهندو أوروبية، وفي عام 1945 م، نشر دراساته حول هذه المقارنات، تولى "هولغر بيدرسن" رئاسة "جامعة كوبنهاغن"، ورئاسة "أكاديمية العلوم" في عام 1934 م إلى 1938 م، وكان فارس من فرسان الدرجة الأولى "*Dannebrog*" في عام 1919 م، وهو شارة على شريط مع زهرة معدنية تقلدها "بيدرسن" على الجانب الأيسر من الصدر، وتقلد وسام

[1] ينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 78.

[2] بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ص 167 .

"الصليب الأكبر" من وسام "*Dannebrog*" في عام 1950 م، وهو شارة تقلدها "بيدرسن" على الكتف الأيمن، بالإضافة إلى نجمة على الجانب الأيسر من الصدر.

وبناء على ما سبق فإن "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" قامت على كثير من مبادئ "مدرسة جنيف"، و"مدرسة براغ"؛ إذ اعتبرت اللغة ليست مادة، وإنَّما هي صورة، أو شكل ، زد على ذلك فإن جميع اللُّغات تشترك في أنها تُعبِّر عن محتوى، ويوضع لتحليل اللغة نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات، كما تقوم "مدرسة كوبنهاجن اللغوية" على النقد الحاد للسانيات التي سبقتها، وحادت في نظرها عن مجال اللغة بانتصابها خارج الشبكة اللغوية، فهي بذلك تقوم على النسقية التي تنصب على داخل اللغة، فهي تصدر منها وإليها، ولا تخرج عن دائرة اللغة المنظور إليها على أنَّها حقل مغلق على نفسه، وبنية لذاتها ، ومن ذلك تسعى المدرسة إلى إبراز كل ما هو مُشترك بين جميع اللغات البشرية، وتكون اللغة بسببه هي مهما تبدل الزمن، وتغيرت الأحداث [1].

أما فيما يخص منهج المدرسة، ومنهجيتها في مقاربة النصوص فإنها تعتمد المنهج الوصفي التحليلي، والاستنباطي، وقد درست اللغة أيضا على أنها صورة، وليست مادة، واعتبرت اللغة حالة خاصة من النظام السيميائي، وإن جميع اللغات تشترك في أنها تعبر عن محتوى، وما دامت اللغة هي "بنية"، و"شكل"، و"نظام" فريد قائم بذاته استدعى ذلك أن توضع لتحليلها نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات،

وتقوم على أساس وصف الظواهر اللغوية، وتحليلها، وتفسيرها تفسيريا موضوعيا للوصول إلى إقامة لسانيات علمية مبنية على أساس رياضي، ومنطقي، وكلي.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007م.
2. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
3. بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 01، 2004 م.
4. بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2009 م.
5. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974 م.
6. جرهارد هليش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003 م.
7. جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م.

[1] محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001 م، ص 76.

8. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 02، 2000 م.
9. السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الازهرية، القاهرة، مصر، ط 01، 2008.
10. صلاح فضل، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م
11. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2002م.
12. فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، بمراجعة عبد السلام رضوان، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر، 2000 م
13. محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001 م.
14. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 02، 1997 م.
15. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
16. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م.
17. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م.
18. هيام كردية، معجم أعلام الألسنية في الغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2011 م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Butler Christopher, Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories, john benjamins publishing company, Amsterdam, Pays-Bas, 2003.*
2. *Butler Christopher, Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories.*
3. *J M Pickett, The sounds of speech communication: a primer of acoustic phonetics and speech perception, Baltimore: University Park Press, Pennsylvania, USA, 1980.*
4. *Larsen, Svend Erik, Actualité de Brøndal, Ediciones Larousse, Hachette Livre; Lagardère, paris , France, 1987.*
5. *Patrick Guelpa, Introduction à l'analyse linguistique, Armand Colin Masson, paris, France, 1997.*
6. *Per Aage Brandt, Linguistique et sémiotique: actualité de Viggo Brøndal, Travaux du cercle linguistique de Copenhague, Danemark, 1989.*
7. *Peter Ladefoged, Preliminaries to Linguistic Phonetics, Cambridge University Press, United Kingdom, 1971.*

المحاضرة السابعة

المدرسة الوظيفيّة الفرنسية

توطئة:

يعترف "جان بياجيه" "*Jean Piaget*"، في مطلع كتابه "البنيوية" "*le structuralisme*" بأنه "من الصعب، تمييز البنيوية، لأنها تتخذ أشكالا متعددة لتقدم قاسما مشتركا موحدا"، فضلا على أنها "تتجدد باستمرار" [1]، وأن البنيويين في نظر الآخرين هم "جماعة يؤلف بينها البحث عن علاقات كلية كامنة"، تستمد روافدها من ألسنية "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*"، وأنثروبولوجية "كلود ليفي ستروس" "*Claude Lévi-Strauss*"، ونفسانية "جان بياجيه" "*Jean Piaget*"، و"جاك لاكان" "*Jacques Lacan* "، وحفريات "ميشال فوكو" " *Michel Foucault*" التاريخية والمعرفية، وأدبيات "رولان بارت" "*Barthes Roland*"،...وغيرها، فالبنيوية منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية، أو المجموع المنتظم، اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة.

اشتق لفظ "البنيوية" من "البنية" فكل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها –أو نفككها– إلى عناصرها المؤلفة منها، بدون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها، إن البنية نظام تحولات، والتحولات علاقات لعناصر البنية، أي دخول عنصر في البنية مع عنصر آخر في علاقة متبادلة، أو دخول جملة مع جملة، أو نص مع نص [2]، هذه العلاقة هي ما يمكن أن نطلق عليه تسمية "الوظيفة" *Fonction*؛ فالوظيفة، إذن، هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين مكونات البنية، وفاعلية هذه المكونات بالنظر إلى نشاطها الذي يمارسه كل عنصر منها داخل المجموعة التي ينتمي إليها، وليس هناك أية قيمة يمكن لأي عنصر أن يمتلكها بشكل منعزل، وإنما يكتسب مثل هذه القيمة بالعلاقة التي يشكلها مع عنصر آخر، أو مع عناصر أخرى، فيكون الكشف عن هذه العلاقات التي تتواصل من خلالها عناصر البنية هو كشف عن وظائف البنية ذاتها.

إذن، فالتحليل الوظيفي يعمل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام، وأساسه، مع النظر إلى أن كل تركيب، أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة، ومن هنا، لا يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام الذي تندرج في علاقاته، فالنظام هو تنظيم لعلاقات البنية، وضبطها، وليس هذا التنظيم سوى علاقات قواعدية محكمة للعناصر المتشكلة، والمتفاعلة فيه، والتي هي وظائف ذاتها، نتمكن بالكشف عنها من معرفة طرق الاستخدام اللغوي، وغاياته، وقد اهتم البنيويون وعلماء اللسانيات بمفهوم "الوظيفة" لا بل نال هذا المفهوم اهتماماً أكثر من غيره، نظراً لأهميته، من كونه يعنى بالقيمة الاتصالية للغة، وما يمكن أن تشتمل عليه من مستويات نتعرف من خلالها، على مختلف الوظائف التي تضطلع بها علاقات هذه اللغة داخل أنظمتها المختلفة.

---

[1] جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت، لبنان، وباريس، فرنسا، ط 03، 1982 م، ص 81، وينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1983 م، ص 188.

[2] ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1990 م، ص 33.

المدرسة الوظيفية الفرنسية

تعد المدرسة الوظيفية الفرنسية اتجاها آخرا من التوجهات اللسانية التي تأسست في خضم اشتهار الفكر السوسيري، وقد قام "أندريه مارتينيه" *André Martinet* [1] بتأسيس هذه المدرسة أخيرا في مهد اللسانيات فرنسا، فقد كانت الانتقادات الظاهرة والضمنية التي وجهها سوسير إلى آلية التفكير التاريخية واستبدال هذا البرنامج بالإصرار على ضرورة فصل النظام اللغوي عن التاريخ، والذي ربط به تعريف اللغة بالمنهج، وفق مقولته الشهيرة " *c'est le point de vue qui crée l'objet*" [2]؛ ومنه فإن هذا المبدأ يجعل من المقولة الأخيرة التي اختتمت بها المحاضرات تعني أن اللغة هيكل بنيوي متماسك، ومتعاضد لا يجوز فصل أي عنصر من عناصره عن الآخر، وبالتالي فإن المواد المنفردة لا ينظر إليها من خلال الصورة الشمولية اللغة تصبح موادا "*Des substances*" لا قيمة لها في اللسانيات، لأنه يفتقر إلى أهم ميزة من المميزات التي ينبغي الظفر بها، وهي الوظيفة.

هذه الأخيرة التي يجب الأخذ بها أولا وقبل كل شيء ضمن إطار أوسع للبحث عن العلاقات الصورية بين العناصر، هو العنصر الناقص في أطاريح التاريخيين، والفلاسفة [3]، ونحاة "البورورويال" "*port Royale*" الذين وقعوا في تناقض لم يستطيعوا التخلص منه خصوصا لما عرفوا الوظيفة، ولكنهم بحثوا عنها في إطار أغمض يحاول تحديدها من خلال حمل اللسان على الفكر [4]، هذه النظرية التي سيطرت على مجمل الدرس اللغوي في مختلف منجزات الحضارات الغابرة في العالم القديم، وامتد ذلك حتى القرون الوسطى، وعشية القرن التاسع عشر حتى قوضها "دي سوسير"، وجعلها خارج مجال الاشتغال اللساني، وقد نرى عالم اللسانيات الفرنسي "أندريه مارتينيه" يؤكد على "علم اللغة الوظيفي"، بقوله عن هذا العلم، إنه "ليس فصلاً من علم اللغة، بل هو علم اللغة كله، وأن وظيفة وحدة، أو بنية هي التي تسمح بالوصول إلى التفسير الكامل للواقعة اللغوية" [5]، وهذا يشير إلى أهمية الجانب الوظيفي في تحليل اللغة وفهمها، وتفسير الوقائع المرتبطة بها، لأن مثل هذا الجانب يمتلك القدرة على كشف المعاني التي يهدف النظام اللغوي إلى توصيلها، الأمر الذي يؤكد ارتباط الوظيفة بالمعنى، وأن كل وظيفة محددة مهما كان نوعها تؤدي معنى محدداً في سلسلة الوظائف، أو المعاني التي ترتبط بالبنية اللغوية.

---

[1] ينظر إلى ترجمة "أندريه مارتينيه" في المحاضرة الخامسة "مدرسة براغ 02"

[2] *Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, éd. Charles Bally et Albert Sechehaye, Payot, Paris, France, 1971, p 23.*

[3] ينظر: ماري زيادة، اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان، فاطمة طبال بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، العدد 23، ديسمبر جانفي، 1983 م، ص 68.

[4] ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1986 م، ص 163.

[5] ينظر: يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، 1989 م، ص 72.

وقد وعى عالم اللسانيات الأمريكي "إدوارد سابير" "*Edward Sapir*" [1] مسألة التفاعل بين مفهومين أساسيين من مفاهيم اللغة، هما "مفهوم الشكل ومفهوم الوظيفة"، وتنبه إلى استحالة قيام علاقة وحيدة الاتجاه بين الوظيفة والشكل "فنظام الأشكال شيء، واستعمال هذا النظام لتحديد الوظائف شيء آخر... إن الوظيفة أن يكون لدينا شيء نقوله تسبق الشكل قول هذا الشيء بطريقة ما" [2]؛ وهنا ربط "سابير" القول بالمقصدية التي تعمل على تشكيل العملية اللغوية بما ينسجم مع هذه المقصدية، وأهدافها الإبلاغية، وبما يسمح للمرسل بتوصيل ما يرغب فيه للآخر.

وعلى الرغم من أن "سابير" كان قد رأى أنه من الممكن دراسة الشكل اللغوي باعتباره نظاماً تركيبياً من أنظمة اللغة، دون أن يعني ذلك دراسة الوظائف المتصلة به، فإن مفهوم (الوظيفة) ظل حاضراً لديه، يفرض عليه مرتكزاته بشدة عند كل دراسة له للأشكال اللغوية، واستخداماتها المختلفة، مع العلم أن أي شكل لغوي سيؤدي وظيفة مغايرة للوظيفة التي يمكن أن يؤديها شكل لغوي آخر، كما يمكن للشكل نفسه أن يحتوي مجموعة وظائف تكشف عنها عناصر هذا الشكل، وعلاقاته بالاستناد إلى البنية القواعدية لهذا الشكل، وقد يعود بعض هذه الوظائف إلى وظيفة مركزية يكون منوطاً بها هدف مركزي، يتولى الإفصاح عن هذه الوظيفة؛ إذ نرى مثلاً، داخل شكل لغوي معين: وظيفة للصوت يكشف عنها علم الأصوات، ووظيفة للحرف، أو للمقطع يكشف عنها علم التشكيل الصوتي، ووظيفة للصيغة، واشتقاقاتها، وتصريفها يكشف عنها الصرف.... وهكذا [3]، وهناك من يقول بوظيفتين للصوت: واحدة تسهم في تحديد الدلالة، والثانية تأتي من وجوده داخل إيقاع معين، وفي الحقيقة، فإن كلاً من الوظيفتين تؤكد الوظيفة الدلالية للصوت، وربما لا تقتصر هذه الوظيفة على اتصالها بالأصوات بشكل مباشر، بقدر اتصالها بالطريقة التي تتداخل بها هذه الأصوات، ويبقى المعنى هو المرتكز الذي تسعى إليه مختلف الوظائف التي يتم الكشف عنها في هذا الإطار.

---

[1] إدوارد سابير (1884– 1939) أحد أهم الشخصيات في التطور المبكر لعلم اللغويات، كان أول من أثبت أن مناهج المقارنة في علم اللغوية كانت صالحة للتطبيق على اللغات الأصلية، نشر في نسخة "موسوعة بريتانيكا" "*Encyclopædia Britannica*" عام 1929 أكثر تصنيف رسمي للغات سكان أمريكا الأصليين، وأول تصنيف معتمد على أدلة مُستقاة من على اللغويات المقارن الحديث، وكان أول من قدم دليلًا لتصنيف لغات "الألجيك" "*Langues algiques*"، "أوتو الأزتيكانية"، و"نا دينا"، واقترح بعض العائلات اللغوية التي لا تعتبر أنها أُثبتت بشكلٍ كافٍ وإنما تتطلب المزيد من الاستقصاء مثل لغات "هوكان"، و"البنوشية"، تخصص سابير في دراسة لغات "أثاباسكان"، ولغات "شينوكان"، ولغات "أوتو الأزتيكانية" مقدمًا بذلك أوصافًا نحويةً مهمةً لكل من لغات سكان "تاكيلاما"، "ويشرام"، وقبائل "بايوت" الجنوبية، عمل أيضًا في وقت لاحق من حياته المهنية على اللغة اليهودية الأوروبية، والعبرية، والصينية، واللغات الألمانية، واستثمر في تطوير لغة مساعدة دولية.

[2] جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م، ص 169.

[3] نفسه، ص 88.

وقد اهتم "لويس هيلمسليف" [1] "*Louis Hjelmslev*" بتحليل المعنى، وذلك بالكشف عن الوظائف التي تحدده، مشيراً إلى أن دخول الشكل اللغوي في إطار علاقات بنية معينة هو الذي يحدد وظيفته، ويعطيه معناه [2]، لقد كانت الظروف مهيأة إبستمولوجيا "لأندريه مارتنيه" ليكون واحدا من أهم اللسانيين في العالم، فقد كان، وأثناء دراساته العليا "بجامعة السوربون" "*Sorbonne*" في اختصاص اللغة الإنجليزية يحضر محاضرات أكابر علماء اللغة كـ "ويليم موسيه" "*William Marçais*" [3]، و"جوزيف فندريس" "*Joseph Vendryes*" [4] مما جعله على علم عميق باللغات الجرمانية، كما كان زميلا ملازما لـ "أنطوان ميه" "*Antoine Meillet*" [5] الذي أشرف على أطروحته التي نوقشت سنة 1937م، ثم صاحب " فيلام ماثيسيوس" [6] "*Vulém Mathesieus*" "نيكولاي تروبتسكوي" [7] "*Nikolay Sergeevitch Trubetskoy*" حتى وفاته سنة 1939 م.

ولما أقام "بالدنمارك" لازم "هيلمسليف" و"بروندال" "*Rasmus Viggo Brøndal*" [8] ومع انتهاء الحرب

---

[1] ينظر إلى ترجمة " لويس هيلمسليف" في المحاضرة السادسة "مدرسة بكوبنهاجن".

[2] تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م، ص 121، 122.

[3] "وليم مرسيه" (1872 – 1956) هو مستشرق فرنسي اهتم خصوصاً باللغة البربرية، واللهجة العربية المغربية، من آثاره ترجمة "ديوان أوس بن حجر التميمي" إلى الفرنسية.

[4] جوزيف فندريس (1875 – 1960) لغوي فرنسي، بعد دراسته مع "أنتوان ميه" كان رئيسًا للأدب و"اللغات الكلتية" "*Langues celtiques*" في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس "*École pratique des hautes études*" أو "EPHE"، أسس مجلة "*Études Celtiques*"، كان عضوًا في أكاديمية النقوش، والآداب، ومستشارًا مع جمعية اللغة الدولية المساعدة، التي قامت بإعداد "لغة إنترلنغوا" "*Interlingua*".

[5] "أنتوان ميه" (1866 – 1936) واحد من أهم علماء اللغويات الفرنسيين في النصف الأول من القرن العشرين بدأ "ميه" دراساته في السوربون، وتأثر هناك بـ "ميشال بريال" "*Michel Bréal*"، و"فرديناند دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*"، في 1890 كان جزءاً من رحلة أبحاث إلى القوقاز، وهناك درس اللغة الأرمينية، وعقب عودته ولأن "سوسير" قد رجع إلى جنيف قام بمواصلة سلسلة المحاضرات في النحو المقارن التي كان اللغوي السوسيري يلقيها قبل عودته لوطنه، أكمل "أنتوان ميه" رسالة الدكتوراة خاصته في نحو اللغة السلوفانية القديمة في العام 1897، وفي العام 1897 شغل كرسي اللغة الأرمينية في معهد اللغات والحضارات الشرقية "بباريس"، في 1902 تم انتخابه كعضو في "كوليج دو فرانس" "*Collège de France*" حيث درّس تاريخ، وتركيب اللغات الهند – أوروبية ، وعمل بشكل مقرب مع عدد من أعلام اللغويين مثل: "بول بوليو" "*Paul Beaulieu*"، و"روبرت غوتيو" "*Robert Gotio*"، اليوم ينظر إلى "أنتوان ميه" باعتباره الموجة لجيل كامل من اللسانين الفرنسيين الذين أصبحوا في ما بعد شخصيات مركزية في اللغويات الفرنسية؛ مثل "أندريه مارتنيه"، و"إيميل بينفينيست"، و"جورج دومزيل" "*Georges Dumézil*"، و"مارسيل كوهين" "*Marcel Samuel Cohen*".

[6] ينظر إلى ترجمة " فيلام ماثيسيوس" في المحاضرة الرابعة "مدرسة براغ 01".

[7] ينظر إلى ترجمة " نيكولاي تروبتسكوي" في المحاضرة الرابعة "مدرسة براغ 01".

[8] ينظر إلى ترجمة "راسموس فيغو بروندال" في المحاضرة السادسة "مدرسة بكوبنهاجن".

العالمية الثانية سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليلتقي بالعبقري الروسي "جاكبسون" "*Roman Jakobson*" [1]، و"بلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*" [2]، و"سابير" "*Edward Sapir*"، وكان على متابعة مستمرة لما كان يطوره ويعرضه "تشومسكي" "*Noam Chomsky*" [3] من أفكار لسانية جديدة، هذا المزيج المتكامل من الصداقات، والمعارف كان من شأنها أن تقوده مباشرة إلى صلب الفكر السوسيري، والتي جعلت من "أندريه مارتنيه" على دربة متقنة بالبحث العلمي، وعلى دراية عميقة بالمستوى الذي بلغته اللسانيات، فسمح كل ذلك له بشق طريق خاص بنظريته ضمن النظريات المدارس المحورية لهذا العلم.

الإرهاصات الأولية للمنزع الوظيفي الفرنسي في اللسانيات البنوية، من السوسيرية الفونولوجية إلى السوسيرية التركيبية:

مما تطرقنا إليه في محاضرة "حلقة براغ 01 و 02" كيفية طرحهم لمفهوم الوظيفة الذي اكتشفوه، واستخلصوه من السوسيرية بعد طول نظر، وتأمل في الأحداث اللغوية، والأدلة المعروضة بها، والمصاغة صياغة علمية صارمة مع "سوسير"، وقد أصبحت معهم وظيفة اللغة كحقيقة ثابتة؛ هي التواصل، والتبليغ فضلا عن الوظائف الأخرى المحمول

---

[1] ينظر إلى ترجمة "رومان جاكبسون" في المحاضرة الثالثة "مدرسة موسكو".

[2] ليونارد بلومفيلد (1887 – 1949) أحد علماء اللغة الأمريكيين، وأحد أهم الرائدين في مجال اللغويات البنيوية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، من أعماله المهمة، والتي أحدثت أثراً كبيراً في فهم اللغة، وطبيعتها في ذلك الحين كتابه الذي أطلق عليه عنوان "اللغة" عام 1933، والذي قدم وصفاً شاملاً للغويات البنيوية في أمريكا، وقد قدم إسهامات كبيرة في ميدان اللغويات التاريخية للغات الهندوأوروبية وفي وصف العديد من اللغات في جنوب شرق آسيا، والمحيط الهادي بالإضافة إلى وصف العديد من لغات السكان الأصليين في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان منهجه اللغوي متميزاً بالتركيز على الأسس العلمية للغويات، والانطلاق من المذهب السلوكي في عدد من أعماله الأخيرة، بالإضافة إلى الاهتمام بالإجراءات البنيوية في تحليل المعلومات اللغوية، إلا أن تأثير اللغويات البنيوية التي أطلقها "بلومفيلد" قد تراجع، وانحسر في نهاية الخمسينيات، والستينيات بعد أن ظهرت نظريات القواعد التوليدية التي كان "نعوم تشومسكي" "*Noam Chomsky*" من أوائل واضعيها.

[3] "أفرام نعوم تشومسكي" ولد في 7 ديسمبر 1928 وهو أستاذ لسانيات، وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه عالم إدراكي، وعالم بالمنطق، ومؤرخ، وناقد، وناشط سياسي، يعمل "تشومسكي" كأستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات، والفلسفة في "معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا" "*Massachusetts Institute of Technology*"، والتي عمل فيها لأكثر من 50 عام، إضافة إلى عمله في مجال اللسانيات، فقد كتب "تشومسكي" عن الحروب، والسياسة، ووسائل الإعلام وهو مؤلف لأكثر من 100 كتاب، وفقاً لقائمة الإحالات في الفن، والعلوم الإنسانية لعام 1992، فقد تم الاستشهاد "بتشومسكي" كمرجع أكثر من أي عالم حي خلال الفترة التي امتدت من 1980 حتى 1992، كما صُنف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها على الإطلاق في قائمة تضم الكتاب المقدس، و"كارل ماركس" "*Karl Marx*"، وغيرهم، وقد وُصف "تشومسكي" بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صُوت له كـ "أبرز مثقفي العالم" في استطلاع للرأي عام 2005.

على غاياتها الأساسية، وقد استقبل الوظيفيون الفرنسيون و"أندريه مارتنيه" بشكل خاص هذه التجربة [1]، ونتائجها بإقامة صرح علمي كامل مبني أساسا على هذا المفهوم الوظيفة مما جعلهم منذ البداية مقتنعين بأن:

1. كل ما له وظيفة تضمن تحقيق التواصل فهو واقع ضمن عناصر اللغة، وواقع ضمن مجال مهمة اللسانيات.
2. كل ما لا يؤدي هذا الدور فهو واقع خارج اللسانيات، ولا تعني اللسانيات في شيء.

وبعد هذا التحديد المجال الدراسة، وتميز ما هو لغوي عما لا يعد من صلبها، جاء دور تعرف اللغة "موضوع اللسانيات الوظيفية" بالمفهوم العلمي الدقيق، ولكن هذه المرة ليس بناء على الوظيفة فقط؛ بل وبالخاصية التركيبية أيضا، الذي حدده "أندريه مارتنيه" على النحو الآتي: "اللغة أداة تواصل، وتبليغ يتم من خلالها تحليل الخبرة الإنسانية إلى وحدات محددة، تختلف من مجتمع إلى آخر، هذه الوحدات ذات تعبير صوتي، ومضمون دلالي؛ تسمى الوحدات الدالة "المونيمات" "*Les monemes*"، وينقسم التعبير الصوتي بدوره إلى وحدات تمييزية متابعة تسمى الوحدات الصوتية "فونيمات" "*Les phonemes*" وعدد هذه الوحدات الصوتية محددة في كل لغة، وهي تختلف من حيث النوع، والعلاقات المتبادلة من لغة إلى أخرى" [2]، وإذا حاولنا تحليل هذا التعريف فإننا ننتهي مع "مارتنيه" إلى جملة من الحقائق اللغوية التواصيلة، والتحليلية النظرية التي ستستثمر في تمديد محاور النظرية اللغوية، وهي:

01 – أننا نطلق مصطلح "اللغة" للدلالة على أداة التبليغ، والتواصل ذات طبيعة تركيبية مزدوجة " *Instrument de communication doublement articulée*" والتعبير الصوتي، وبالتالي فإن اللساني لا يهتم بمختلف الأنظمة السميولوجية الأخرى التي تشترك مع اللغة في التواصل كإشارات المرور، ولغة الصم البكم، والرسومات، والأيقونات ..الخ.

02 – أنه خارج هذا الأساس المتبادل لا يوجد شيء ينتمي إلى اللغة باعتبارها منظومة متكاملة دون أن يختلف من لغة إلى أخرى، وبهذا المعنى يجب تفسير مبدأ الاعتباطية في تحديد دلالات المعطيات اللغوية في كل لغة من اللغات.

وانطلاقا من هذه المعطيات، والتحديدات التي أسس عليها "مارتنيه" نظريته، وصقل منها مبادئه المنهجية تحت مفهوم عام تمثل في (الوظيفة التركيب) استنتج جملة من المبادئ الفرعية التي سارت عليها نظريته، ومنها:

01 – تحديد وظيفة اللغة "*fonction du language*": وبهذا يكون المعيار الذي يهدف إلى تحليل النظام اللغوي، ووصفه، وهذا يعني أن تقطيع اللغة إلى وحدات أولية (فونيمات /مونيمات) يجب أن يكون بهدف تحديد وظيفة كل واحد منها، وهذا يدل على أن الوحدات اللغوية لا معنى لها بانفصال بعضها عن بعض؛ لأنها تسهم في أداء وظيفتها التواصلية مجتمعة. [3]

02 – إحياء مقولة التقطيع المزدوج "*le double articulation*" :الذي يميز اللغة الإنسانية، والذي تشترك فيها جميع اللغات الطبيعية، حيث إن جميع اللغات تخضع لهذا الناموس، دون اللغات الاصطناعية، أو اللغات التي تستعملها

---

[1] *André Martinet, Eléments de linguistique générale, volume 349 de la Collection Armand Colin, section « Langues et Littératures », Paris, France, 1960, p 53.*

[2] *André Martinet, Eléments de linguistique générale, p 21, 22.*

[3] أندريه مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1985 م، ص 07.

الحيوانات للمطالبة بإشباع غرائزها المختلفة، والذي جعلها تامة على مستويين [1]، وهما (التقطيع الأولي للغة، والتقطيع الثاني لها بناء على مقابلتها على محوري التراكيب والاستبدالات) [2]؛ ولا يستقيم أبدا النظر إلى التمفصلات اللغوية بمعزل عن هذه المحاور، وهما على النحو الآتي:

01 – التقطيع الأولى للغة: وهو التمفصل الذي يقوم بتجزئة الخبرة الإنسانية، والتجربة الشعورية إلى سلسلة من الوحدات، يكون لكل واحدة منها دلالة، وصيغة صوتية [3]، فإذا كنت أحب أن أعبر عن إعجابي بالطبيعة مثلا، فإنه بإمكاني أن أعلن عن ذلك بالابتسامة، والتأمل فضلا عن بعض الإشارات السيميولوجية الأخرى، لكن هذه الابتسامة وهذا التأمل قد يكونان منعكسا شرطيا غريزيا فطريا وآليا دون وعي، أو تحكم، وفي هذه الحالة لا يمكن لذلك أن يصنف ضمن الأنظمة اللغوية التواصلية، أو أن يكون تعبيرا إراديا تهتم به بعض العلوم الأخرى كعلم النفس بأنواعها، وفروعها، ولكن اللسانيات لا تأخذ به على أنه حدث لغوي "*Un fait linguistique*"، ولكن إذا كان مقصودا بوجه من الأوجه، وننوي رميه للعالم الخارجي، وتنبيهه معبرين عن مدى إعجابنا بالطبيعة، فإنه مع ذلك لا يكفي لأن يكون إعلاما لغويا [4].

إن كل ابتسامة غير قابلة للتقطيع لا يمكن بأي وجه ضمها إلى صف الأحداث اللغوية الأمر الذي يختلف تماما عندما أنطق بالجملة: (أحب الطبيعة)، فهذه الجملة حينئذ تعد حدثا لغويا قابلا للتقطيع المزدوج؛ لأنها تتألف من أربعة وحدات (أحب+أنا+ال+طبيعة) مع العلم بأنه لا يمكن لأي وحدة من هذه الوحدات أن تعبر بمفردها على حي للطبيعة.

كما أنها تتوفر على قابلية لاستعمالها في سياقات أخرى تعبر عن حاجيات نفسية، وشعورية أخرى، فكلمة (أحب) يمكن أن تظهر فيما لا طائل إلى حصره من التراكيب (أحب الصحراء الجبال، الأطفال، العلم...الخ)، وهذه الإمكانية في تغير السياقات، والتكيف مع المعاني الأخرى يظهر جليا أهميته في الاقتصاد اللغوي الذي يحققه التقطيع الأول، ولو لم يكن ذلك كذلك لكان على الإنسان استعمال ما لا طائل إلى عده من الأصوات، والكلمات للتعبير عن مناسبة نفسية واحدة [5]، وهو الأمر المستحيل، لكن بهذه الخاصية من جهة أخرى فإن اللغة تبين طبيعتها الإبداعية، وعبقريتها الفريدة في إعادة إنتاج الكون (الداخلي والخارجي) الذي يعيش فيه الإنسان، إن لكل وحدة من الوحدات السابقة التي رأينا عدم كفاءتها في حمل المعنى العام بانفراد فإن جزء كل واحدة منها لا يمكن بأي حال أن يعبر عن جزء معناها، الأمر الذي يختلف مع الهيأة الصوتية التي يمكن لها ذلك، وفي هذه الحالة يتحقق ما سماه "أندريه مارتنيه" "التقطيع الثاني للغة".

---

[1] ينظر: رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م، ص 82.

[2] *André Martinet, Eléments de linguistique générale, p 14, 15.*

[3] ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 105، 106.

[4] أندريه مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ص 19، 20.

[5] ينظر: سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م، ص 74.

02 – التقطيع الثاني للغة: الذي يجزأ الجملة السابقة إلى أصواتها الدنيا، وهي: (أ+ح+ب/ ا+ل/ ط+ب+ي+ع+ ة) مما جعلنا نتحصل على عشرة وحدات صوتية لا معنى لأي واحدة منها على انفراد [1]، يقول "أندريه مارتينيه": "يمكننا أن نفترض جدلا وجود نظام بلاغي يقدم لنا صرخة خاصة لكل حالة، ولكل تجربة بشرية، ولكنه يكفي المرء أن يتذكر التعدد اللانهائي لمثل هذه الحالات، والتجارب كي يقتنع بأن مثل هذا النظام لابد أن يشتمل على أعداد هائلة من الدلائل المختلفة مما يفوق قدرة العقل البشري على الاستيعاب" [2].

ثنائية "الشفرة والخطاب" عند "أندريه مارتينيه":

إنه من الضرورة بما كان أن نقيم تمييزا دقيقا، وصارما بين شيئين هامين، هما:

1. العناصر اللغوية المختلفة والموجودة على مستوى الحدث الكلامي الفعلي، أو يسميه "دي سوسير" الوجود التحصيلي للغة كما تظهر في الكلام *l'actualisation* ؛ وهي معطيات فعلية يعبر بها المتكلم في كل مناسبة من مناسباته الكلامية كجزء من الدورة اللغوية أثناء التواصلية.
2. العناصر اللغوية الموجودة بوصفها جزءا من الذاكرة الجماعية للغة والتي يستثمرها المتكلم لتلبية حاجاته التواصلية من جهة أخرى.

ومن خلال التفريق بين العنصرين السابقين فإنه ليس من واجب على المحلل اللغوي، ولا من اهتمامات اللسانيات البحث عن تحديد أماكن تواجد هذه العناصر؛ لأنه سينتقل بعدها إلى "علم الأعصاب" "*Neurosciences*" أو ما يعرف حاليا "باللسانيات البيولوجية" "*Linguistique psychologique*"، والأمر نفسه ينطبق على تحليل الدوافع، والمسوغات المتسترة وراء المتكلم الذي يختاره لما يناسب، ويوافق أغراضه، ومناسباته الكلامية، وهذا مجال اهتمام "علم النفس الإدراكي" "*Psychologie cognitive*"، وهي حدود إبستمولوجية يجب ألا يتجاوزه اللساني، وهي المعضلة التي جعلت نقاد اللسانيات يستفسرون عن عدم الاضطلاع بها، وأثر كل ذلك في الحقيقة العلمية الناتجة عنها، ولتجاوز هذه العقبات كان على الانطلاق من مجموعة من الإجراءات أهمها افتراض وجود جهاز نفسي عضوي تم تحفيزه أثناء العلميات المبكرة لاكتساب اللغة، أو تعلمها، "تشومسكي" مثلا افترض جهاز غريزي، وفطري لتعلم اللغات سماه (L.A.D) ؛ ويتلخص دور هذا الجهاز في استخلاص الأنظمة الصوتية، والتركيبية التي يتم من خلالها تحليل الفكرة المعلن بواسطة اللغة، ووفق قوانين، وشروط اللغة المستعملة في ذلك، وهو ملزم بإتباعها في كل نقطة من نقاط الحدث الكلامي.

الأمر الذي تجاوزه "أندريه مارتنيه" حيث لم يهتم إطلاقا بالأصول النفسية، والبيولوجية للغة، وتوجه صوبا نحو تحليل هذه الأنظمة، واختبار كيفية اطرادها، واستمرارها في الاستعمال، ومرة أخرى نصطدم بحقيقة قل الاختلاف حولها؛

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م، ص 234، وينظر:
André Martinet, Eléments de linguistique générale, p 21.

[2] ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م، ص 363.

والتي تفيد بأن هذه اللغة لا وجود لها عينيا إلا من خلال الكلام، ونحن نعلم، وباتفاق جميع الباحثين بأن الكلام ليس لغة، ومن هنا انتبه "أندريه مارتنيه" إلى إعادة تشخيص الثنائية الأكثر شهرة في تاريخ اللسانيات وعند "دي سوسير" بالتحديد "اللغة والكلام" إلى "الشفرة والخطاب"[*Langue et parole/ code et message*] .

يرى "أندريه مارتنيه" بأن هذه الثنائية التي اقترحها "دي سوسير" لا يمكن للسانيات الواقعية أن تأخذ بها كأداة إجرائية التحليل يقول في ذلك: "..أستبعد شخصيا التقابل السوسيري بين لسان كلام، إننا نواجه ظاهرة مدركة، هي الكلام إضافة إلى سلوك الكائنات الحية التي تتبادل الكلام، وهذا عنصر مدرك يجدر بنا الانطلاق بدءا منه، والاستبطان ليس مسلكا جديرا بالاحترام في البحث العلمي، وليس ثمة لسان وكلام، هناك الكلام فقط، ومن ثم العناصر التي لها في الكلام ملائمة للسان موضوع البحث" [1]، ويقول في سياق آخر "يمكن أن يفهم من التمييز الضروري جدا بين اللسان والكلام مقابل علم خاص باللسان، غير أنه يجب الاقتناع بأن الكلام لا يعمل سوى على تحقيق النظام (النسق) اللسان؛ إذ لا يمكن الوصول إلى معرفة اللسان إلا بالكلام والسلوك الذي يحدده عند المتكلمين" [2]، ومن هذه الإشارات يعيد "أندريه مارتنيه" رسم الحدود الإجرائية للرسالة على أنها الوسيلة التي تسمح بنمذجة الخطاب لغويا.

إن في تحديد الفروقات الدقيقة بين الكلام واللغة يمكننا من الوصول إلى مرحلة تجعلنا نقتنع بأن للكلام نظاما مستقلا عن اللغة، مما قد يجعلنا من جهة أخرى نؤمن بإمكانية فصل البحوث اللسانية لنصل في الأخير إلى علم الكلام بموازاة علم اللغة، لكن اللسانيات تصر بأن الكلام ليس إلا تحقيق وتجسيد للغة، ولا يمكن على الإطلاق الوصول إلى كنه اللغة إلا من خلال الكلام، هذا الأخير الذي يمثل أظلال الأولى، وتتفاوت النتائج المحصل بتفاوت مستويات اختزال واستبعاد المظاهر النفسية الفسيولوجية المناسبة كحالات الحزن، والفرح، واليأس، والرغبة الشديدة .. الخ، أو الأمور الغريزية العضوية كالطابع الصوتي، ومستوى الصوت الذي يميز الأفراد [3]، وهي كلها أمور لا تمثل عناصر اللغة، ولا تجسد العقد الاجتماعي الذي يستسلم الفرد لسلطته عند اكتسابه، أو تعلمه للغة.

ومن هنا فإن "أندريه مارتنيه" يعيد النظر في مهمة اللسانيات، وكيفية تمثلها، وسطر لها أهدافا جديدة ضمن ما يراه لسانيات واقعية، ومن جملة ذلك، ما يأتي [4]:

1. الوصفية الواقعية.
2. رفض البعد النظري العام.
3. رفض الشكلانية تحليلا، وصياغة.

---

[1] *André Martinet, Eléments de linguistique générale, p 102.*

وينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م، ص 313.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] *André Martinet, Eléments de linguistique générale, p 03.*

[4] أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميكيتها، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م، ص 25.

4. اعتماد الوظيفية مقياسا للتحليل اللساني.
5. التأكد على دينامكية اللسان.

مبدأ الاقتصاد اللغوي:

إن تطور اللغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجية أهمها: اتصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرئيسية التي تساعد على تطور اللغة [1]، يقول "أندريه مارتنيه": "تفهم اللغة الإنسانية من وجهة النظر الوظيفية كأنها تسعى إلى نقل تجربة معقدة بواسطة أصوات محددة تجعلها مدركة عن طريق الحواس وقابل للتحليل إلى وحدات يوافق كل منها عنصرا من التجربة موضوع النقل" [2]، فقدرة اللغة على التجسيد في الوحدات سمح لها بتحقيق هذا التقطيع، وبالتالي فإن هذا الأخير يوفر إمكانية الاقتصاد.

أما ما نسميه بالجهد الأدنى "*La loi de moindre effort*" فإنه يحكم جميع الأحداث الكلامية، ولولاه لما استطعنا إيجاد لغة مناسبة للتفاهم؛ لأننا سننهك أنفسنا في استعمال ما لا طائل إلى حصره من الأصوات، والكلمات للتعبير عن تجربة بسيطة في كل مناسبة من المناسبات، بل إنه على المتكلم أن يحدث لغة جديدة في كل مرة من مرات مجابهة ذلك، وهذا يستتبع معه تعميق مقولة الاعتباطية التي فرقت بين الأصوات والكلمات، في حين أن المعنى واحد في جميع اللغات.

تحليل التراكيب والعبارات:

تتم كل التجليات اللغوية عبر تتابع منتظم للمنطوقات مشكلة مدارجا متسلسلة، ومتناسقة للكلام "*Enchaine parle*"، وهذا يجري من خلال تركيب الأصوات كأجزاء كانت في الأصل منفصلة تأخذ أزمنة مستقلة، ومرتبة الواحدة بعد الأخرى في خط واحد لتنتهي إلى صورة صوتية مركبة تحيل على دلالة محددة تناسب هذا الترتيب التركيبي، وأي اختلاف في المبنى يطابقه بالضرورة اختلاف في الدلالة في كل موضع من مواضيع الخطاب [3]، وبذلك فإنه ينبغي البناء على معيارين متآلفين، هما:

معيار البناء على منزع المعاني: انطلق الوظيفيون من ذرات الكلام، وأكدوا مقدرة الفونيمات على التعبير والتحكم في المعاني كما هو الحال بين (صال وجال / قام وصام/ تاب وناب..الخ)، وأصبحت قناعات اللسانيين واضحة أكثر بدور الدراسة الفونولوجية في وصف، وتحليل اللغة، ودور الكلمات في ذلك لا يختلف كثيرا عن الأصوات، فكلاهما لا معنى لها وهي قائمة بذاتها منفصلة عن غيرها، ودون نسق تركيبي، وهذا ما أشار إليه "ستيفن أولمان" "*Stephen Ullmann*" [4]

---

[1] ينظر في تفصيل ذلك: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 255 / 257.

[2] أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن ودينامكيتها، ص 145.

[3] أندريه مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ص 37.

[4] ستيفن أولمان (1914 – 1976) لغوي مجري قضى معظم حياته في "إنجلترا"، وكتب عن الأسلوب، وعلم المعاني في اللغات الرومانسية، واللغات الشائعة.

بقوله: "لا تحمل الكلمات معان وهي قائمة بذاتها، فبوجه عام يرتبط معنى أية كلمة بمعان الكلمات الأخرى بطريقة قد تكون بسيطة، أو معقدة" [1]، وهذه المساواة بين الصوت والكلمة تفرض أيضا مساواة من جهة أخرى في مجال الدراسة بين الفونولوجيات، والتراكيبيات [2]، فهل يمكن دراسة التراكيب دون اللجوء إلى المعنى ؟، وهل يمكن تأجيل البحوث الدلالية في طلب النظرية اللسانية ؟.

لقد استحسن "أندريه مارتنيه" مناهج بعض اللسانيين الذين استنبطوا طرائق حديثة، وفعالة في وصف اللغة، ويرى بأن هذه الطرائق مثالية على النحو الذي نجده في المناهج الأمريكية التي يتزعمها "بلومفيلد" و"هاريس" " *Zellig Harris*" [3] في إطار البرامج السلوكية، والتوزيعية المستحدثة، التي لم تهتم إطلاقا بمقولة (المعنى) بل ولم يعدوه من صلب المشكلة اللغوية، وغير قابل جراء ذلك للدراسة العلمية، ويذكرنا هذا السياق بمقولة "بلومفيلد" عندما أقر بأن "تحليل المعنى هو أضعف نقطة في دراسة اللغة، وسوف يظل هكذا حتى تتقدم المعرفة الإنسانية أكثر مما هي عليه في الحالة الراهنة" [4]، ويفيد ذلك في استبعاده من مجال عمل الباحث اللساني كل ما لا يمكن ملاحظته، ومتابعته ميدانيا لصعوبة ترتيبه ضمن الوقائع، كما أنه من ناحية أخرى نعلم بأن المعاني واحدة، والألفاظ متعددة، ويجب لهذه المعاني أن تكون معلومة، ويستحيل حين الربط بين الدوال ومدلولاتها دراسة اللغة ما لم يكن ذلك كذلك، ولم يجرؤ أحد من العلماء دراسة لغة ليست مفهومة عنده.

من خلال ما تقدم مع نستنتج أن الاشتغال بالمعنى، والبناء عليه يطرح جملة من العقبات أمام الباحثين، وقد تحول بينه وبين بلوغ أهدافه، غير أن موقف "أندريه مارتنيه" من ذلك كان أكثر مرونة من السلوكيين لأنه بحسب الوظيفين ليس من الحكمة اعتماد مناهج تتجاوز بالكامل أهمية الوحدات الدالة على المعاني، هذا الأخير الذي يتحكم في تراتبية المباني على النحو الذي مرة مع "أندريه مارتنيه" عندما قال: "إن أي تغيير في المعنى يؤدي بالضرورة إلى التغير في المبنى" [5]؛ ومن هنا فإن دراسة التراكيب مع دراسة الفونولوجية تعد من صلب النظرية اللسانية الوظيفية التي تسعى سعيا حثيثا إلى حل المشكلة اللغوية بالوسائل العلمية، والمنهجية المتاحة، مع تجريب مستمر لتحليل هذه المستويات اللغوية المتناسقة،

---

[1] ينظر: ر.ل.تراسك، أساسات اللغة، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م، ص 59، وينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م، ص 384.

[2] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 235.

[3] "زليج هاريس" (1909 – 1992) عالم لغوي أمريكي، وخبير منهجي في العلوم، اشتهر بعمله في "اللغويات البنيوية" " *Linguistique structurale*"، وتحليل الخطاب، واكتشاف البنية التحويلية في اللغة، تم نشر هذه التطورات من السنوات العشر الأولى من حياته المهنية، لتشمل مساهماته في السنوات الـ 35 اللاحقة من حياته المهنية قواعد النقل، تحليل السلاسل (القواعد المتجاورة)، اختلافات الجملة الأولية (ومشابك التحلل)، الهياكل الجبرية في اللغة، قواعد المشغل، قواعد اللغة الفرعية، نظرية المعلومات اللغوية، وساب مبدئي لطبيعة وأصل اللغة.

[4] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط 05، 1998 م، ص 22، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 196.

[5] *André Martinet, Eléments de linguistique générale, p 33.*

والمترابطة داخليا، وبالعودة إلى العقبات التي تواجهنا أثناء الاعتماد على تحليل التراكيب، وأكثرها أهمية هي عدم نجاح معيار الترتيب بالنسبة للوحدات الدالة، كان على النظرية اللسانية الوظيفية اللجوء إلى إعادة تصنيف الوحدات الدالة في اللغة إلى أصناف، وأجناس متعددة من أجل تحديدها، وضبط وظيفتها، وقد نتج عن ذلك ثلاثة أصناف من الوحدات الدالة، وهي [1]:

1. الوحدات الدالة المستقلة، *les monemes autonomes*
2. الوحدات الدالة الوظيفية، *les monemes fonctionnels*
3. الوحدات الدالة التابعة، *les monemes dépendants*

وكل وحدة من هذه الوحدات أقسام، وفروع أخرى تترأسها، وتتبع الوظائف، وتصنيفها تصنيفا يسهل على الباحث حصرها، واعتمادها في التحليل، وبهذا يخرج الوظيفيون بنظرية شاملة تهتم بتحليل الأحداث اللغوية بناء على الوظيفة.

وفي الأخير فلقد جاءت الوظيفية التركيبية "لأندريه مارتنيه" بين أشهر مدرستين اشتغلت على الوظيفة، وهي "براغ" و"الغلوسيماتية"، وبالرغم من أنها لم تشتهر كما اشتهرت هذه المدارس إلا أنها تبقى حلقة هامة، ومحورية متميزة في تاريخ اللسانيات الحديثة التي اقترحت فتح مجالات جديدة ضمن البحوث اللسانية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م.
2. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط 05، 1998 م.
3. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
4. أندريه مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1985 م.
5. أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميكيتها، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م.
6. تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م.
7. جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت، لبنان، وباريس، فرنسا، ط 03، 1982 م.
8. جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م.
9. ر.ل.تراسك، أساسات اللغة، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م.

[1] *André Martinet, Eléments de linguistique générale, p 107, 108.*

10.رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م.
11.زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1990 م.
12.سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م.
13.صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1983 م.
14.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
15.ماري زيادة، اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان، فاطمة طبال بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، العدد 23، ديسمبر جانفي، 1983 م.
16.مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م
17.ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1986 م.
18.ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
19.نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م
20.نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م.
21.يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، 1989 م.

المصادر الأجنبية:

1. *Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, éd. Charles Bally et Albert Sechehaye, Payot, Paris, France, 1971.*
2. *André Martinet, Eléments de linguistique générale, volume 349 de la Collection Armand Colin, section « Langues et Littératures », Paris, France, 1960.*

المحاضرة الثامنة

المدرسة السياقية

توطئة:

تعتبر النظرية السياقية كغيرها من النظريات اللسانية الحديثة التي نشأت تحت الظروف السياسية، والاجتماعية والثقافية، والدينية، وغيرها من الظروف التي ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الناس، وعاداتهم اليومية، ولما كان الأدب هو انعكاس للظروف المحيطة بالأديب؛ فإن النتاج الذي يتبلور عن هذا الأدب على صلة وثيقة بظروف المجتمع، أي أن النظريات، والأساليب، وقواعد العلم المختلفة متأثرة بالظروف المحيطة بالمجتمع على اختلاف هذه الظروف.

"فالنظرية السياقية" "*Théorie contextuelle*" نشأت تحت تأثيرات المجتمع، وتطوراته، في النصف الثاني من القرن العشرين على يد العالم اللغوي "جون روبرت فيرث" "*John Robert Firth*" الذي يعتبر رائد "المدرسة السياقية" "*Contextualisme*" التي ركزت في تفسيرها للمعنى على الطريقة التي يستخدم بها الكلمة؛ أي: الكيفية التي جاءت عليها الكلمة، وهو ما يطلق عليه السياق الذي يعبر فيه عن الكلمة من خلال وضعها في نص ما، وقد استفاد "فيرث" من الدراسات اللسانية السابقة في مجال اللغة وخاصة أبحاث "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*" في البنيوية اللغوية، فالكلمة عند "دي سوسير" هي علامة لغوية، وأن العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو الدال والمدلول اصطلاح غير معلل أي اعتباطي، فالعلامة اللغوية هي أيضا اعتباطية، وإن دلالة الكلمة مرتبطة بسياقها الذي يوحي بمعناها إذ تتحدد تلويناتها الدلالية عبر تداعيات مفهومية متميزة [1]، وعليه فقد أكدت "النظرية السياقية" أن تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد السياقات التي ترد فيها، ونفت عن الصيغة اللغوية دلالتها المعجمية؛ لأن نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوح على التغيير في بنياته المعجمية والتركيبية، فخارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى.

إن منهج "النظرية السياقية" يعد من المناهج الأكثر موضوعية، ومقاربة للدلالة، ذلك أنه يقدم نموذجة فعلية لتحديد دلالة الصيغ اللغوية، وقد تبنى كثير من علماء اللغة هذا المنهج منهم العالم "لودفيغ جوزيف فتغنشتين" "*Ludwig Wittgenstein*" [2] الذي قال: "لا تفتش عن معنى الكلمة، وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها" [3]، وعد كثير من اللغويين "النظرية السياقية" خطوة تمهيدية في طريق المنهج التحليلي، فقد أكد "أولمان" " *Stephen*

---

[1] مطهري، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 م، 75.

[2] لودفيغ فتغنشتاين (1889 – 1951)، فيلسوف نمساوي، ولد في "فيينا" وتوفي في "كامبردج"، يعدّ من أبرز فلاسفة اللغة، والمنطق، والعقل، من أهم مصنفاته: كتاب "مصنف منطقي فلسفي" الذي يحتوي على مقاربة للفلسفة تنسف إمكانية التفلسف، وتعيدها إلى نقطة الانطلاق، وتدعو للسكوت عمّا لا ينبغي قوله، ومن أعماله كذلك كتاب "تحقيقات فلسفية" الذي لم ينشر إلا بعد وفاته، وله أيضا كتاب "ملاحظات في أسس الرياضيات" الذي يعد من أهم كتبه، بالإضافة إلى أهم كتبه على الإطلاق، وأكثرها شهرة، وتأثيراً كتاب "تحقيقات فلسفية".

[3] ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م، ص 384.

Ullmann" [1] أين المعجمي يجب أولا أن يلحظ كل كلمة في سياقها، ويدرسها في واقعها العملي، ويستخلص من مجموع استعمالاتها العامل المشترك العام، فيسجله على أنه معنى الكلمة، وهذا المعنى هو المعنى المركزي للكلمة [2].

"جون روبرت فيرث" "*John Robert Firth*" "

وُلد اللغوي "جون روبرت فيرث" "*John Rupert Firth*" " في السابع عشر من شهر جوان في عام 1890م في "كيلي" "*Keele*" في "مقاطعة يوركشاير" "*Yorkshire*" في "المملكة المتحدة" "*Royaume-Uni*"، وتوفي في الرابع عشر من شهر ديسمبر في عام 1960م في "ليندفيلد" "*Lindfield*" "غرب ساسكس" "*West Sussex*" "ببريطانيا"، وهو معروف أيضًا باسم "جي آر فيرث" "*J R Firth*"، ويُعد اللغوي "جون روبرت فيرث" لغويًا إنجليزيًا، وشخصية بارزة في " علم اللغة البريطاني" "*linguistique britannique*" خلال فترة الخمسينيات من القرن الماضي، وكان أستاذًا للغة الإنجليزية في "جامعة البنجاب" "*Université du Pendjab*" في "لاهور" "*Lahore*" "ببكستان" "*Pakistan*" من عام 1919م وحتى عام 1928م، وبعدها شغل منصب أستاذ في قسم الأصوات والصوتيات في "كلية لندن الجامعية" "*University College de Londres*" قبل أن ينتقل إلى "كلية الدراسات الشرقية والأفريقية" "*School of Oriental and African Studies*"، حيث أصبح أستاذًا في علم اللغويات العامة، وهو المنصب الذي شغله حتى تقاعده عام 1956م.

ولـ"جون روبرت فيرث" عدة في علم اللغة مساهمات، إذ كان لعمل اللغوي "جون روبرت فيرث" على "آلة العود" سبب لدراسته علم الأصوات" والصوتيات، فلوحظ أن "جون روبرت فيرث" لفت الانتباه إلى طبيعة المعنى التي تعتمد على السياق مع مفهومه عن سياق الموقف، حيث كان لعمله على المعنى المهني معترف به على نطاق واسع في مجال دلالات التوزيع اللغوي.

طور "فيرث" وجهة نظر خاصة لعلم اللغة أدت إلى ظهور صفة "فيرثيان" "*Firthian*"، محور هذا الرأي هو فكرة تعدد النظم، يصف "دافيد كريستال" "*David Crystal*" [3] هذا على النحو التالي: نهج "فيرث" للتحليل اللغوي يعتمد على الرأي القائل بأن أنماط اللغة لا يمكن حسابها من حيث نظام واحد من المبادئ، والفئات التحليلية، ولكن قد يلزم إنشاء أنظمة مختلفة في أماكن مختلفة ضمن مستوى معين من الوصف، ويمكن اعتبار نهجه على أنه استئناف لنهج

---

[1] ستيفن أولمان (1914 - 1976) لغوي مجري قضى معظم حياته في "إنجلترا"، وكتب عن "الأسلوب"، و"علم المعاني" في "اللغات الرومانسية"، و"اللغات الشائعة".

[2] سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، 2007 م، ص 47.

[3] "ديفيد كريستال" لغوي، وأكاديمي، وكاتب بريطاني، حائز على رتبة الإمبراطورية البريطانية، ولد في "ليزبورن" "*Lisburn*"، في "إيرلندا الشمالية" "*Irlande du Nord*" عام 1941، تجاوزت أعداد الكتب التي ألفها، أو شارك في تأليفها، أو التي حررها 100 كتاب في العديد من المواضيع، وتمّ له الكتاب رقم 100 عام 1964؛ أي: حين كان في سنّ الثالثة والعشرين، وهو متخصص في وضع المراجع، وتحريرها، ونذكر من هذه الأعمال "موسوعة كامبردج" للغة عام 1987 ،و"موسوعة كامبردج للغة الإنجليزية" عام 1995 و 2003.

البولندي الأنثروبولوجي "مالينوفسكي" "*Bronisław Malinowski*" [1]، وكمقدمة لنهج "الأنثروبولوجيا السيميائية" "*Anthropologie sémiotique*" [2]، والمناهج الأنثروبولوجية للدلالات هي بديل للأنواع الثلاثة الرئيسية لمقاربات الدلالات: "دلالات لغوية" "*sémantique linguistique*"، و"دلالات منطقية" "*sémantique logique*"، و"دلالات عامة" "*Sémantique générale*"، المناهج المستقلة الأخرى للدلالات هي "دلالات فلسفية" "*sémantique philosophique*"، و"دلالات نفسية" "*sémantique psychologique*".

عمل اللغوي "فيرث" كمدرس في "جامعة لندن" لأكثر من 20 عامًا؛ إذ أثر "فيرث" على جيل من اللغويين البريطانيين، وأدت شعبية أفكاره بين المعاصرين إلى ظهور ما كان يُعرف باسم "مدرسة لندن لعلم اللغة" " *École de linguistique de Londres*"، ومن بين طلاب اللغوي "جون روبرت فيرث" العالم اللغوي والساني البريطاني "مايكل هاليداي" "*Michael Halliday*" [3]، الذي كان أستاذًا في علم اللغويات العامة في "جامعة لندن" من عام 1965م وحتى عام 1971م، مثالًا على ما يسمى بالطلاب الذي يمشى على خطى معلمه.

شجع اللغوي "فيرث" عددًا من طلابه اللذين أصبحوا فيما بعد لغويين معروفين، على إجراء أبحاث حول عدد من "اللغات الأفريقية والشرقية" وعمل طالبه "تي أف ميتشل" "*T F Mitchell*" على اللغتين العربية والبربرية، وطالبه الآخر "فرانك بالمر" "*Frank Robert Palmer*" [4] على "اللغات الإثيوبية" "*Langues éthiopiennes*"، بما في ذلك "لغة تيغري" "*langue tigrée*"، و"مايكل هاليداي" على "اللغة الصينية".

---

[1] "برونيسلاف كاسبر مالينوفسكي" (1884– 1942) عالم بولندي مختص في "علم الإنسان" "*Anthropologie*"، ويعد من أهم علماء الإنسان في القرن العشرين، وهو من أهم الرواد في "علم الإنسان التطبيقي" "*Anthropologie appliquée*".

[2] *Edwin Ardener, Social anthropology and language, Tavistock Publications, London, New York, 1971, p 35.*

[3] "مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي" (1925 – 2018) لغوي إنجليزي، ساهم في مجال "السيميائيات النظامية" " *Systémique fonctionnel*"، كتب "هاليداي باللغة" الإنجليزية حوالي ثلاثين كتابا ومقالة، كما كتب بالفرنسية، والألمانية.

[4] فرانك روبرت بالمر (1922 – 2019) هو عالم لغوي بريطاني كان له دور فعال في تطوير قسم العلوم اللغوية في "جامعة ريدينغ" "*University of Reading*" في "بريطانيا"، تعامل بالمر مع الطريقة في اللغة، أو اللغات بشكل عام، في كتابه "المزاج والنمطية"، الذي نُشر لأول مرة في عام 1986، طور "بالمر" دراسة نمطية للطريقة، أو الحالة المزاجية، وقد ظهر بالفعل منشور آخر "الطريقة والشروط الإنجليزية" في عام 1979، وأشار "بالمر" إلى الاهتمام الحالي بالمزاج والطريقة، وكذلك في التصنيف النحوي بشكل عام.

كما عمل معه بعض الطلاب الآخرين اللذين لم تكن لغتهم الأم "اللغة الإنجليزية"، مما أثرى نظرية اللغوي "فيرث" في "التحليل الإيقاعي"، وكان علماء اللغة العرب الذين تأثروا به وبنظريته المشهورة في تحليل المعنى اللغوي [1] "تمام حسان" في كتابيه "مناهج البحث في اللغة" [2]، و"اللغة العربية معناها ومبناها" [3]، دون أن ننسى الأثر الواضح الذي تركته على "إبراهيم أنيس"، و"كمال محمد بشر" [4]، و"محمود السعران"، وحصل اللغوي "جون روبرت فيرث" على العديد من الأفكار من العمل الصوتي المنجز، كما أنه حصل على العديد من الأفكار من العمل الذي قام به طلابه في "اللغات السامية" "*Langues sémitiques*"، و"اللغات الشرقية"، "*Langues sémitiques orientales*" لذا فقد ابتعد بشكل كبير عن التحليل الخطي لعلم الأصوات، والتشكيل إلى المزيد من التحليل النحوي، والنموذجي.

وكان من المهم بالنسبة للغوي "جون روبرت فيرث" التمييز بين مستويين من الصوتيات الأنفية، والحلقية؛ حيث مهد هذا التحليل العام الطريق لعلم الأصوات ذاتي القطع، على الرغم من أن العديد من اللغويين اللذين ليس لديهم خلفية جيدة عن تاريخ "علم الأصوات" "*Phonétique*"، إلا أنه بسط هذا العلم بأبسط صورة.

مصنفات "فيرث": في عام 1930م، قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "الكلام" "*Speech*" [5]، وطُبع في "لندن" في "المملكة المتحدة" في مطبعة "مكتبة بين سايكس بيني" "*Benn's Sixpenny Library*" في عام 1937م، ثم قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "ألسنة الرجال" "*The Tongues of Men*" [6] وطُبع في "لندن" في "المملكة المتحدة" في "دار نشر واتس وشركاه" "*Watts & Co*" من عام 1934م وحتى عام 1951م، قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "أوراق في اللغويات" "*Papers in Linguistics*" [7] وطُبع في "لندن" في "المملكة المتحدة" في مطبعة "جامعة أكسفورد" "*Oxford University Press*"، وبعدها في عام 1957م، تم إعادة طباعة هذا الكتاب مرة أخرى.

وفي جويلية 1941، قبل اندلاع الحرب مع "اليابان"، حضر "فيرث" مؤتمرًا حول تدريب المترجمين الفوريين والمترجمين اليابانيين، وبدأ يفكر في كيفية تصميم الدورات التدريبية المكثفة، وبحلول صيف عام 1942، كان قد ابتكر طريقة لتدريب الناس بسرعة على كيفية التنصت على المحادثات اليابانية (على سبيل المثال: بين الطيارين والمراقبة الأرضية) وتفسير ما سمعوه.

---

[1] ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م، ص 131، وينظر:
O'Grady Gerard, Key Concepts in Phonetics and Phonology, Palgrave, Canada, 2013, p 55.

[2] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974 م، ص 233، 234.

[3] ينظر: تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م، ص 295.

[4] ينظر: كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1971 م، ص 23، 53، 57.

[5] *J.R.Firth, Speech, Benn's Sixpenny Library, London, United Kingdom, 1930.*

[6] *J.R.Firth, The Tongues of Men, Watts & Co, London, United Kingdom, 1937.*

[7] *J.R.Firth, Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, United Kingdom, 1957.*

بدأت الدورة الأولى في 12 أكتوبر 1942 وكانت لأفراد "سلاح الجو الملكي البريطاني" " *Royal Air Force*"، لقد استخدم كتب الشفرات اليابانية التي تم الاستيلاء عليها، ومواد أخرى من هذا القبيل لوضع قائمة بالمفردات العسكرية الأساسية، ورتب لمعلمين يابانيين اثنين في "SOAS" " *School of Oriental and African Studies*" (كان أحدهما محتجزًا في "جزيرة مان" "*Isle of Man*" لكنه تطوع للتدريس، بينما كان الآخر "كندي/ياباني") لتسجيل الجمل التي يمكن استخدام هذه الكلمات فيها.

استمع المتدربون عبر سماعات الرأس إلى تسجيلات تحتوي على عبارات مثل " *Bakugeki junbi taikei tsukure*" (اتخاذ تشكيل للقصف)، في نهاية كل دورة، أرسل تقريرًا إلى "بلتشلي بارك" " *Bletchley Park*" يعلق فيه على قدرات كل متدرب، تم إرسال المتدربين في الغالب إلى "الهند"، ولعبوا دورًا حيويًا خلال "حملة بورما" " *Burma Campaign*" الطويلة التي تحذر من غارات القصف، وكان عدد قليل منهم يقومون بمهام مماثلة على سفن البحرية الملكية خلال العام الأخير من الحرب، حصل على وسام "رتبة الإمبراطورية البريطانية" "*OBE*" " *Order of the British Empire*" عام 1945 تقديراً لعمله أثناء الحرب [1].

من عام 1930م وحتى عام 1955م، قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف وتحرير كتابه "ملخص للنظرية اللغوية" "*A synopsis of linguistic theory*" وطُبع في "مطبعة دراسات التحليل اللغوي" " *Studies in Linguistic Analysis*"، و"مطبعة بلاكويل" "*blackwell publishing*" و"مطبعة أكسفورد"، وفي عام 1957م، تم إعادة نشر هذا الكتاب للمرة الثانية في مجلة دراسات التحليل اللغوي.

ومن عام 1952م وحتى عام 1959م، قام طلاب اللغوي "جون روبرت فيرث" على شرفه، بتأليف كتاب أسموه "مجموعة أوراق مختارة لكافة مؤلفاته" حيث لاقى هذا العمل رواجًا كبيرًا؛ وذلك لأنه كان عبارة عن يشمل من كل عمل مقتطفات جعلته كتابًا متكاملاً، قام طلاب اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتاب سُمّي "ذكرى جون روبرت فيرث"، "*In memory of J.R.Firth*" [2]؛ وكان يشمل معظم أعماله في علم الأصوات، والصوتيات، وبعدها قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "مدرسة لندن للغويات" (دراسة في النظريات اللغوية).

السياق من حيث اللغة والاصطلاح

أ. **السياق لغة:** السياق لغة من الجذر اللغوي "س و ق"، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقة، وسياقة، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، حيث يقال: سقت إلى امرأتي الصداق، وأسقته، وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وساق الحديث: إذا رواه على سياقه، وسياق الكلام تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه" [3]؛ فمن خلال النظر إلى التعريف اللغوي "لمادة السياق" يتضح أن المعنى يدور حول الاتصال، والمتابعة.

---

[1] *Peter Kornicki, Eavesdropping on the Emperor: Interrogators and Codebreakers in Britain's War with Japan, Hurst & Co, London, United Kingdom, 2021, pp. 18, 61-62, 64, 92, 146-148, 292*

[2] *Charles Ernest Bazell and others, In memory of J.R.Firth, Longmans, London, United Kingdom, 1966.*

[3] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981 م، ج 01، ص 2092.

ب. السياق اصطلاحا: هو "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، سواء أكانت كلمة، أو جملة في إطار من العناصر اللغوية، أو غير اللغوية" [1]، ويرى "هاليداي" "*Michael Halliday*": أن السياق "هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية" [2].

ويقول "بروس إنغام" "*Bruce Ingham*": "السياق يعني واحدا من اثنين:

أولا: السياق اللغوي، وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات أخرى.

ثانيا: السياق غير اللغوي؛ أي: الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام" [3].

وهذا التفريق بين نوعي السياق هو ما أكسبته نظرية "فيرث" حين أصبح تناول المعنى لهذين الجانبين وهما: "السياق اللغوي" أو "سياق النص" "*Contexte linguistique*"، و"السياق غير اللغوي" أو "سياق الموقف" "*Contexte de la situation*" [4].

"النظرية السياقية" عند "فيرث"

تعد "النظرية السياقية" "*Théorie contextuelle*" التي أرسى قواعدها، وبنى أسسها "جون روبرت فيرث" من أهم الإسهامات التي قدمها للدرس اللساني الحديث، فقد استفاد "فيرث" من دراسات عالم الإنثروبولوجيا "مالينوفيسكي" "*Bronisław Malinowski*" من خلال دراسته الاجتماعية كما أسلفنا القول؛ إذ يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية ينبغي الاهتمام بها، حيث يقول "فيرث": "إن اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي؛ أي: شكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية، أو الإشارات" [5]، وبما أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعددة، فإن "فيرث" قام بدراسة مكونات اللغة وفق ظروف اجتماعية، وبالتركيز على العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع، ومن خلال ذلك فقد تبني "فيرث" نظرية "سياق الموقف" التي ابتكرها "مالينوفيسكي" حينما واجهته مشكلة ترجمة "النصوص الإثنوغرافية" "*Textes ethnographiques*" لوصف الأعراق البشرية في "جزر التروبرايندية" "*îles Trobriand*" "بغينيا الجديدة" "*Nouvelle-Guinée*" التي كان يعمل بها، حيث طور على إثر ذلك نظرية سياق الموقف؛ ليتمكن من معاينة الوظائف، أو المعاني التي تؤديها الكلمات، والجمل في السياقات الموقفية الخاصة التي تستعمل فيها، فقد قرر (مالينوفيسكي) أنه: "من الضروري أن توضع كل ألفاظ الكلام في سياق الموقف لفهم مغزاها الحقيقي" [6].

---

[1] الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1996 م، ج 01، ص 51.

[2] حيدر فريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي تحليل وتطبيق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998 م، ص 29.

[3] الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، ج 01، ص 51.

[4] أف أر بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بعداد العراق، 1980 م، ص 74.

[5] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005 م، ط 02، ص 174.

[6] نفسه، ص 177.

لقد أولى "فيرث" لعلم الدلالة أهمية كبرى، في الوقت الذي كان فيه اللسانيون يمتنعون عن دراستها؛ باعتبارها خارج نطاق اللسانيات، وفوق طاقتها، حيث أراد أن يجعلها علما مستقلا بذاته، فهو يقول في ذلك: "دراسة الدلالة هي المهمة الرئيسية للسانيات الوصفية"؛ ولتوضيح معنى الدلالة فقد قام "فيرث" بتميز نوعين من العلاقات التي ترتبط بهما الألفاظ وهما: "العلاقات الداخلية أو الشكلية"، و"العلاقات الموقفية".

ويشمل النوع الأول: العلاقات التي تربط وحدة لغوية معينة بالوحدات الأخرى، كالعلاقة الموجودة بين الوحدات اللغوية في تتابع ما، والعلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية، والعلاقات الفونولوجية بين الوحدات الصوتية.

أما النوع الثاني فيشمل: العلاقات بين الوحدات اللغوية، ومكونات الموقف غير اللغوية [1].

يتبين من خلال ما سبق أن النظرية السياقية عند "فيرث" تنطلق من ركنين أساسيين، هما:

الركن الأول: السياق اللغوي الداخلي، أو سياق النص، وقد أشار إليه "فيرث" من خلال حديثه عن نوعية العلاقات التي تربط الألفاظ، وهي العلاقات الداخلية أو الشكلية، وبعبارة أخرى، فإن السياق الداخلي لا يتجاوز وظائفه خارج حدود النص؛ أي: أنه يبحث في علاقة الكلمة بالأخرى، وعلاقة الكلمة بالجملة، بالإضافة إلى علاقة الحروف، والأصوات بالكلمة.

أما الركن الثاني للنظرية السياقية: فهو "السياق الخارجي"، أو "سياق موقف"، أو "السياق غير اللغوي"، وقد أشار إليه "فيرث" "بالعلاقات الموقفية"، وهو السياق الذي تربطه علاقة ما مع الظروف، والملابسات المحيطة بالكلام، أو العناصر الخارجية غير اللغوية، وقد استفاد "فيرث" في سياق الموقف من إشارات "مالينوفيسكي" من خلال أبحاثه، ودراساته الإنثروبولوجية [2].

يؤمن أتباع النظرية السياقية أن المعاني هي أنماط سلوكية يمتلكها الإنسان في إطار سياق معين، ويسمى "السلوك الكلامي"، وهذه الأنماط هي الكلمات، والألفاظ التي ينطقها الإنسان؛ ليعبر بها عن دلالات معينة؛ أي: أن هناك علاقة بين السلوك، والسياق، وقد أطلق "فيرث" على السلوك الكلامي اسم "المعطيات الصوتية": "وهي عبارة عن متصل كلامي غير مقطع، والسياق الواسع هو الثقافة، والسياقات الثانوية هي سياقات الموقف" [3].

---

[1] *J.R.Firth, Papers in Linguistics, p 19.*

[2] من بين أهم أعمال "مالينوفيسكي":

1. *The family among the Australian Aborigines. À sociological study, 1913.*
2. *Les Argonautes du Pacifique occidental, Gallimard, Argonauts of the Western Pacific, Londres, 1922.*
3. *Mœurs et coutumes des Mélanésiens. Trois essais sur la vie sociale des indigènes trobriandais : Le crime et la coutume dans les sociétés primitives, Le mythe dans la psychologie primitive et La chasse aux esprits dans les mers du sud » Payot, Crime and Custom in Savage Society, Londres, 1934.*
4. *Les Dynamiques de l'évolution culturelle, Recherche sur les relations raciales en Afrique. Payot, Londres, 1945.*

[3] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 181.

ويقترح "فيرث" تقسيم المعنى إلى مجموعة من الوظائف المكونة، وما الوظيفة إلا ضرب من استعمال شكل، أو عنصر من لغة معينة حسب سياق معين، وينظر إلى هذا المعنى على أنه مركب من العلاقات السياقية، وتبعا لذلك فقد قام "فيرث" بتقسيم تلك السياقات إلى أقسام عدة، موزعة ضمن تسلسل هرمي مضبوط، وهي على النحو الآتي [1]:

1. السياق الصوتي.
2. السياق المعجمي.
3. السياق الصرفي.
4. السياق التركيبي.
5. سياق الموقف.
6. السياق الثقافي.

وقد عقب "فيرث" على هذا التوزيع بقوله: "إن التقنية التي رسمتها هنا عبارة عن تحليل تجريبي عوض عن تحليل نظري للمعنى، ويمكن وصفها كسلسلة من الاجراءات لوضع الظواهر في سياقات: سياق في سياق، وكل سياق عبارة عن وظيفة، أو عضو في سياق أكبر، وتجد كل السياقات مكانا لها فيما يسمى بسياق الثقافة" [2].

تنبه "فيرث" إلى أهمية الوظائف، أو السياقات السابقة في تحليل السياق اللغوي، والكشف عن المعاني الدقيقة، إلا أن السياقات (الثاني، والثالث، والرابع) تعتبر جوهر السياق اللغوي، أو الوظائف الحاكمة في نظرية السياق، وأساسه، ولا يعني ذلك إهمال السياقات الأخرى، فلكل سياق منها وظيفته الخاصة، ومرتبط بغيره من السياقات، أما "السياق الدلالي"، أو "الوظيفة الدلالية" "*fonction sémantique*"، فإن "فيرث" يحدد وظيفتها بعلاقتها مع جميع السياقات اللغوية الأخرى في إطار "السياق الخارجي"، أو "سياق الموقف".

لقد قام "فيرث" بتطوير نظريته السياقية في آخر عهده، وخاصة فيما يتعلق بالسياق اللغوي، حيث أضاف مصطلح "الرصف"، أو التلازم، أو المصاحبة إليها، وكان ذلك نتيجة اهتمام "فيرث" بالجانب الشكلي للمفردات المعجمية، بجانب الاهتمام العام بالكلمة، أو المفردة المعجمية، فقد لاحظ "فيرث" أن مجيء كلمات مصاحبة لكلمات أخرى يجد أحد معانيها، واتخذ للمصاحبة مستوى من مستويات السياق اللغوي أطلق عليه "المستوى المصاحبي"، أو "مستوى التحليل الرصفي"، وأدرجه ضمن البحث المعجمي، وجاء ذلك من خلال قوله: "نعرف الكلمة بالمجموعة التي تلازمها" [3]، ومما يستدل من كلام "فيرث" فإن الرصف يعني الورود المتوقع لكلمة ما مع ما يناسبها، أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما، ومن أمثلة هذا النوع: "اللبن مع البقرة"، و"الليل مع الظلمة" [4]، فإن جزءا من

---

[1] الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، ج 01، ص 193.

[2] *J. R Firth, Introduction Studies in Linguistic Analysis, p 05.*

[3] بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1999 م، ص 145.

[4] *J. R Firth, Introduction Studies in Linguistic Analysis, p 1211.,*

معنى الليل يكمن في إمكانية وروده مع لفظ الظلمة، وكذلك جزء من معنى الظلمة يكمن في إمكانية وروده مع لفظ الليل، وقد ميز "فيرث" بين نوعين من الرصف، هما:

01 – الرصف الاعتيادي الذي يوجد بكثرة في أنواع مختلفة من الكلام العادي.

02 – الرصف البليغ الموجود في بعض الأساليب الخاصة، وعند بعض الكتاب المعنيين [1].

إن دراسة، وتحليل السياقات، وأنماط الرصف المختلفة وفقا لنظرية "فيرث" قد بلغا إلى نتيجة مهمة فحواها "أنه لم يعد ينظر إلى الكلمات باعتبارها وحدات معجمية تشغل مواقع نحوية محددة، وإنما إلى شروط استخدامها في تلاؤم، وانسجام مع الكلمات الأخرى الواردة في النص" [2]، لقد تجاوز أتباع "النظرية السياقية" حدود علم الدلالة الذي يبحث في العلاقة بين الدال والمدلول، وفي معاني الكلمات والمفردات، إلى الدور الذي تؤديه الكلمات في السياق، والطريقة التي تستعمل بما، لهذا نهج أتباع النظرية السياقية من أجل دراسة معاني الكلمات وفقا للمواقف التي ترد فيها والسياق الذي توضع فيه، إلى تقسيم السياق إلى أقسام أربعة، تشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف خارجية، وعوامل داخلية، وسمات ثقافية، ونفسية، وتتمثل هذه السياقات فيما يأتي [3]:

01 – السياق اللغوي: هو الدلالة الناتجة عن العلاقات بين الكلمات المتجاورة مع بعضها البعض في جملة ما، مما ينتج عنها معنى خاصا محددا، ويمكن أن نضرب مثالا على ذلك كلمة "عين" حيث نجد أن لها في المعجم معاني كثيرة، ومتعددة، مثل (عضو الإبصار، الجاسوس، وسيد القوم، وعين الماء، وغيرها الكثير) لكن الذي يحدد المعنى الذي نريده هو السياق، فعندما نقول: في الجبل عين جارية؛ فإننا نقصد هنا (عين الماء)، وعندما نقول: هذا عين العدو، فإننا نقصد هنا (الجاسوس)، وكذلك في جميع سياقات الكلام.

02 – السياق العاطفي: وهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية، كما أنه يحدد درجة الانفعال بين القوة، والضعف، مثل: استخدام بعض الكلمات في حالة الغضب دون أن يقصد معناها الموضوعي، مثل (الذبح، القتل، الضرب، وغيرها)، كقول الإنسان في حالة الغضب: لأقتلنك، فهو لا يرد هنا القتل بمعناها الموضوعي أي خروج الروح من الجسد، وإنما على سبيل تفريغ للعاطفة، وغليان النفس من الغضب.

03 – سياق الموقف: ويقصد به الظروف الخارجية، أو المؤثرات التي تؤثر على الكلام نابع من المحيط الخارجي، وليس من اللغة ذاتها، ويدل سياق الموقف على العلاقات المكانية، والزمانية التي يجري فيها الكلام، مثل جملة: "يرحمك الله"، التي تقال في مقام تشميت العاطس، في حين أن جملة: "الله يرحمه"، فتقال في مقام الترحم على الميت؛ فالأولى بدأ بالفعل وتدل على طلب الرحمة في الدنيا، في حين أن الثانية بدأت بالاسم وتدل على طلب الرحمة في الآخرة.

---

[1] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتاب، القاهرة، مصر، 1991 م، ص 52.

[2] نفسه، ص 53.

[3] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 05، 1998 م، ص 69 / 71، وينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 03، 2008 م، ص 352 / 355.

04 – السياق الثقافي: وهو الدلالة التي تؤديها الظروف الاجتماعية، أو الثقافية في تحديد معاني الكلمات في سياق ما، مثل كلمة (حرمة)، وكلمة (مدام)؛ فالأولى تستخدم بين طبقات المجتمع المتوسطة ذات الثقافة القليلة، بينما تستخدم الكلمة الثانية بين طبقات المجتمع العالية ذات الثقافة المرتفعة للدلالة على الزوجة.

وبناء على ما سبق فإن:

تعتبر "النظرية السياقية" من النظريات الأكثر أهمية في معرفة مدلولات الكلمات، والوصول إلى معانيها، ومضامينها من خلال وضعها في قوالب الجمل، والعبارات، وهذه القوالب يمكن لنا أن نسميها (السياق)، إذ أن السياق هو المحور الذي تقوم عليه "نظرية السياق" في الوصول إلى الدلالات، والأغراض.

وقد تبين لنا أن "النظرية السياقية" أصبحت عمادا في اللسانيات الحديثة، واعتنى الكثير من العلماء، والباحثين بما في دراسة دلالة الكلمات، والجمل، والنصوص، بل اعتبرها البعض بأنها تمثل انتقالا فريدا في علم الدلالة إذا تم تطبيقها بدقة متناهية، وراعى فيها أركانها، وأساساتها التي قامت عليه، خاصة أن "النظرية السياقية" لقيت اهتماما بالغا بعد وفاة "جون روبرت فيرث"، وقاموا بتعديلات، وإضافات عليها، جعلها نظرية متكاملة من جميع زوايا اللغة؛ "فالنظرية السياقية" أصبحت تشكل مرجعا هاما في علم الدلالة، كما أن تطور مفهوم السياق عبر العصور، وانتقل من جيل إلى جيل، حتى أصبح نظرية علمية مستقلة على يد "روبرت فيرث"، فاكتملت أركانها، وظهرت معالمها لدى الباحث والقارئ؛ مما ساعدت في الكشف عن مدلولات الكلمات، والنص عامة بيسر، وسهولة، وتناول "النظرية السياقية" للسياق اللغوي (سياق النص) والسياق غير اللغوي (سياق الموقف يشير إلى اعتمادها على القاعدة البلاغية لكل مقام مقال) مما جعلها من النظريات الكاملة، والحاوية لكل عناصر الكلام إذا ما طبقت بحكمة، وجدارة.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 03، 2008 م.
2. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 05، 1998 م.
3. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
4. أف أر بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1999م.
5. أف أر بالمر، علم الدلالة، ترجمة محيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بعداد العراق، 1980 م.
6. تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م.
7. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974م.
8. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م.
9. حيدر فريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي تحليل وتطبيق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998م.

10. سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، 2007 م.
11. الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1996 م.
12. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتاب، القاهرة، مصر، 1991 م.
13. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
14. كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1971م.
15. مطهري، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 م.
16. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Charles Ernest Bazell and others, In memory of J.R.Firth, Longmans, London, United Kingdom, 1966.*
2. *Edwin Ardener, Social anthropology and language, Tavistock Publications, London, New York, 1971.*
3. *J.R.Firth, Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, United Kingdom, 1957.*
4. *J.R.Firth, Speech, Benn's Sixpenny Library, London, United Kingdom, 1930.*
5. *J.R.Firth, The Tongues of Men, Watts & Co, London, United Kingdom, 1937.*
6. *O'Grady Gerard, Key Concepts in Phonetics and Phonology, Palgrave, Canada, 2013.*
7. *Peter Kornicki, Eavesdropping on the Emperor: Interrogators and Codebreakers in Britain's War with Japan, Hurst & Co, London, United Kingdom, 2021.*

المحاضرة التاسعة

المدرسة التوزيعيّة

توطئة:

يطلق مصطلح "التوزيعية" "*distribution*" على اتجاه لساني ظهر في "الولايات المتحدة الأمريكية" في حوالي سنة 1930، وهو مرتبط بتفكير "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*"، وأوجه التماثل بين "التوزيعية" والاتجاهات الأوربية المعاصرة تسمح بوسمها على أنها جميعا من البدائل "للبنيوية" "*Structuralisme*" [1]، و"النظرية التوزيعية" هي النظرية التي تقابل عند كثير من الدارسين "البنيوية الأمريكية" "*structuralisme américain*"، التي يعتبر "سابير" "*Edward Sapir*" [2] من أوائل روادها، وقد نشر كتابه عن "اللغة" [3] عام 1921 بقدر عظيم من الحكمة، والتوازن عندما يتحدث عن البنية اللغوية، فيتفادى التبسيطات الشديدة، والنزعة العلمية السهلة التي سادت فيما بعد، ويصر في مقدمة كتابه على تأكيد "الطابع اللاشعوري، والطبيعة اللامعقولة للبنية اللغوية"، مركزا على الجانب الإنساني للغة باعتبارها نظاما من الرموز، فوظيفة اللغة عنده ليست غريزية، ولكنها ثقافية مكتسبة، وبعد أن يدرس المشاكل الصوتية يتناول قضية الشكل اللغوي، والبنية القاعدية، فيؤكد أن الحقيقة اللغوية الجوهرية تتمثل في التصنيف، والنمذجة الشكلية للتصورات فاللغة كبنية هي الجانب الداخلي، وأما الشكل فينبغي دراسته من وجهة نظر الوظيفة المنوطة به، ولا بد فيما يتصل بهذا الشكل من التمييز بين الصيغ التي تستخدمها لغة ما في عملياتها النحوية، وبين توزيع التصورات بالنسبة للتعبيرات المختلفة في نماذج "صوتية شكلية" [4].

وبالعنوان نفسه نشر "بلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*" كتابه عن (اللغة) عام 1933، وعرض فيه للجانب الآخر من النظرية البنيوية المتماسكة، ويعتبر كل من "سابير"، و"بلومفيلد" زعيمي "المدرسة الأمريكية"، وإن كان الثاني أكثر تأثيرا من صديقه، وأفضل تمثيلا لها، إذ تربى على يديه أجيال من الباحثين، حتى عد كتابه أهم دراسة منهجية للغة في القرن العشرين، ومازالت مبادئه هي السائدة بين جمهور الباحثين، وتتحدد البنيوية الأمريكية في الحقيقة بعاملين: بهدفها العملي، وهو ضرورة دراسة "لغات الهنود الحمر"، وثقافاتهم التي لم تبحث، وتدون آنذاك، وبالبديهيات العلمية للسلوكية [5].

أقطاب المدرسة التوزيعية:

---

[1] كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 م، ص 38.

[2] ينظر إلى ترجمة " إدوارد سباير" في المحاضرة السابعة "المدرسة الوظيفية الفرنسية".

[3] *Sapir, Edward, Language: An introduction to the study of speech, Harcourt Brace and Company, New York, USA, 1921.*

[4] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م، ص 96، 97، ينظر: خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها "منهج وتطبيق"، دار المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1984 م، ص 42.

[5] كارل ديتر بونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2003 م، ص 78.

رغم مكانة " فرانز بواس" "*Franz Boas*" [1]، و"إدوارد سابير" إلاّ أنّ اللساني الذي يعدّ الممثل الرئيسي للمدرسة الوصفية هو "هاريس" وبالخصوص "بلومفيلد" الذي تشبّع بمبادئ السلوكية "*Behaviorisme*" وبالخصوص آراء "واطسون" "*Watson*" مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس.

"زيلغ سابيتي هاريس" "*Zelling Sabbetai Harris*"

ولد "هاريس" [2] سنة 1909م في "روسيا"، ثم قدم في الخامسة من عمره إلى "الولايات المتحدة الأمريكية"، التحق "بجامعة بنسلفانيا" "*Université de Pennsylvanie*"، أين حصل على الدرجة الجامعية الأولى عام 1930، وبعد سنتين من ذلك حصل على درجة الماجستير في الأدب، من الجامعة ذاتها 1932م، وعام 1934 تحصل على درجة الدكتوراه بالأطروحة التي تقدم بها عن قواعد "اللغة الفينيقية" "*Phénicien*"، ثم عين للتدريس في الجامعة ذاتها، إلى أن انتقل إلى "جامعة فيلادلفيا" "*Université de Philadelphie*"، ثم عاد بعد ذلك إلى "بنسلفانيا" واشتغل بالتدريس هناك، أين التقى تلميذه "نعوم تشومسكي" "*Noam Chomsky*" [3].

أشهر مؤلفات "هاريس" في علم اللغة ذلك الذي يعد المؤلف الرئيس في "علم اللغة التوزيعي"، والذي شرح فيه آراءه حول هذا المنهج، وهو كتاب موسوم بـ "مناهج في اللسانيات البنيوية"، وبه ظهر "هاريس" صاحب مدرسة جديدة، إذ خرج على أفكار "بلومفيلد" الذي كان مثله الأعلى في المنهج الوصفي.

سنة 1952 نشر "هاريس" مقاله " قواعد التحويل" "*transformar grammar*" الذي تحدث فيه عن استعمال الرموز لتحليل الجملة، كما تحدث عن الجملة التوليدية، وعن القواعد، والقوانين اللازمة لتوليدها، ولعل هذا المقال هو البذرة الأولى التي انطلقت منها أعمال اللغوي "تشومسكي" في "نظريته التوليدية التحويلية"، حيث إنه طور آراءه اعتمادا على آراء أستاذه "في النحو التوليدي"، فطغت آراء التلميذ، ونسبت "النظرية التوليدية التحويلية" "لتشومسكي" في النهاية، ولم يكن "هاريس" لينشر هذا المقال –كما يعتقد بعض الدارسين– لولا إحساسه أن منهجه

---

[1] "فرانز أوري بواس" (1858–1942) عالم أنثروبولوجيا ألماني المولد أمريكي الجنسية، ورائد في "علم الأنثروبولوجيا الحديث"، أُطلق عليه لقب "أبو الأنثروبولوجيا الأمريكية" "*père fondateur de l'anthropologie américaine*"، وارتبط عمله بحركة التاريخانية الأنثروبولوجية.

[2] ينظر إلى ترجمة "هاريس" في المراجع الآتية:

جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م، ص 175 وما بعدها، وينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الازهرية، القاهرة، مصر، ط 01، 2008، ص 87، 88، وينظر: بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 01، 2004 م، ص 227 وما بعدها، وينظر:

Friedman, Herman, Immunity and the Sysiphus Effect, in Szentivanyi, The immunologic revolution: Facts and witnesses, CRC Press,1994, pp. 205-207.

[3] ينظر إلى ترجمة "نعوم تشومسكي" في المحاضرة السابعة "المدرسة الوظيفية الفرنسية".

الجديد "التوزيعي" الذي أخذ يدعو له لا يصلح لحل كثير من قضايا اللغة لكنه لم يصرح بذلك، بل حاول تعديل فكرته من خلال طرح فكرته الجديدة التي تأثر بها "تشومسكي".

يرى "هاريس" أن المعنى ليس عنصرا رئيسا في تقسيم الجمل، وتوزيع مفرداتها، متأثرا في ذلك بآراء "بلومفيلد" الذي يرى أن المعنى هدف بعيد المنال، وعلى الباحث أن ينصرف عنه إلى ما هو أهم، وعلى الرغم من هذا التوجه إلاَّ أنه وجد نفسه عند التطبيق يتحدث عن العلاقة الوثيقة بين المعنى الماثل في ذهن المتكلم ، والمورفيمات المستعملة والتركيب الجملي الذي تنتظم فيه هذه المورفيمات انتظاما توزيعيا، توفي "هاريس" "بنيويوك" "*New York*" عام 1992 م عن عمر ناهز 82 سنة، ولعل هذه الببليوغرافيا لأهم لكتابات "هاريس".

1936. A Grammar of the Phoenician Language.
1939. Development of the Canaanite Dialects: An Investigation in Linguistic History.
1946. From Morpheme to Utterance.
1951. Methods in Structural Linguistics.
1962. String Analysis of Sentence Structure.
1968. Mathematical Structures of Language.
1970. Papers in Structural and Transformational Linguistics.
1976. Notes du Cours de Syntaxe .
1981. Papers on Syntax.
1982. A Grammar of English on Mathematical Principles .
1988. Language and Information .
1989. The Form of Information in Science: Analysis of an immunology sublanguage .
1991. A Theory of Language and Information: A Mathematical Approach .
1997. The Transformation of Capitalist Society .

ليونارد بلومفيلد "*Leonard Bloomfield*"

ولد "بلومفيلد" في "ولاية شيكاغو" في "الولايات المتحدة الأمريكية" عام 1887، وكان والده "سيجموند بلومفيلد" "*Sigmund Bloomfield*" قد هاجر إلى "الولايات المتحدة الأمريكية" كطفل عام 1868، وكان اسم العائلة الأصلي "بلومينفيلد" "*Blumenfeld*"، ولكنه تغير إلى ما هو عليه الآن بعد الهجرة إلى الولايات المتحدة، وانتقل "ليونارد" مع أسرته إلى منطقة "ويسكونسين" "*Wisconsin*" [1]، ودرس المرحلة الابتدائية فيها، إلا أنه عاد إلى "شيكاغو" لإتمام دراسته الثانوية، وقد كان عمه "موريس بلومفيلد" "*Maurice Bloomfield*" أحد اللغويين المعروفين في "جامعة جونز هوبكينز" "*Université Johns-Hopkins*"، التحق "بلومفيلد" "بكلية هارفارد" "*Harvard College*" عام 1903 وتخرج عام 1906 حيث حصل على "درجة البكالوريوس"، ومن ثم بدأ التحضير للدراسات العليا في "جامعة ويسكونسن-ماديسون" "*Université du Wisconsin – Madison*"، حيث درس فقه اللغة في اللغة الألمانية، وبعض اللغات الجرمانية بالإضافة إلى دراسة بعض اللغات الهندوأوروبية، وقد توجه اهتمام "بلومفيلد" إلى دراسة اللغويات بعد أن أقنعه أحد أعضاء الهيئة التدريسية، "إدوارد بروكوش" "*Eduard Prokosch*"

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 192.

بذلك، وحصل على درجة الدكتوراه من "جامعة شيكاغو" "*Université de Chicago*" عام 1909 وكان بحثه حول اللغويات التاريخية للغات الألمانية، وتابع دراساته في "جامعة ليبزيج" "*Université de Leipzig*"، و"جامعة غوتينغن" "*Université de Göttingen*" في ألمانيا في العامين 1913 و1914، حيث درس مع العديد من أهم المتخصصين في اللغويات الهندوأوروبية مثل: "أوجست ليسكين" "*August Leskien*" [1]، و"كارل بروجمان" "*Karl Brugmann*" [2]، و"هيرمان أولدينبيرج" "*Hermann Oldenberg*" [3]، كما درس "بلومفيلد" مع عالم اللغة السنسكريتية "يعقوب فاكيرناجل" "*Jacob Wackernagel*" [4]، وقد كانت الدراسة، والتدريب في أوروبا أحد الشروط التي فرضتها "جامعة إلينوي" "*Université de l'Illinois*" حينها ليترفع المحاضر إلى درجة أستاذ مساعد.

عمل "بلومفيلد" كمحاضر يدرس "اللغة الألمانية" في "جامعة سينسيناتي" "*Université de Cincinnati*" بين العام 1909 و1910 كما عمل محاضراً للغة الألمانية في "جامعة إلينوي" بين 1910 و1913. كما عمل أستاذاً للغة الألمانية، واللغويات في "جامعة أوهايو" "*Université d'État de l'Ohio*" بين العام 1921 و1927 وأستاذاً "لفقه اللغات الجرمانية" في "جامعة شيكاغو" "*Université de Chicago*" من 1927 إلى 1940، وأصبح بعد ذلك أستاذاً في اللغويات في "جامعة يايل" "*Université Yale*" حتى العام 1949، وكان "بلومفيلد" أحد الأعضاء المؤسسين "للجمعية اللغوية الأمريكية" "*Société linguistique d'Amérique*" عام 1924، وكتب المقالة الافتتاحية لإصدار أول عدد من مجلة الجمعية، واستلم رئاسة الجمعية عام 1935، وقد حاضر "بلومفيلد" في "معهد اللغويات" التابع للجمعية بين العام 1938 حتى 1941.

بدأ عمل بلومفيلد في "اللغويات الهندوأوروبية"، والدراسات في "اللغات الجرمانية" بعد أن أتم رسالته البحثية التي أعدها للحصول على درجة الدكتوراه، ولحق ذلك إصدار مزيد من الأبحاث، والأوراق الأكاديمية في مواضيع تتعلق بالنظام الصوتي، والصرفي للغات الهندوأوروبية، وقد زادت دراساته التي أجراها بعد الحصول على درجة الدكتوراه في "ألمانيا" من خبراته في هذا المجال، وعلى أساليب فقهاء اللغة الجدد في اللغويات، والتي كانت مسيطرة على الدراسات التاريخية للغات الهندوأوروبية، وقد كتب "بلومفيلد" ورقة بحثية حول موضوع في "اللغة السنسكريتية"، وبالتحديد حول الصوائت الغارية فيها، وقد استخدم "بلومفيلد" العديد من المواد في اللغات الهندوأوروبية لتوضيح المبادئ التاريخية، والمقارنة في أهم كتبه وهما "مقدمة إلى علم اللغة" "*An introduction to language*" عام 1914، وكتابه الآخر "اللغة" "*Language*" 1933، وقد عمد في كتابيه إلى تقديم أمثلة مركزة من اللغات الهندوأوروبية تدعم نظرية فقهاء اللغة الجدد في أن التغير في النظام الصوتي للغة يسير وفق منهجية محددة يمكن وصفها، كما أكد على بعض الخطوات

[1] "أوغست ليسكين" (1840 – 1916) لغوي ألماني في مجال اللغويات المقارنة، خاصة فيما يتعلق باللغات البلطيق، والسلافية.

[2] "كارل بروجمان" (1849 – 1919) لغوي ألماني يشتهر بأعماله في اللسانيات الهندية الأوروبية.

[3] "هيرمان أولدنبرج" (1854 – 1920) باحث ألماني في "العلوم الهندية" "*Indologie*".

[4] "يعقوب فاكيرناجل" (1853 – 1938) لغوي سويسري، وباحث في اللغة السنسكريتية.

المنهجية التي تساعد في إنجاح العمل في الدراسات المقارنة،كما أكد على أهمية دراسة اللهجات المتعددة للغات إن أمكن الأمر، ونبه إلى أهمية بعض العوامل الاجتماعية في اللغة، وأثرها على المعاني.

درس "ليونارد بلومفيلد" "اللغة السنسكريتية" بين 1913 و1914 كجزء من تدريبه العملي في دراسة اللغات الهندوأوروبية، حيث درس النظام اللغوي للسنسكريتية كما وصفه "بانيني" "*Panini*" الذي عاش في شمال غرب "الهند" في القرن السادس قبل الميلاد، وقد كان وصف "بانيني" لهذه اللغة دقيقاً، وشاملاً مبيناً القواعد البنيوية الشكلية للغة السنسكريتية، وقد كان لأسلوب "بانيني" في الوصف اللغوي أثر واضح على "بلومفيلد" في دراساته، وكتبه.

توفي "ليونارد بلومفيلد" في 18 أبريل 1949، عن عمر ناهز 62 سنة، ومن أهم أعماله:

1909/1910. A semasiological differentiation in Germanic secondary ablaut".
1911. The Indo-European Palatals in Sanskrit.
1914. Introduction to the Study of Language.
1914. Sentence and Word.
1916. Subject and Predicate
1917. Tagalog texts with grammatical analysis.
1925. Why a linguistic society
1925. On the sound-system of Central Algonquian.
1925-1927. Notes on the Fox language.
1926. A set of postulates for the science of language.
1927. On Some Rules of Pāṇini.
1927. Literate and illiterate speech
1928. Menomini texts.
1928. A note on sound change.
1929. Review of Bruno Liebich.
1930. Sacred stories of the Sweet Grass Cree.
1933. Language
1934. Plains Cree texts.
1935. Linguistic aspects of science.
1939. Menomini morphophonemics.
1939. Linguistic aspects of science.
1942. Outline of Ilocano syntax.
1942. Outline guide for the practical study of foreign languages.
1946. Algonquian.
1958. Eastern Ojibwa.
1962. The Menomini language.
1975. Menomini lexicon.
1984. Cree-English lexicon.
1984. Fox-English lexicon.

المقدمات النظرية للتوزيعية:

ليس من العسير أبَدا أن نكتشف أن مقدمات العمل النظرية للتوزيعية قائمة بشكل أساسي على مبادئ "سوسير"، فهي تشبه إلى حد كبير ما صاغه هذا العلامة من مقدمات، والتي من أهمها:

01 – موضوع الدرس هو اللغة مقابلة بالحديث، وغالبا ما يطلق على اللغة لفظ القانون؛ أي: أنها النظام الذي يحكم عملية الاستعمال الفردي "الكلام"، وهي تسمية لها صدى عملي ملموس، وقد كان "سوسير" قبل أصحاب المنهج التوزيعي قد أكد على أن موضوع اللسانيات "الدرس اللساني" بمختلف مناهجه هو اللغة.

02 – الآنية: يتسم هذا الدرس بالآنية، لأنهم بإزاء لغات منعدمة الكتابة، وماضيها مجهول [1]، فالتوزيعيون انطلقوا في بداية الأمر من دراسة "لغات الهنود الحمر"، وثقافتهم التي لم تبحث أو تدون آنذاك [2]؛ وليست الآنية إلا المنهج الوصفي الذي اشتهر به "دي سوسير"، حيث إنه نادى إلى دراسة اللغة دراسة آنية لأنها كفيلة بإعطاء نتائج مضمونة، وعندما يفرغ الباحث منها له أن ينتقل إلى الدراسة التاريخية التي تتم وفق امتداد زمني طويل، قد يحول بين الدارس، وبين تحقيق مراميه بشكل أفضل.

03 – تتألف اللغة من وحدات متفاصلة تفرزها عملية التقطيع، ويقدم "سوسير" في هذا المجال رؤية شاملة حول العلامة اللسانية، وطبيعتها، وعلة وجودها، ولكن لا وجه للمقارنة مع ما للتوزيعيين، فلا محل عندهم للبحث النظري، وإنما لمعالجة شديدة الضبط للقضايا التي يوفرها الوصف (ولا يذكرها سوسير)؛ أي: كيف نبرز الكلم المميز (المورفيمات)، وهي تقابل عندهم العلامات، وما هي المقاييس عند ظهور بعض الشك... إلخ، ويمكن أن نلاحظ اطراد المقابلة بين الدال والمدلول، واعتبار المورفيم كوحدة دنيا تفيد دلالة يفردها التحليل، لكن جميع ما يتعلق بالمعنى في شتى أشكاله يحذو فيه حذوا ثابتا، وترجع المناقشات حول المورفيمات عادة إلى قضايا تخص الشكل، فالمعنى في حد ذاته لا يدرك موضعه، ولا نحصل إلا على معاينة أوجه التماثل، وأوجه التباين الدلالية.

ارتكز التوزيعيون بشكل واضح على مبادئ "دي سوسير"، وإن بدا لنا بعض الاختلاف بينهم وبينه، فليس إلا صبغة خاصة أرادها التوزيعيون، لأنفسهم ليتميزوا عن باقي المدارس اللسانية الأخرى [3].

04 – تؤلف كل لغة نظاما مخصوصا، وهو ما يقابل الاعتباطية عند سوسير، فموضع الكلمة في البنية محدد بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى، ومن هذه العلاقات تنشأ قيمة كل كلمة [4].

05 –إن العناصر تتحدد بعلاقاتها داخل النظام؛ أي: بعلاقاتها مع غيرها من العناصر اللغوية في التركيب الواحد، وهو ما يسميه "سوسير" "بالعلاقات الركنية" "*rapports syntagmatiques*"، أو "السياقية" التي تجمع بين كلمات جملة واحدة، حيث تستدعي كل منها الأخرى، لتشكل سياق لغويا ذا دلالة، ولعلنا هنا واقفون على أهم مبادئ النظرية التوزيعية، حيث إنها ترى أن عملية التوزيع السليم الذي تأخذ فيه الكلمة قيمتها، وبالتالي علاقات منطقية، ولغوية مع

---

[1] كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 38.

[2] كارل ديتر بونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ص 78.

[3] ينظر: جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 282 / 284، وينظر: بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ص 230 / 235، وينظر: هيشن كلاوس، القضايا الأساسية في علم اللّغة، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 01، 2003 م، ص 122.

[4] كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 39.

بعضها البعض هي التي تصل بنا في النهاية إلى المعنى السليم، ومن هنا جاء اسم "النظرية التوزيعية" [1]، ولتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي.

تتوزع الجمل في العربية وفق أحد النظامين (في الغالب الأعم):

الجمل الاسمية: التي يتصدرها اسم (مسند إليه + مسند)

الجمل الفعلية: التي يتصدرها فعل (مسند + مسند إليه)

وقد يخالف مستعمل اللغة أحد التركيبين إلى تركيب جديد بالزيادة، أو الحذف، أو التقديم، أو التأخير... دون أن يخالف نظام اللغة، فيوزع مفرداته توزيعا سليما، وفق قانون لغوي يخضع له للتعبير عن تجربة معينة، أو فكرة ما، لكننا قد نكون بإزاء متكلم جاهل بقواعد اللغة، فيوزع ما في ذهنه من مفردات توزيعا مختلا، به يختل المعنى، كأن يقول: نضع الصحن في الطعام، وهو يريد: نضع الطعام في الصحن، فيربط بين الوحدة اللغوية التي تريد فعلا وبين التي تأتي رابطا (حرف الجر)، عوض أن يربط هذه الأخيرة بكلمة (الصحن) ليدل على المكان (الموضع) الذي يوضع فيه الطعام .

أثر "علم النفس السلوكي" على المدرسة التوزيعية:

ألف "بلومفيلد" سنة 1914 كتابا يحمل عنوان "اللغة" ""، ويبدو واضحا أنه في كتابه هذا متشبع "بمبادئ السلوكية" "*Béhaviorisme*"، و هذا ما جعله يعلن صراحة عن التزامه بهذا المذهب بعده إطارا نموذجيا لوصف اللغة، فقد ذهب إلى أن اللسانيات شعبة من شعب "علم السلوكي"، متأثرا في ذلك بـ "واطسون" مؤسس "المذهب السلوكي" في "علم النفس"، ولعل هذه القضية من أهم النقاط التي تقوم عليها نظرية "بلومفيلد" السلوكية، حيث اعتبر اللغة نتاجا آليا، واستجابة كلامية لحافز سلوكي ظاهر، وعلى هذا الأساس حاول تفسير الحدث الكلامي من منظور سلوكي بحت.

أطلق "بلومفيلد" على المنهج الذي اتبعه في دراسة اللغة اسم المنهج المادي أو الآلي، وهو منهج يفسر السلوك البشري في حدود المثير، والاستجابة على غرار ما تقوم به العلوم الفيزيائية، والكيمياوية في اعتمادها في تفسير الظواهر على تتابعات العلة، والأثر [2]، وقد استعان في شرح منهجه هذا بقصته المشهورة عن (جاك) و(جيل).

افترض "بلومفيد" أن "جاك" و"جيل" كانا يتنزهان في الحديقة بين صفوف الأشجار، شعرت (جيل) بالجوع، وتولدت لديها رغبة في الأكل، رأت تفاحة على الشجرة، فأصدرت أصواتا عبرت من خلالها عن هذا الجوع، فقفز (جاك) على إثر هذه الأصوات، ليتسلق الشجرة، ويقطف التفاحة، ليقدمها إلى (جيل) التي اشتكت من الجوع، أو عبرت عنه، وبعد ذلك يضع التفاحة في يدها، وتأكلها هانئة البال، إن في هذه القصة مجموعة من الجوانب التي تثير اهتمام الدارسين، إذ يهتم الباحث اللغوي هنا بالحدث الكلامي، والتصرف السلوكي الذي ترتب عليه، لأن اللغة في نظره سلسلة من الاستجابات الكلامية لحوافز ليست ميدان الباحث اللغوي، فهو لا يهتم بالعمليات النفسية (الحافز

[1] بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ص 245.

[2] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 195.

الداخلي) السابقة على عملية الكلام، وإصدار الإشارات الصوتية، بل بدراسة التصرف الكلامي، فيصف ما فيه من فونيمات، ومورفيمات توزع في إطار جملي [1].

وقد قام "بلومفيد" بتحليل هذه القصة كما يلي: أحداث عملية سابقة الحدث الكلامي / الحدث الكلامي / أحداث عملية تابعة للحدث الكلامي.

والشكل الآتي يوضح هذا التحليل:

$$R \ldots\ldots\ldots\ldots > s \ldots\ldots\ldots\ldots r > \ldots\ldots\ldots S <$$

- الخط المتقطع يمثل الحدث الكلامي الذي يملأ الفراغ بين جسمي المتكلم والسامع.
- المثير S: يعادل الأحداث العملية السابقة للحدث الكلامي (إحساس جيل بالجوع، ثم رؤيتها التفاحة).
- الاستجابة R: تعادل الأحداث العملية التابعة للحدث الكلامي (قفز جاك لتسلق الشجرة، وقطف التفاحة لتقديمها إلى جيل).
- الحرف r: يدل على الاستجابة البديلة (إصدار جيل أصواتا دالة على الجوع، بدل قطفها التفاحة)
- الحرف s: يدل على المثير البديل (أصوات جيل التي تجعل جاك يتصرف كما لو أنه هو الجائع) [2].

إن أثر السلوكية على الدراسات اللغوية واضح جدا، حيث إن اللغة ترتبط ارتباط وثيقا بسلوك الإنسان، وبنفسيته، فتراه يستعملها حسب هذه الحالة، والمواقف التي يخضع لها، أما أثرها على المنهج التوزيعي فيتجلى في رأي "سابير" الذي يرى أن الفونيم مميزا يعتمد على الافتراضات السيكولوجية [3]، ثم إن التوزيع مبدأ تخضع له الجمل كما تخضع له الأصوات، وهو مرتبط أيضا بالحالات النفسية للأشخاص المتكلمين، فيتأثر بها، وبسلوكياتهم، وهو ما جعل مستعمل اللغة يقدم ويؤخر، ويحذف ويزيد... فليست اللغة إلا ظاهرة سلوكية من الظواهر القابلة للملاحظة، والمقياس [4].

خصائص توزيعية للمورفيمات بالنظر إلى المفردات:

يلخصها "كارل ديتر بونتنج" "*Karl Dieter Ponting*" في كتابه "المدخل إلى علم اللغة" إلى ما يلي [5]:

01 – النويات: مورفيمات مكافئة للمفردات، النواة هي الأصل في جميع الكلمات (المفردات)، وهي الجذر اللغوي الذي يتجرد من كل الزوائد، ولا يمكننا حذف أحد أصواته مهما كان الأمر؛ لأن ذلك يؤدي إلى بتر هذا الجذر، وجعله ناقصا دون فائدة، مثل: قلم، دحرج، كتب، سار، نما، سعى، أبى ...

---

[1] *Bloomfield Leonard, Language, Henry Holt, New York, USA, 1933, p 33, 34.*

وينظر: خليل أحمد عمايرة، في النحو اللغة وتراكيبها، ص 47.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 195.

[3] خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص 47.

[4] مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م، ص 35.

[5] كارل ديتر بونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ص 114.

02 – اللواصق: مورفيمات غير مكافئة للمفردات فليست أصلا في النواة (الكلمة الجذر)، بل تتم زيادتها من أجل زيادة في المعنى لم تكن قبل هذه اللواصق، ولواصق العربية مجموعة في قولنا سألتمونيها، أو أهوى تلمسان، وهي أنواع:

أ –السوابق: لواصق واقعة في المفردات قبل النويات؛ إذ يسبق هذا النوع من اللواصق النواةَ (كلمة الجذر)، ويوصل بها وكأنه جزء منها، لأداء وظائف نحوية، ودلالية مختلفة، ومثال ذلك: زيادة الياء في أول الفعل (دحرج) ليصير (يدحرج) فهذا الزائد في العربية إنما يأتي للدلالة على زمن المضارع، إذا تنتقل صيغة (فعلل) الدالة على الماضي العائدة على ضمير الغائب (هو) إلى المضارع بفضل هذا اللاصق (السابقة).

ب –الحشو: لواصق واقعة في المفردات بين النويات؛ إذ يتوسط هذا النوع من اللواصق الكلمة النواة (المفردة)، فتتغير صيغتها الصرفية، ليتغير معناها، فالفعل (خزن)كلمة نواة، خلت من أي زيادة، ودلت على عملية الخزن، لكنها تدل على مكان الخزن، وواسطته عند إضافة لواصق تتعدد مواضعها، فتتعدد بذلك المفردات المولدة، مثل: خزَّان خ+ز+(ز)+(ا)+ن / خزانة خ+ ز+(ا) +ن+(ة) / مخزَّن (م)+خ+ز+(ز)+ن / خزينة خ+ز+(ي)+ن+(ن)

ج – اللواحق: لواصق واقعة في المفردات بعد النويات، وهي المورفيمات التي تتلو المفردة، للدلالة على معاني جديدة، كالجمع، والتثنية، أو التأنيث، أو النسبة... مثل: جزائر + ضمير المتكلم للجماعة جزائرنا (نسبة إلى جماعة المتكلمين) / جزائر +ياء النسبة جزائري (جزائريان وجزائريون جزائرية)

بنية النظام:

يمكن وصف نظام ما من خلال عرض بنيته؛ لأنها توضح عناصره (أو أقسام عناصره)، وعلاقات تنظيمها، وردودها بعضها مع البعض الآخر، إذ تنتظم العناصر اللغوية –عادة– في النص وفق ترتيب أفقي يبين العلاقات النحوية، ويوضحها بوصفها أهم علاقة جملية (لغوية)، أما العلاقات الثانية والتي تكتسي جانبا، وقدرا كبيرا من الأهمية أيضا فهي العلاقات الجدولية، أو الصرفية (العلاقات الاستبدالية)، وهي التي تمكننا من استبدال العناصر اللغوية في السياقات ذاتها، لأسباب دلالية مختلفة، إذ يبحث المتكلم عن العناصر التي يمكن أن يجعلها بدلا عن عناصر أخرى، وليس هذا الاستبدال إلا إمكانية اختيارية تتعلق بالنظام، ويمكننا استنادا إلى التركيب الذي سبق أن نضع، أو نستحضر جملة من العناصر اللغوية التي نستطيع استبدالها بما هو موجود [1]، فمستعمل اللغة يعود دائما في تركيب جمله إلى هذه العلاقات، ويراعيها، ولو بغير إرادته لأن مخالفتها تؤدي إلى خلل في التوزيع، وذلك بسبب القاعدة اللغوية.

وبناء على ما سبق فإن:

المنهج التوزيعي يستند على اختلاف مدارسه إلى اعتبار اللغة مجموعة من الوحدات التمييزية التي تظهرها عملية التقطيع، أو التقسيم، ويعتمد هذا المنهج طريقة شكلية في الوصول إلى المكونات المباشرة "المركبات الأساسية"، والنهائية "الوحدات الصرفية أو المورفيمات"، والغاية من التحليل التوزيعي هي إظهار البناء المتدرج للعبارة [2].

---

[1] كارل ديتر بونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ص 42.

[2] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 03، 2008 م، 249، 250.

هذا التحليل التوزيعي وضع أسسه الأولى "فرانز بوب"، ومن ثم "إدوارد سباير" ثم تلميذه "ليونار بلومفيد"؛ إذ حاول إيجاد منهج جديد لدراسة اللغة، ووصل إلى المنهج الوصفي الذي يعتمد على التوزيع الذي يُلغي المعنى من دراسة اللغة، فإقصاء "بلومفيلد" المعنى من دراسة اللغة ليس لأنه غير مهتم به؛ بل لأنّه لا يمكن دراسته، أي أنه صعب المنال، لذلك فالدراسة التوزيعية تهتم بتوزيع الوحدات اللغوية كدراسة موقعها كالعلاقة بين الوحدات اللغوية المكونة لها، أطلق "بلومفيد" على الوحدات اللغوية اسم المورفيم، وهو أصغر وحدة دالة، وهو أساس الدراسة التوزيعية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 03، 2008 م.
2. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
3. بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 01، 2004 م.
4. جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م.
5. خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها "منهج وتطبيق"، دار المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1984 م.
6. السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الازهرية، القاهرة، مصر، ط 01، 2008 م.
7. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م.
8. كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 م.
9. كارل ديتر بونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2003 م.
10. مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
11. هيشن كلاوس، القضايا الأساسية في علم اللّغة، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 01، 2003م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Bloomfield Leonard, Language, Henry Holt, New York, USA, 1933.*
2. *Friedman, Herman, Immunity and the Sysiphus Effect, in Szentivanyi, The immunologic revolution: Facts and witnesses, CRC Press,1994.*
3. *Sapir, Edward, Language: An introduction to the study of speech, Harcourt Brace and Company, New York, USA, 1921.*

المحاضرة العاشرة

المدرسة التوليدية التحويلية 1

توطئة:

لقد كان ظهور "كتاب تشومسكي" "*Noam Chomsky*" "البنى النحوية" "*Syntactic Structures*" [1] سنة 1957 نقطة تحول مركزية نحو اللّسانيات (التوليدية–التحويلية) أو اللّسانيات "ما بعد البلومفييلدية" "*post–Bloomfieldienne*" [2]، وعلى حد قول "الفاسي الفهري" فإن "تشومسكي "قد قاد ثورة علمية نجم عنها ظهور أنموذج جديد للتفكير في اللّغة أفرز مجموعة من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللّغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي" [3].

فمقابلة "الذهني" بـ "السلوكي" في هذه المقولة يبرز المنطلق العقلاني الذي اعتمده "تشومسكي" حيث ما انفك يبدي أوجه التقارب بين نظريته، والآراء "العقلانية الديكارتية" [4] "*Cartésianisme*" في اللّغة [5]، كرأي اللّغوي الألماني "هومبلد" "*Wilhem Ven Humboldt*" [6] الذي يعد اللّغة "استعمالات لا متناهية لأشياء متناهية"

---

[1] من أهم أعمال "نعوم تشومسكي" اللغوية، نُشر في الأصل في عام 1957، وهو عبارة عن كتاب صغير من مائة صفحة تقريبًا، واعترف به كواحد من أهم الدراسات في القرن العشرين، واختير في عام 2011 من قبل مجلة تايم كأحد أهم 100 كتاب غير خيالي على الإطلاق، يحتوي العمل على الجملة التي أصبحت شهيرة الآن "تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون غاضبة" " *Colorless green ideas sleep furiously*"، التي قدمها "تشومسكي" كمثال على الجملة الصحيحة قواعديًا التي لا معنى لها، وهكذا، رسخ "تشومسكي" استقلالية "علم النحو" (دراسة بنى الجملة) عن "علم المعاني" (دراسة المعنى)، ترجم الكتاب إلى العربية "يؤيل يوسف عزيز" وراجعه "مجيد الماشطة"، ينظر: نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزير، مراجعة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط 01، 1987 م، ص 05 وما بعدها "مقدمة المترجم"

[2] *Robert Henry Robins, Brève Histoire de la Linguistique de Platon a Chomsky, traduit de l'anglais par: Maurice borel, éditions du seuil, Paris, France, 1976, p 248.*

[3] عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 01، 1986 م، ص 65.

[4] تنسب "العقلانية الديكارتية" إلى "ديكارت" "*René Descartes*" الفيلسوف الفرنسي الذي اعتمد على العقل في تأسيس فلسفته، ونظرية المعرفة، أو المنهج الديكارتي هو المنهج الجديد في الفلسفة، وبسببه سمي ديكارت بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، ويقوم المنهج الديكارتي على أساسين، هما: البداهة: أي التصور الذي يتولد في نفس سليمة منتبهة عن مجرد الأنوار العقلية، والاستنباط: أي العملية العقلية التي تنقلنا من الفكرة البديهية إلى نتيجة أخرى تصدر عنها بالضرورة.

[5] ينظر: ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللّغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1986 م، ص 19.

[6] "فريدريك فلهيلم فون همبولت" (1767 – 1835)، موظف حكومي، ودبلوماسي، وفيلسوف، ومؤسس "جامعة هامبولت ببرلين" "*Université Humboldt de Berlin*" صديق "غوته" "*Johann Wolfgang von Goethe*"، و"شيلر" " *Friedrich von Schiller*"، يذكر غالبا على أنه لغوي، كانت له إضافات هامة في حقل "فلسفة اللغة" "*Philosophie du langage*"، ومسألة التعليم من ناحية نظرية، وعملية، لقد كان "هامبولت" هو واضع أساسيات نظام التعليم في "بروسيا"، النظام الذي أخذته "أمريكا"، و"اليابان" أسوة في نظاميهما التعليميين.

[1]، وفي كتابه "اللسانيات الديكارتية" "*La Linguistique Cartésienne*" [2] يستعرض "تشومسكي" آراء ثلة من المفكرين العقلانيين في نظرتهم إلى اللغة، والاكتساب اللغوي، وعلاقتها بالنشاط العقلي[3]، وانطلاقا من هذه الخلفية العقلانية فقدُ اهتمت النظرية التوليدية بذكاء القارئ، والمبادئ، والإجراءات التي تُحشد بغية تحصيل المعرفة الكاملة باللّغة؛ أما النظريات البنيوية السابقة فلا تهتم بالإجراءات التحليلية لاستخلاص وجوه النحو من المادة اللّغوية" [4].

أفرام نعوم تشومسكي "*Avram Noam Chomsky*"

"أفرام نعوم تشومسكي" "*Avram Noam Chomsky*" ولد في 7 ديسمبر 1928 "فيلادلفيا"، "*Philadelphia*" "بنسلفانيا" "*Pennsylvania*"، بالولايات المتحدة الأمريكية، هو أستاذ لسانيات، وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه "عالم إدراكي" "*Sciences cognitives*"، و"عالم بالمنطق"، و"مؤرخ"، و"ناقد"، و"ناشط سياسي"، ويعمل "تشومسكي" كأستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في "معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا" "*Massachusetts Institute of Technology*" والتي عمل فيها لأكثر من 50 عام، إضافة إلى عمله في مجال اللسانيات فقد كتب "تشومسكي" عن الحروب، والسياسة، ووسائل الإعلام وهو مؤلف لأكثر من 100 كتاب، وفقاً لقائمة الإحالات في الفن، والعلوم الإنسانية لعام 1992، فقد تم الاستشهاد "بتشومسكي" كمرجع أكثر من أي عالم حي خلال الفترة التي امتدت من 1980 حتى 1992، كما صُنف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها على الإطلاق في قائمة تضم "الكتاب المقدس" "*Bible*"، و"كارل ماركس" "*Karl Marx*" وغيرهم، وقد وُصف "تشومسكي" بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صُوت له ك "أبرز مثقفي العالم" في استطلاع للرأي عام 2005، ويوصف "تشومسكي" أيضاً بأنه "أب علم اللسانيات الحديث" كما يُعد شخصية رئيسية في "الفلسفة التحليلية" "*Philosophie analytique*".

أثر عمله على مجالات عديدة "كعلوم الحاسب"، و"الرياضيات"، و"علم النفس"، كما يعود إليه تأسيس نظرية "النحو التوليدي" "*Grammaire générative*"، والتي كثيراً ما تعتبر أهم إسهام في مجال اللسانيات النظرية في القرن العشرين، ويعود إليه كذلك فضل تأسيس ما أصبح يُعرف بـ"تراتب تشومسكي" أو "التسلسل الهرمي لتشومسكي" "*Hiérarchie de Chomsky*"، و"نظرية النحو الكلي" "*théorie de la grammaire universelle*"، و"نظرية تشومسكي-شوتزنبرقر" "*Théorème de Chomsky-Schützenberger*".

---

[1] *Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax, the M.I.T Press, Massachusetts institute of technology, USA, 1980, preface p 05.*

[2] *Noam Chomsky, La Linguistique Cartésienne un Chapitre de L'histoire de la Pensée Rationaliste, Ed. du Seuil, paris, France, 1969.*

[3] ومنهم "ديكارت" "*René Descartes*"، و"كوردموي" "*Géraud de Cordemoy*".

[4] تشومسكي، المعرفة اللّغوية طبيعتها وأصولها واستخداماتها، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 59.

وبعد نشر كتابه الأول في "اللسانيات" أصبح "تشومسكي" ناقدا بارزا في الحرب الفيتنامية، ومنذ ذلك الوقت استمر في نشر كتبه النقدية في السياسة، واشتهر بذلك بنقده للسياسة الخارجية للولايات المتحدة، ورأسمالية الدولة، ووسائل الإعلام الإخبارية العامة، وقد شمل كتاب "صناعة الإذعان: الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام الجماهيرية""*Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media*" عام 1988 على انتقاداته لوسائل الإعلام، والذي تشارك في كتابته مع "إدوارد هيرمان" "*Edward Herrmann*"؛ وهو عبارة عن تحليل يبلور نظرية لنموذج "البروباغندا" "*Propaganda*" لدراسة وسائل الإعلام، ويصف "تشومسكي" آراءه بأنها "تقليدية لاسلطوية إلى حد ما تعود أصولها لعصر التنوير، والليبرالية الكلاسيكية" بعض الأحيان يتم تعريفه مع النقابية اللاسلطوية، والاشتراكية التحررية، كما يُعتبر كذلك منظراً رئيسياً للجناح اليساري في السياسة الأمريكية.

من أهم تصانيفه في "علوم اللغة":

Syntactic Structures (1957), Current Issues in Linguistic Theory (1964), Aspects of the Theory of Syntax (1965), Cartesian Linguistics (1966), Language and Mind (1966), The Sound Pattern of English (1968), Remarks on Nominalization (1970), Conditions on Transformations (1973), Reflections on Language (1975), The Logical Structure of Linguistic Theory (1975), Lectures on Government and Binding (1981) Knowledge of Language (1986), The Minimalist Program (1995), New Horizons in the Study of Language and Mind (2000).

ومن أهم تصانيفه في "السياسية":

The Responsibility of Intellectuals (1967), American Power and the New Mandarins (1969), Counter-Revolutionary Violence (1973), with Edward S. Herman The Fateful Triangle (1983), Manufacturing Consent (1988), with Edward S. Herman Necessary Illusions (1989), Deterring Democracy (1991), Letters from Lexington (1993), The Prosperous Few and the Restless Many (1993), World Orders Old and New (1994), Objectivity and Liberal Scholarship (1997), Hegemony or Survival (2003) Failed States (2006), Requiem for the American Dream (2017).

أفكاره في مجال اللسانيات:

تتحدى لسانيات "تشومسكي" [1]؛ "اللسانيات البنيوية" "*linguistique structurale*"؛ وتمثل مقدمة "للنحو التحويلي"، وهذا التوجه يأخذ الكلام (تسلسل الكلمات) باعتباره متميزا بالنحو الشكلي، وخصوصا في النحو ذو السياق المستقل الممتد مع قواعد تحويلية، وربما مساهمته الأكثر تأثيراً في هذا المجال هو فرضية أن نمذجة معرفة اللغة باستخدام "النحو الشكلي" محسوبة لصالح إنتاجية، وإبداع اللغة، وبعبارة أخرى، "فالنحو الشكلي" للغة ما يمكن أن

[1] بدأت هذه اللسانيات من "البنى التركيبية"، وهي خلاصة لكتابه "البنية المنطقية للنظرية اللسانية" "*The Logical Structure of Linguistic Theory*" وهو عمل رئيسي في اللسانيات تمت كتابته في عام 1955 ونشر في عام 1975، ففي عام 1955 قدم "تشومسكي" جزءًا من هذا الكتاب كأطروحة دكتوراه بعنوان "التحليل التحويلي" "*Transformational Analysis*"، وحدد أفكاره حول القواعد التحويلية، حصل على درجة الدكتوراه بهذا العمل، وتم توزيعها بشكل خاص على المتخصصين في الميكروفيلم، عرض تشومسكي الكتاب للنشر لكن مطبعة التكنولوجيا التابعة لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا رفضت نشرها في ذلك الوقت.

يشرح قدرة السامع، والمتحدث لإنتاج، وتفسير عدد لا حصر له من الحديث –بما في ذلك الحديث الروائي– مع مجموعة محدودة من قواعد اللغة، والمصطلحات، ويدين "تشومسكي" دائماً لبنيني لفكرته الحديثة "للنحو التوليدي" "*Grammaire générative*" على الرغم من ارتباطه كذلك بالأفكار العقلانية للمعرفة المسبقة .

ومن سوء الفهم المنتشر الادعاء بأن "تشومسكي" أثبت بأن اللغة هي فطرية بشكل كامل، وبأنه هو من اكتشف "النحو الكلي" "*Grammaire universelle*"، في الحقيقة "تشومسكي" فقط لاحظ بأن "الطفل" و"القط" كلاهما قادر على "التفكير الاستقرائي" إذا تعرضوا لنفس المعطيات اللغوية؛ "فالطفل" سيكتسب دوماً القدرة على فهم، وإنتاج اللغة في حين أن "القط" لن يكتسب أياً منها، وسمى "تشومسكي" أي قدرة للإنسان يفتقدها القط "جهاز اكتساب اللغة"، واقترح أن تكون إحدى مهام اللسانيات عن معرفة هذا الجهاز، وماهي القيود التي يضعها على مجموعة محتملة من اللغات، وتسمى الخصائص الكلية التي من الممكن أن تنتج من هذه الحدود بـ "النحو الكلي" [1].

وتقوم مقاربة "المبادئ والوسائط" بجعل الفرضيات قوية بخصوص "النحو الكلي"؛ فالمبادئ النحوية التي تحدد اللغة هي فطرية، وثابتة، والاختلاف بين لغات العالم من الممكن أن يوصف من خلال وسائط موجودة بالضبط في الدماغ (مثل عامل الحذف أثناء النطق، والذي يشير إذا كان موضوع ما مطلوب دوماً، مثل "الإنجليزية"، أو من الممكن أن يحذف اختيارياً، مثل "الإسبانية") والتي كثيراً ما تشبه المفاتيح، (ولذا كان هذا النهج يوصف بمصطلح المبادئ والوسائط)، وتبعاً لهذا الرأي فإن تعليم اللغة لطفل يحتاج فقط لاكتساب المفردات اللغوية الأساسية (من كلمات، والإضافات النحوية، والتعابير) ولتحديد مواصفات مناسبة، والذي يمكن أن يُبنى على أمثلة رئيسة قليلة .

ويجادل أصحاب هذا الرأي بأن الوقت التي يتعلم فيه الطفل اللغة سريع بنحو غير قابل للتفسير مالم يملك الأطفال قدرة فطرية لتعلم اللغة، كما أن تتبع خطوات مشابهة من قبل الأطفال حول العالم حين يتعلمون اللغة، وحقيقة أن الأطفال يقعون في أخطاء محددة أثناء تعلمهم لغتهم الأولى، في حين أن بعض الأخطاء المنطقية لا تظهر أبداً، كلها من مؤشرات على الفطرية في اكتساب اللغة.

وفي الآونة الأخيرة، حاول "تشومسكي" في برنامجه الإصلاحي – بداية التسعينيات – الحفاظ على مفهوم "المبادئ والوسائط" إجراء بإصلاح جذري "للسانيات الآلية" في نموذجه بـ "محاضرات عن الربط العاملي" متمثلة بالتجرد منها بشكل كلي عدا من العناصر الضرورية على الرغم من دعوته لنهج عام لهندسة كليات اللغة البشرية التي تؤكد على مبادئ الاقتصاد، والتصميم المثالي، والعودة إلى نهج الاشتقاقية، والنهج التوليدي في تناقض مع النهج التمثيلي للمبادئ والوسائط [2].

---

[1] *Dovey Dana, Noam Chomsky's Theory Of Universal Grammar Is Right; It's Hardwired Into Our Brains, Daily Medical Products, United States, 2015, p 07.*

[2] ينظر:

Chomsky Noam, A minimalist program for linguistic theory, Massachusetts institute of technology, USA, 1993, p 25.

Boeckx, Cedric Linguistic Minimalism. Origins, Concepts, Methods and Aims, Oxford University Press, England, 2006, pp 84 and 115.

وكان لأفكار "تشومسكي" تأثير قوي على البحوث المتعلقة باكتساب اللغة عند الأطفال على الرغم من أن الكثير من الباحثين في هذا المجال عارضوا بشدة نظرياته مثل "اليزابيث بيتس" "*Elizabeth Bates*"، و"مايكل توماسيلو" "*Michael Tomasello*" [1]، حيث بدلاً من ذلك دعوا إلى نظريات التوالد، أو الاتصالية، والتي تقوم على شرح اللغة من خلال عدد من الآليات في الدماغ التي تتفاعل مع البيئة الاجتماعية الواسعة، والمعقدة التي تُستخدم فيها اللغة وتُعلم .

ومن أشهر أعماله في "علم الصوتيات الصرفية" هو "نمط الأصوات في اللغة الإنجليزية" "*The Sound Pattern of English*" 1968 [2] والذي كتبه مع "موريس هالي" "*Morris Halle*" [3] وكان لهذا العمل أهمية عظيمة في تطوير هذا المجال، وعلى الرغم من أن نظرية علم الصوتيات قد تجاوزت "علم نمط الأصوات في اللغة الإنجليزية" في عدة جوانب مهمة، فإن علم نمط الأصوات يعد الرائد في بعض نظريات الصوتيات الصرفية المؤثرة اليوم بما في ذلك الصوتيات الصرفية ذات المستويات المستقلة، والصوتيات الصرفية المختصة بالمفردات، والنظرية المثالية، ولم يصدر بعدها "تشومسكي" عملاً آخر حول "علم الصوتيات الصرفية".

أفكاره في مجال "النحو العالمي" "*Grammaire universelle*":

منذ الستينيات من القرن الماضي، أكد "تشومسكي" أن المعرفة النحوية متأصلة جزئيًا على الأقل، مما يعني ضمناً أن الأطفال يحتاجون فقط إلى تعلم ميزات معينة خاصة باللغة بلغاتهم الأم "*Langue maternelle*"، ويستند في حجته

---

[1] ينظر:

Tomasello Michael, Language is not an instinct, Cognitive Development, 1995, p 131/156.
Elizabeth Bates, Jeffrey Elman, Mark H. Johnson, Annette Karmiloff-Smith, Domenico Parisi and Kim Plunkett, Rethinking innateness: A connectionist perspective on development, MA: MIT Press, Cambridge, 1996.

[2] يشار إلى هذا الكتاب كثيرًا باسم "SPE" عن علم الأصوات من تأليف "نعوم تشومسكي" و"موريس هالي" يقدم وجهة نظر علم الأصوات في اللغة الإنجليزية ، وكان له تأثير كبير في كل من مجال علم الأصوات، وفي تحليل اللغة الإنجليزية، يقدم "تشومسكي" و"هالي" وجهة نظر لعلم الأصوات كنظام فرعي لغوي، منفصل عن المكونات الأخرى للقواعد، والذي يحول تسلسلًا صوتيًا أساسيًا وفقًا للقواعد، وينتج كمخرجاته الشكل الصوتي الذي ينطق به المتحدث، تتلاءم النظرية مع بقية نظريات "تشومسكي" المبكرة للغة بمعنى أنها تحويلية، على هذا النحو، فهو بمثابة علامة بارزة في نظريات "تشومسكي" من خلال إضافة نظرية واضحة لعلم الأصوات إلى عمله السابق الذي ركز على بناء الجملة.

[3] "موريس هالي" (1923–2018) لغوي أمريكي حمل لقب "أستاذ معهد"؛ وذلك حين كان أستاذاً للغويات في "معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا"، قبل أن يمنح لقب "أستاذ فخري"، وقد اشتُهر من خلال عمله الرائد مع "نعوم تشومسكي" و "فريد لوكوف" "*Fred Lukoff*" في مجال "الصوتيات التوليدية" عام 1956، وكذلك كتاب "النمط الصوتي في الإنجليزية" الذي تشارك فيه مع "نعوم تشومسكي" وفي عام 1968 تعاون مع "صامويل جاي كيسر" "*Samuel Jay Keyser*" في وضع النظرية الأولى للعروض التوليدي في الإنجليزية.

إلى ملاحظات حول "اكتساب اللغة البشرية" "*Acquisition du langage*" [1]، مشيرًا إلى وجود فجوة هائلة بين المحفزات اللغوية التي يتعرض لها الأطفال، و"الكفاءة اللغوية" "*Maîtrise de la langue*" الغنية التي يحققونها.

على سبيل المثال، على الرغم من تعرض الأطفال لمجموعة فرعية صغيرة جدًا، ومحدودة من المتغيرات التركيبية المسموح بها ضمن لغتهم الأولى، فإنهم يكتسبون بطريقة، أو بأخرى القدرة المنظمة، والمنتظمة بدرجة عالية على فهم وإنتاج عدد لا حصر له من الجمل، بما في ذلك الجمل التي لم يسبق لها مثيل من قبل تم النطق بها بتلك اللغة [2].

لشرح هذا، أوضح "تشومسكي" أن البيانات اللغوية الأساسية يجب أن تستكمل بقدرة لغوية فطرية، وعلاوة على ذلك، في حين أن "الطفل البشري"، و"القط الصغير" قادران على التفكير الاستقرائي، إذا تعرضا لنفس البيانات اللغوية بالضبط، فإن الإنسان سوف يكتسب دائمًا القدرة على فهم، وإنتاج اللغة، بينما لن يكتسب "القط الصغير" أيًا من القدرة [3].

وصف "تشومسكي" أيا من القدرات ذات الصلة التي يمتلكها الإنسان بأن "القطة" تفتقر إلى جهاز اكتساب اللغة، واقترح أن تكون إحدى مهام اللغويين هي تحديد ماهية هذا الجهاز، والقيود التي يفرضها على مجموعة اللغات البشرية الممكنة، أو الميزات العالمية التي تنتج عن هذه القيود ستشكل "قواعد عامة"، تحدى العديد من العلماء قواعد اللغة العالمية على أساس عدم إمكانية التطور التطوري لأساسها الوراثي للغة، وعدم وجود خصائص عالمية بين اللغات، والصلة غير المثبتة بين الهياكل الفطرية / العالمية، وهياكل لغات محددة [4].

أفكاره في مجال "النحو التوليدي" "*Grammaire générative*"

يدرس "تشومسكي" النحو بوصفه بنية معرفية يتحكم به مستخدمو اللغة، ومنذ الستينيات أصر "تشومسكي" بأن أغلب هذه المعرفة هي فطرية، بما يؤدي إلى أن الطفل يحتاج فقط لخصائص معينة، ومحدودة من "لغتهم الأم".

يسمى المضمون الفطري للمعرفة اللغوية بالنحو الكلي، ومن وجهة نظر "تشومسكي"، فالإثبات الأقوى لوجود النحو الكلي هو ببساطة حقيقة أن الأطفال يكتسبون لغتهم الأم بنجاح في وقت قصير جداً، وزعم أيضاً بأن هناك ثغرة

---

[1] *Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax, p 45, AND : Dovey Dana, Noam Chomsky's Theory Of Universal Grammar Is Right; It's Hardwired Into Our Brains, p 07.*

[2] *James McGilvray, Chomsky: Language, Mind, Politics, Cambridge, 2014, p 11.*

Fernald Anne, Marchman, Virginia A, Language learning in infancy, In Traxler, Matthew; Gernsbacher, Morton Ann (eds.), Academic Press, 2006, pp. 1027–1071.

[3] *Kees de Bot A History of Applied Linguistics: From 1980 to the Present, 2015, pp. 57–61.*

Pullum, Geoffrey; Scholz, Barbara, Empirical assessment of stimulus poverty arguments, 2002, pp. 9-50.

[4] *Evans, Nicholas; Levinson, Stephen C, The myth of language universals: Language diversity and its importance for cognitive science". Behavioral and Brain Sciences, 2009, p 429.*

ضخمة بين المحفزات اللغوية التي يتعرض لها الأطفال، والمعرفة اللغوية الثرية التي يحرزونها، ولذلك فمعرفة "النحو الكلي" ستسد تلك الفجوة .

وكان لنظريات "تشومسكي" تأثير كبير في مجال اللسانيات، ولكنه تعرض للنقد كذلك، ومن الانتقادات المتكررة لتشومسكي بخصوص التنوع في نظرية "النحو التوليدي" هي أنها بالأصل أوروبية المركز، أو "أنجلو ساسكونية" المركز، فقد كان عمل علماء اللسانيات في مجال "النحو الكلي" مبني على أساس عينة صغيرة من اللغات، وأحياناً قد تكون واحدة، بدايةً كان التمركز الأوروبي واضحاً في التركيز المفرط على دراسة اللغة الإنجليزية، وعلى كل حال فإن المئات من اللغات المختلفة قد حصلت الآن على اهتمام على الأقل من قبل تحليل "تشومسكي" اللغوي [1].

وعلى الرغم من تنوع اللغات التي تم دراستها من قبل اشتقاقات "النحو الكلي" إلا أن النقاد استمروا في الجدال حول أن أساس نظرية "تشومسكي" هي ذات توجه "أنجلو ساكسوني" "*Anglo-Saxons*"، ولن تفلح في تفسير خصائص اللغات التي تختلف بطبيعتها عن اللغة الإنجليزية، ولذلك فقد تم انتقاد نهج "تشومسكي" كشكل من أشكال الاستعمارية اللغوية.

إضافة لذلك، تعتمد "لسانيات تشومسكي" بشكل كبير على فطرة المتحدثين بلغتهم الأم بالخصوص؛ أي: الجمل من لغتهم هي ذات تركيب جيد، وهذه الممارسة انتُقدت على أساس منهجي عام، وعارض بعض علماء النفس وعلماء "**اللسانيات النفسية**" "*Psycholinguistique*" رغم من تعاطفهم مع برنامجه العام – بأن لسانيات "تشومسكي" تولي اهتماماً للمعطيات التجريبية لمعالجة اللغة بالرغم من أن نتائج تلك النظريات ليست مقنعة نفسياً، وتسائل نقاد آخرون في إذا ماكان ضرورياً أن نفترض وجود نحو كلي لشرح اكتساب الأطفال للغة بحجة أن آليات التعلم العامة كافية.

وهناك اليوم فروع مختلفة عديدة "للنحو التوليدي"؛ فباستطاعة الفرد أن يرى الأُطر النحوية مثل نظرية نحو الجملة المبني على الرأس، والنحو الوظيفي المعجمي، والنحو التوفيقي التصنيفي، والذي يعد بشكل عام تشومسكياً وتوليدياً ولكن مع اختلافات كبيرة في التنفيذ.

التسلسل الهرمي "لتشومسكي" "*La hiérarchie de Chomsky*":

يشتهر "تشومسكي" ببحثه حول مختلف أنواع اللغات الصورية، وإذا ما كانت قادرة على التقاط الخصائص الرئيسية للغة البشرية، يصنف تسلسله الهرمي قواعد النحو الشكلي إلى فئات، ومجموعات مع زيادة القوة التعبيرية، فعلى سبيل المثال كل فئة تابعة تستطيع توليد مجموعة أوسع من اللغات الرسمية من التي قبلها، ومن المثير للاهتمام هو قول "تشومسكي" بأن نمذجة بعض جوانب اللغة تتطلب قواعد نحو أكثر تعقيداً –مقياساً على تسلسل "تشومسكي"– من

[1] *Huang, Cheng-Teh James, Logical relations in Chinese and the theory of grammar, MIT PhD dissertation, Massachusetts Institute of Technology, 1982, p 103.*

نمذجة الجوانب الأخرى [1]، فعلى سبيل المثال بينما نعتبر اللغة الاعتيادية قوية لتصيغ قواعد الصرف في اللغة الإنجليزية، إلا أنها ليست قوية كفاية لصياغة نحو اللغة الإنجليزية، إضافة إلى كونها متصلة باللسانيات، فإن تسلسله الهرمي أصبح مهماً في "علم الكمبيوتر" "*Informatique*"، وخصوصاً في "البناء البرمجي" "*Conception de logiciels*"، و"نظرية التشغيل الذاتي" "*Théorie des automates*" [2].

وبالطبع هناك تكافؤ بين تسلسل "تشومسكي" للغة وبين الأنواع المختلفة "لأنظمة التشغيل الذاتي"، ولذا لم يتم التعامل مع نظريات اللغات إما تبعاً لقواعد النحو، أو التشغيل الذاتي، ومن الممكن أن يكون هناك أسلوب بديل للتعامل مع اللغة يعتمد على متسلسلات القوى الشكلية، كما العلاقات بين اللغات، ونصف المجموعات متسلسلات القوى الشكلية شبيهة "لمتسلسلات تايلور" "*Série de Taylor*" الموجودة في "علم الحساب" "*Arithmétique*" [3]؛ وهي مفيدة بشكل خاص للغات حيث تكون فيها الكلمات (كرموز نهائية) تبادلية.

النظرية التحويلية التوليدية عند "تشومسكي"

يعتبر "تشومسكي" مؤسس "النظرية التوليدية التحويلية" التي هي حاليا أكثر النظريات الألسنية انتشارا ليس فقط في الجامعات الأمريكية، إنما أيضا في الجامعات الأوروبية، والتي ترجع النمو اللغوي إلى العوامل العقلية الفطرية، وتعتبر أن مهمة تفسير النشاط اللغوي يجب ألا تقتصر على النظر في ظاهر اللغة "الأداء"، وإنما يعمل على استنباط القواعد التي تكون أساس اللغة– تلك القواعد التي تشكل المعرفة الحقيقية للغة الكفاءة.

وتمكن هذه الكفاءة الفرد من توليد عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة، وكذلك من إخضاع الجمل البسيطة إلى عدد من التحويلات، كما أنها تمنع تكوين جمل غير صحيحة لا يقبلها الناطقون بهذه اللغة، وهذا ما دفع "تشومسكي" إلى التفرقة بين النظرية الظاهرية للغة (الكلام، أو المنطوق اللغوي للفرد كما يسمعه الناس)، وبين البنية العميقة التي تمثل العلاقات المعنوية بين مكونات الجملة، والتي تلزم لفهم الجملة المنطوقة" [4]، ولقد انتقد "تشومسكي"، وأتباعه فرضيات نظرية التعلم في اكتساب اللغة، فلقد وجد عند تحليل التفاعل بين الآباء والأبناء أن الأطفال يمرون بنفس المراحل، ويتعلمون لغتهم الأصلية دون تعلم أبوي رسمي، فالأطفال يرددون أشياء لم يعلمها لهم الكبار مطلقا، وأن كثيرا من الآباء يعززون القواعد النحوية الصحيحة بطريقة إيجابية، أو يصححون الأخطاء اللغوية بطريقة ثابتة، وأشار إلى أن النمذجة،

---

[1] *Benoit Habert, Outiller la linguistique: de l'emprunt de techniques aux rencontres de savoirs, Revue française de linguistique appliquée, 2004, t. 9, n° 1, p 5-24.*

[2] *Martin Davis, Computability complexity and languages: Fundamentals of theoretical computer science, Academic Harcourt Brace, Boston, USA, 1994, p 327.*

[3] *Davis Martin, Weyuker Elaine J, Sigal Ron, Computability, complexity, and languages: fundamentals of theoretical computer science, Academic Press Harcourt, Boston, USA, 1994, p 327.*

[4] هدى محمد قناوي، حسن مصطفي عبد المعطي، علم النفس النمو "الأسس والنظريات"، دار قباء للطبعة والنشر، القاهرة، مصر، 2001 م، ج 02، ص 413.

والتقليد لا تستطيع تفسير جميع مراحل تعلم اللغة، لأن ملاحظة الأطفال تظهر أنهم مختلفة في درجة تقليدهم لما يقوله الآباء.

وقد انتقد "تشومسكي" أيضا فكرة اقتران المثير الشرطي بالاستجابة لوحدات لغوية، "فهو يرفض تفسير القدرة اللغوية تفسيرا آليا، وللغة في نظره ليست في الواقع مجموعة عادات كلامية، وهي مختلفة عن لغة الحيوان، وأنها تتسم بخصائص مميزة، ويرفض كذلك اعتبار عملية الاكتساب في مجال اللغة نتيجة لتأثير البيئة، والوسط المحيط بالطفل" [1].

وتستند نظرية "تشومسكي" على عدة مبادئ أهمها:

أ – اللغة خاصية إنسانية: يرى "تشومسكي" أن مفاهيم المثير، والاستجابة، وتعزيز الاستجابات التي ترتدي بعض المعاني في إجرائها على الحيوان تفقد كل معانيها، ومسوغاتها عندما يتعلق الأمر باللغة الإنسانية، فتصبح هذه المفاهيم مجرد تخيلات وأوهام عادية، فاللغة عند الحيوان مجرد أصوات، أو تنظيم مغلق يحتوي على عدد من الصرخات التي تقترن بالجوع، أو الخوف، وما إلى ذلك في حين أن اللغة الإنسانية تنظيم مفتوح، وخلاق يحتوي على عدد لا متناه من الجمل، والأفكار، والمشاعر، والغايات المتجددة، فمثلا: عندما نقول: لقد آن الأوان لتعديل البرامج الدراسية، والجامعية لتواكب التكنولوجيا المعاصرة، فهذه الجملة تفتح مجموعة لا متناهية من المعاني، والأفكار، وكل متكلم لغته قادر على إنتاج، وعلى تفهم عدد لا متناه من جمل لغته لم يسبق له سماعه من قبل، أو التلفظ به، وتختص هذه الخاصية بالإنسان باعتبار كائن ناطق، وعاقل"[2].

وعندما يتكلم "تشومسكي" عن قدرة الإنسان على إنتاج عدد غير متناه من الجمل، فهو يشير إلى المظهر الإبداعي الخاص باللغة الإنسانية، فالسلوك اللغوي العادي يمتاز بالابتكار، وبالتجدد عبر بناء جمل جديدة، وإقرار بنى جديدة تتلاءم مع المقدرة الإنسانية على استعمال اللغة استعمالا طبيعيا، ومتجددا بعيدا كل البعد عن المفهوم الآلي الذي يتضح عند السلوكيين عندما يعتبرون أن الاستعمال اللغوي لا يتعدى كونه ردود فعل مشروط بعامل المثير" [3].

ب – الميل الفطري لاكتساب اللغة: عارض "تشومسكي" وأتباعه فرضية أن اللغة تكتسب فقط بالتعلم، وصمم على أن الأطفال يولدون، ولديهم ميل للارتقاء اللغوي مثلما يمتلكون القدرة الكامنة على المشي، كما يعتقد أنهم يرثون التركيب البيولوجي لأعمال السمات اللغوية العامة، وهذا التركيب يهيئه نضج الجهاز العصبي المركزي، وقد أطلق "تشومسكي" على المخطط التفصيلي لاكتساب اللغة *The Langage Acquisition Device* (LAD)، وهذه الأداة تعتبر ميكانيزم عقلي "آلية عقلية تجعل الأطفال على قدر من الحساسية للفونيمات الوحدات الصوتية"، والتراكيب اللغوية والمعاني، وهي تحتوي على عموميات لغوية تتألف من قواعد تنطبق على جميع اللغات، فهي تقوم بإعداد معلومات، وتساعد الطفل على تحصيل، وفهم مفردات، وقواعد اللغة المنطوقة، وصرح "تشومسكي" أنه بدون هذه

---

[1] *Noam Chomsky, la langage et la penseé, edition payot,paris, France, 1996, p 46.*

[2] *Jean Paulus, la fonction symbolique et le langage, pierre mardaga, bruxelles, Belgique, 1977, p 19, 20, 21.*

[3] *Noam Chomsky, la langage et la penseé, p 46, 47, 48.*

المقدرة الفطرية لا يستطيع الأطفال فهم الجمل التي يسمعونها، كما أن هذه الأداة تساعد على اكتساب القواعد النحوية التي يمكن الطفل من تفسير، وتكوين الجمل، وكلما نضج العقل يكتسب الأطفال مهارات أكبر في فهم، وإنتاج اللغة" [1].

وحسب ما ذهب إليه "تشومسكي" "فإن أداة اكتساب اللغة LAD تسمح للطفل الصغير أن يستنتج نظام القواعد الأساسية، ويكشف التناسق، والانتظام المجرد في الكلام الذي يسمعه، ويحلل هذه القواعد اللغوية، ويستخدم نتائج هذا التحليل في لغته؛ ويمكننا اعتبار أنه بواسطة هذه الأداة فإن الأطفال يسيرون خلال نفس المراحل في اكتساب اللغة بالرغم من الاختلافات الكبيرة في حصيلتهم، أو لغتهم الفطرية" [2].

"إن أداة اكتساب اللغة تضع في الاعتبار أن الأطفال يقعون في الأخطاء عند قيامهم بعملية الجمع؛ أي: جعل المفرد جمع؛ مثل قولهم: "أغنية" فيجمعونها "أغنانات" بدلا من "أغاني"، ويخطئون كذلك عند التحويل إلى زمن الماضي، أو التحويل إلى صيغة النفي مثل "أنا نمت لا" ويقصدون بها " لم أنم أو لن أنم"، وكلها أشياء لا يمكن أن تكون قد سمعت، أو قلدت" [3].

ولقد بين "لينبرج" "*Eric Heinz Lenneberg*" قبل "تشومسكي" أن هناك محدد بيولوجي فطري "*Déterminé linguistique inné*" للسلوك اللغوي، ويرى أن الكائنات تولد بقدرة لغوية، ولديها استعداد فطري على إنتاج اللغة، وأن اللغة ليست مكتسبة كلها، ولكن بعض منها "غير ولادي" "*non congénital*" فهناك عناصر معينة من اللغة شائعة فيما يبدو، وأضاف أن قدرة الأطفال على تعلم اللغة هي نتيجة "النضج" "*Maturation*"، وتحدث عن الفترة الحرجة لاكتساب اللغة؛ إذ يرى أنه عند الميلاد، في الشهور الأولى المبكرة، فإن النضج يحدد قدرة الطفل على أن يتكلم، وعلى العكس، فعند حوالي 18 شهر إلى سن السنتين، فإن الأطفال ينمون القدرة على الكلام، واستخدام اللغة، فقدراتهم العصبية نضجت لدرجة أن اكتساب اللغة يصبح ممكنا" [4].

ج – عملية اكتساب اللغة والبنى العقلية الفطرية: يؤكد "تشومسكي" باستمرار على أنه لابد لنا لتطوير المفاهيم النظرية لاكتساب اللغة أن نتخلى عن المذاهب التي ترد الاكتساب اللغوي إلى تأثير المحيط على الطفل الذي يكتسب لغة بيئته، لأن ما يلزمنا هو الاعتقاد بأن المعرفة الفطرية بالمبادئ الكلية التي تخضع لها بنى اللغة الإنسانية، والتي يمتلكها الطفل الرضيع، هي التي تقود عملية الاكتساب اللغوي؛ هذه المبادئ هي جزء مما يسمى بالفكر، وهي قائمة في العقل الإنساني بشكل من الأشكال، فوراء اكتساب اللغة قدرة عقلية فطرية قائمة بصورة طبيعية عند الطفل، وتعده لاكتساب اللغة، فالطفل يكتسب في الواقع لغة بيئته خلال مدة زمنية قصيرة نسبيا، ومن خلال تعرضه لجمل هذه اللغة، ويصعب علينا

---

[1] سهير محمد سلامة شاش، اللعب وتنمية اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، 2001 م، ص 58.

[2] *Noam Chomsky, la langage et la penseé, p 48.*

[3] أنس محمد أحمد قاسم، مقدمة في سيكولوجية اللغة، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000 م، ص 61.

[4] *Jacques Cosnier,clefs pour la psychlogie, edition seghers, paris, France, 1973, p 114, 115.*

أن نقول أن اكتسابه اللغة هذا يتم نتيجة عمل تعميمي يقوم به على مجموعة الجمل هذه، فالطفل في الواقع يقوم بعمل ذهني بالغ الأهمية، والتعقيد حين يكتشف بقدراته الخاصة تنظيم القواعد الضمني الكامن في كفاية اللغوية يتيح له تكلم لغته [1].

إن فضل تعلم الطفل اللغة حسب "تشومسكي" يرجع إليه لا إلى بيئته إذ يؤكد على الجوانب التركيبية، أو التشريحية العصبية، والعضلية الموروثة، والتي تسمح للطفل بتحليل المعلومات التي يتسلمها من بيئته، وتمكنه من استخلاص التركيبات القواعدية، أو ابتكارها، وينظر إلى قدرة الطفل على اكتساب اللغة باعتبارها نضج بما هو بيولوجي موروث، ومحدد، ويضيف إلى ذلك أن مسألة دراسة تعلم اللغة أمر ليس بالسهل لأن تناول اللغة برأيه هائلة التعقيد.

وقدم "سلوبين" "*Dan Isaac Slobin*" دليلا مساندا شيقا في أن هذه القدرة على تمثل القواعد العملية اللغوية هي في الواقع جزء من عملية اكتساب اللغة ففي دراسة أجراها على 40 طفلا من ثقافات مختلفة للتعرف على ما إذا كانت هناك استراتيجيات عامة التنمية القواعد التي يستخدمها الأطفال الذين يمثلون أصولا ثقافية متباينة، ووجد أن هناك في الواقع استراتيجيات عامة، أو مبادئ فعالة يستخدمها الأطفال في عديد من اللغات بدون ترصيصها في جمل صريحة [2]، بالإضافة لذلك، فقد حاولت دراسة "بوهانون وستانوفيتش" " *John Bohannon et Laura Stanowicz*" [3] اختبار صحة ادعاء "تشومسكي"، وأنصاره من أن الكبار يهملون أخطاء أبنائهم في اللغة، ولا يوفقون في تصويب أخطائهم اللغوية، وتوصلت إلى أن اكتساب اللغة يتوقف على "التغذية المرجعية" " *Retour d'information*" التي يقوم بها الكبار الذين يصوبون الحالات الخاصة من الأخطاء النحوية، واللفظية، والكبار يفعلون ذلك بتكرار الأخطاء اللغوية، ولكن في صياغة لغوية صحيحة، أو سؤال الطفل لتصحيح ما يقول [4].

ويرى "تشومسكي" أن الأطفال قبل أن يمكنهم القيام بتحويل الجمل إلى أسئلة يكونوا حساسين نحو التركيبات "شبيهة الجمل" "*Phrase Structures*"، وقد اقترحت أبحاث "روجر برون" "*Roger Brown*" أنه بمجرد أن يبدأ الأطفال في وضع ثلاث كلمات أو أكثر معا، فإن وقفاتهم تشير إلى إدراكهم بأن هذه الكلمات يمكن أن تصلح في تركيب وحدات اسمية أكبر، وهو ما يحدث عندما يقول الطفل: "منع.... القبعة الحمراء... على الطاولة"، بدلا من أن ينطق الجملة مباشرة بدون توقف، وعندما يبدأ الأطفال في عمل التحويلات فإنهم يضعون في الاعتبار التكامل بين هذه الوحدات [5].

د – الكفاءة اللغوية الأداء : يذهب "تشومسكي" إلى أن أي فرد يعيش في بيئة لغوية معينة يمكن أن يفهم عددا غير محدود من التعبيرات الواردة بهذه اللغة حتى وإن لم يتعرض لها بصفة مسبقة، غير أن الكفاءة اللغوية تقتضي المعرفة

---

[1] ينظر: محمد السيد عبد الرحمن، نظريات النمو "علم نفس النمو المتقدم"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001 م، ص 281.

[2] سهير محمد سلامة شاش، اللعب وتنمية اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، ص 58.

[3] *Bohannon, J. N., & Stanowicz, L. B., The issue of negative evidence: Adult responses to children's language errors. Developmental Psychology, 1988, p 24.*

[4] سهير محمد سلامة شاش، اللعب وتنمية اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، ص 58.

[5] ينظر: محمد السيد عبد الرحمن، نظريات النمو "علم نفس النمو المتقدم"، ص 282.

المفترضة بالقواعد النحوية، وأن يصبح باستطاعة الفرد القيام بعدد كبير من التوليدات، والتحويلات التراكيب لغوية تدل على معنى واحد، وأن يتمكن من تحويل أي صيغة لغوية إلى صيغ أخرى كأي يحول صيغة الخبر إلى الاستفهام، أو النفي، أو المبني المجهول [1]؛ فالكفاءة اللغوية الموجودة في ذهن البشري ترجع إلى المعرفة اللغوية المتفق عليها بين المتكلم والمستمع؛ هذه الكفاءة غير مدركة بل ليست ملاحظة أيضا، أو يمكن قياسها، ومعرفتها، فلكي يتمكن عالم اللسانيات البنيوي وصف هذه الكفاءة فإن عليه أن يعتمد على الأداء اللغوي الذي يرجع إلى الاستعمال الحقيقي، والفعلي للغة.

والواقع أن الأداء اللغوي يعكس الكفاءة اللغوية التي هي الهدف الأول من التحليل اللساني الذي هو بطبيعته تحليل استقرائي تجريبي يعتمد على التحقيق، والدقة، والثتبث اللغوي، وهكذا فإن على عالم اللسانيات أن بدأ بدراسة الأداء اللغوي الذي هو نطق صوتي لمواد لغوية مختلفة [2].

ولقد أشار "جورملي" "*Gormly*" إلى أن الأبحاث العلمية ومنها دراسة ليبنرج " *Eric Heinz Lenneberg*" قد أيدت ما أطلق عليه "تشومسكي" القدرة الفطرية لاكتساب اللغة حيث افترض بأن تطور اللغة يسير سيرا متوازيا مع "التغيرات العصبية" "*Changements neurologiques*" التي تحدث كنتيجة للنضج، وهو يشير إلى حقيقة وهي أن الأطفال في جميع الثقافات يتعلمون اللغة تقريبا في نفس العمر، ويرتكبون نفس الأخطاء في التعبير بلغتهم، كما يشير إلى حدوث تغيرات في منظومة العقل في سن الثالثة مما يساعد الأطفال في قدرتهم على فهم اللغة والتعبير بها، وهذه السرعة التي يتمكن بها الأطفال من لغتهم بين 2-3 سنوات يصعب تفسيرها دون الرجوع إلى التغيرات التي تطرأ على القدرة العصبية كلية لاكتساب اللغة [3].

هـ – العمليات اللغوية: يشير هذا المصطلح إلى أن دراسة اللغات البشرية تشترك في بعض المظاهر الأساسية كما يلي:

1. أن كافة اللغات لها مجموعة صوتية محدودة (تتمثل في الحروف الساكنة، أو الصوامت، والصوائت) يشتق منها أعدادا كبيرة من الأصوات الكلية (تتمثل في المورفيمات، أو الكلمات، أو الجمل).
2. تشترك اللغات الإنسانية في أن لها تقريبا نفس العلاقات النحوية التي تشير إلى وظائف المفردات اللغوية؛ مثل: أن تكون بعض الكلمات في موقع صفة، أو في موقع فاعل، أو تكون في موقع مفعول كأن نقول في اللغة العربية: "أكل الولد السمك"، أو "أكل السمك الولد" فهناك تختلف المعنى في الجملتين.
3. أن الأطفال يمرون بنفس المراحل بغض النظر عن اللغة يتحدثونها مع تقدم أعمارهم (مثل: مرحلة الأصوات قبل اللغوية، فمرحلة الكلمات الخاصة، فمرحلة الكلمة الواحدة، فمرحلة الكلمتين...).
4. أن ما نعرفه من لغات البشر يمكن أن نحصر تراكيبها الأصولية في ثلاث نظم رئيسية هي: فاعل، فعل، مفعول به، أو فعل فاعل مفعول به.

---

[1] *Marie Louise et Mark Richelle, l'acquisition du langage, MARAGA, université liége, bruxelles, Belgique, 1997, p 13,14.*

[2] مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلا س للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا، 1988 م، ص 73.

[3] سهير محمد سلامة شاش، اللعب وتنمية اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، ص 58.

فقدرات تعلم اللغة أمر مرتبط بالإنسان وبالإنسان فقط، وتبعا لهذه المظاهر الأساسية التي تشترك فيها اللغات البشرية فإن الطفل يستطيع اكتساب أية لغة إنسانية بدون أي تمييز [1].

و. البنية السطحية والبنية العميقة "*Structure de surface et profonde*": يهدف هذا المبدأ إلى تقسيم التركيب اللغوي بين بنية ظاهرة تتمثل في الصورة الكلامية التي ينطق بها المتكلم، وبنية تحتية تتمثل في الجملة الأصولية، أو اللبنية التي تكون لبناتها الأساسية، فنقول أن البنية العميقة: "أصلح النجار الطاولة" يمكن أن نعبر عنها في بني سطحية مختلفة مثل: "الطاولة أصلحها النجار"، النجار أصلح الطاولة"، الذي أصلح الطاولة هو النجار..." فعلى المستوى السطحي فإن هذه الجمل لها نفس التركيب من الفعل الفاعل، والمفعول، الصفة، أو الحال، ولكن من البديهي أن ندرك أن المعنى المتضمن في كل جمل لا يختلف فيما بينها، وبهذا نقول أن كل جملة لها تراكيب بنائية متعمقة مختلفة، ورغم اختلاف البنى السطحية إلا أنها جميعا تتفق في بنية عميقة واحدة، وقد تتطابق البنية السطحية مع البنية العميقة، وهو ما نراه غالبا على تعبيرات الأطفال حين تنتظم الكلمات في الجملة، أو المنطوق اللغوي على أساس تلقائي يحقق البنية العميقة، ويأتي مطابقا لها، وعلى هذا فإن التركيب الظاهري، أو البنية السطحية تمثل البنية العميقة، ولكن البنية العميقة هي التي تحتوي على الدلالة الحقيقية للجملة [2].

وفي هذا الشأن يقال: "على الرغم من أن قواعد عمل التحويلات اللغوية معقدة الغاية، فإن الأطفال يحققون تقدما واضحا نحو إجادة هذه التحولات قبل الخامسة، أو السادسة من العمر، ويبدعون الأطفال يكتشفون التركيب المتعمق للغتهم أولا، ثم يأخذون مسارهم لإجادة عملية التحويل بعد ذلك، ولا يعني ذلك أن الأطفال واعيين، ومدركين لقواعد التحويل" [3].

وفي رأي تشومسكي هناك بناءان: العميق والسطحي: فالبناء العميق قد ترجم إلى بناء سطحي بواسطة تطبيق مجموعة من القواعد، وهذه القواعد تسمى "قواعد تحويلية" "*Règles de transformation*"، وبناء على ما يذهب إليه "تشومسكي" فقد ترك، وأتباعه العديد من الأسئلة المثارة دون محاولة التصدي للإجابة عليها حول كيفية تعلم اللغة؛ فالفكرة القائلة بأن الأطفال يجردون نظام نحوي توليدي تساعدنا على فهم النمو السريع للتركيب، إلا أنها لا تولي اهتماما كبيرا لنمو "السيمانتيك" "*Sémantique*"؛ أي: تطور معاني المفاهيم، وينظر كثير من العلماء إلى ذلك باعتباره نقصا أساسي في النظرية، كذلك من الصعب أن نعرف شيئا عن وسيلة اكتساب اللغة التي يدعيها "تشومسكي" فهو لم يبرهن، ولم يفعل ذلك أحدا، على أن المخ يحتوي بالفعل على هذه الآلة اللغوية الخاصة، وذلك يمثل نقصا عاما في الدعم التجريبي لهذه النظرية، وبالتالي فإن وسيلة اكتساب اللغة هي بناء فرضي مفيد، ولكن خصائص هذه الوسيلة، وكيفية عملها بالضبط تظل غير واضحة" [4].

---

[1] هدى محمد قناوي، حسن مصطفي عبد المعطي، علم النفس النمو "الأسس والنظريات"، ج 02، ص 418.

[2] سهير محمد سلامة شاش، اللعب وتنمية اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، ص 59.

[3] محمد السيد عبد الرحمن، نظريات النمو "علم نفس النمو المتقدم"، ص 284.

[4] أنس محمد أحمد قاسم، مقدمة في سيكولوجية اللغة، ص 65.

وهكذا فإن "تشومسكي" يرى أن كل لغة طبيعية تتكون من عد محدود من الأصوات وغير محدود من الأحرف في أبجديتها على افتراض أن كتابتها تتبع النظام الأبجدي، كما أنه يعتقد أن كل جملة من الجمل يمكن تمثيلها بسلسلة متعاقبة من الأصوات، ومن مهام عالم اللغة لدي وصفه لغة ما، أن يقرر أيا من هذه السلاسل المتعاقبة محدودة العناصر تشكل جملا، وأيا منها لا تشكل جملا [1]، كما على أن يبين إذا استطاع إلي ذلك سبيلا الخصائص البنيوية التي تتمتع بها نظمها الصوتية، والنحوية، والدلالية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أنس محمد أحمد قاسم، مقدمة في سيكولوجية اللغة، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000 م.
2. تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزير، مراجعة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ط 01، 1987 م.
3. تشومسكي، المعرفة اللّغوية طبيعتها وأصولها واستخداماتها، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 01، 1993م.
4. سهير محمد سلامة شاش، اللعب وتنمية اللغة لدى الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، 2001م.
5. شحذة فارع وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006 م.
6. عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 01، 1986م.
7. مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلا س للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1988 م.
8. محمد السيد عبد الرحمن، نظريات النمو "علم نفس النمو المتقدم"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001 م.
9. ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللّغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1986م.
10. هدى محمد قناوي، حسن مصطفي عبد المعطي، علم النفس النمو "الأسس والنظريات"، دار قباء للطبعة والنشر، القاهرة، مصر، 2001م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Benoit Habert, Outiller la linguistique: de l'emprunt de techniques aux rencontres de savoirs, Revue française de linguistique appliquée, 2004.*
2. *Boeckx, Cedric Linguistic Minimalism. Origins, Concepts, Methods and Aims, Oxford University Press, England, 2006.*

[1] شحذة فارع وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006 م، ص14، 15.

3. *Bohannon, J. N., & Stanowicz, L. B., The issue of negative evidence: Adult responses to children's language errors. Developmental Psychology, 1988.*
4. *Davis Martin, Weyuker Elaine J, Sigal Ron, Computability, complexity, and languages: fundamentals of theoretical computer science, Academic Press Harcourt, Boston, USA, 1994.*
5. *Dovey Dana, Noam Chomsky's Theory Of Universal Grammar Is Right; It's Hardwired Into Our Brains, Daily Medical Products, United States, 2015.*
6. *Elizabeth Bates, Jeffrey Elman, Mark H. Johnson, Annette Karmiloff-Smith, Domenico Parisi and Kim Plunkett, Rethinking innateness: A connectionist perspective on development, MA: MIT Press, Cambridge, 1996.*
7. *Evans, Nicholas; Levinson, Stephen C, The myth of language universals: Language diversity and its importance for cognitive science". Behavioral and Brain Sciences, 2009.*
8. *Fernald Anne, Marchman, Virginia A, Language learning in infancy, In Traxler, Matthew; Gernsbacher, Morton Ann (eds.), Academic Press, 2006.*
9. *Huang, Cheng-Teh James, Logical relations in Chinese and the theory of grammar, MIT PhD dissertation, Massachusetts Institute of Technology, 1982.*
10. *Jacques Cosnier,clefs pour la psychlogie, edition seghers, paris, France, 1973.*
11. *James McGilvray, Chomsky: Language, Mind, Politics, Cambridge, 2014.*
12. *Jean Paulus, la fonction symbolique et le langage, pierre mardaga, bruxelles, Belgique, 1977.*
13. *Kees de Bot A History of Applied Linguistics: From 1980 to the Present, 2015.*
14. *Marie Louise et Mark Richelle, l'acquisition du langage, MARAGA, université liége, bruxelles, Belgique, 1997.*
15. *Martin Davis, Computability complexity and languages: Fundamentals of theoretical computer science, Academic Harcourt Brace, Boston, USA, 1994.*
16. *Noam Chomsky, A minimalist program for linguistic theory, Massachusetts institute of technology, USA, 1993.*
17. *Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax, p 45, AND : Dovey Dana, Noam Chomsky's Theory Of Universal Grammar Is Right; It's Hardwired Into Our Brains.*
18. *Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax, the M.I.T Press, Massachusetts institute of technology, USA, 1980.*
19. *Noam Chomsky, la langage et la penseé, edition payot,paris, France, 1996.*
20. *Noam Chomsky, La Linguistique Cartésienne un Chapitre de L'histoire de la Pensée Rationaliste, Ed. du Seuil, paris, France, 1969.*
21. *Pullum, Geoffrey; Scholz, Barbara, Empirical assessment of stimulus poverty arguments, 2002.*
22. *Robert Henry Robins, Brève Histoire de la Linguistique de Platon a Chomsky, traduit de l'anglais par: Maurice borel, éditions du seuil, Paris, France, 1976.*
23. *Tomasello Michael, Language is not an instinct, Cognitive Development, 1995.*

المحاضرة الحادية عشرة

المدرسة التوليدية التحويلية 2

توطئة:

يعتبر "تشومسكي" موضوع علم اللّغة هو إنسان "متكّلم – مستمع" "*locuteur- auditeur*" مثالي ينتمي إلى بيئة لغوية متجانسة تماما، ولديه معرفة جيدة للغته؛ فالمتكلم له قدرة على توليد، أو إنتاج جمل اللّغة، وفهمها، وله معرفة ضمنية بلُغته تمكنه من ذلك، تُسمى هذه المعرفة الضمنية "كفاية" "*competence*" أما استعمال هذه المعرفة في إنتاج، وتفهم جمل اللّغة في مختلف السياقات فيسمى "بالأداء الكلامي" "*performance*" [1]؛ فالكفاية إذن هي المخزون الذهني الذي يمتلكه المتكلم، والمتعلق بنظام لغته، والذي يتحكم في سلوكه اللّغوي المتجسد في الأداء، وإذا كان "تشومسكي" قد بدأ أعماله بالتنكر للمعنى؛ وكذا أنصار مذهبه المبكرون الذين اعتبروا المعجم جزءاً من النحو؛ وأعطوا أهمية ضئيلة لمعاني الكلمات والجمل؛ بل أهمل التركيبيون الأمريكيون المتأثرون "ببلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*" السلوكي دراسة المعجم لأنّها في نظرهم تعالج مفردات توصف بأنها غير تركيبية أو على الأقل يبدو التسيّب في تركيبها [2]، ومع ذلك، فإنَّ هذا التحليل، يندرج في إطار النحو التوليدي كما حدّده "تشومسكي"، وهو توسيع في آفاق الدراسة التركيبية مع إعطاء الاعتبار للجانب الدلالي؛ أي: إنه يضيف إلى الجملة ووصفها البنيوي القراءة الدلالية [3].

وعلى هذا النهج سار أتباع وتلاميذ "نعوم تشومسكي" ويعد "جيرولد كاتز" "*Jerrold Katz*"، و"جيروم فودور" "*Jerome Alan Fodor*" من أهم تلاميذ "تشومسكي"، ويصنفهم البعض على أنهم رائدي التحليل التكويني، والسيميائي، حيث قاما ببحث شهير في 1963، بعنوان "بنية نظرية علم الدلالة"،" *The structure of semantic theory*"، الذي ظهر بعد كتاب "تشومسكي""البنى التركيبية"، أو "البنى النحوية" " *Structures sytaxiques*"، المطبوع في 1957، وقبل كتابه "*Aspects*" المنشور في 1965.

ونجدهما أدمجا استناداً إلى نظرية "تشومسكي" التوليدية "نظرية السياق" "*context theory*" التي تطوّرت في بريطانيا ابتداءً من سنة 1944، وكذلك نظرية الحقول الدلالية كقوّتين متفاعلتين، وقاما بتحليل تكويني لعدد من الكلمات المتقاربة المعنى كالكلمات التي تشير إلى القرابة، أو إلى الألوان، وذلك من خلال السياقات التي ترد فيه هذه الكلمات [4]، وأكدا أنَّ إقصاء المعجم أثناء تحليل البنية العميقة في القواعد التوليدية التحويلية يؤدّي إلى إنتاج جمل غير صحيحة؛ إذ ليس ما يمنع صدور الجملة التالية: "شرب الحليب الولد"، "في حالة رفع الحليب" [5]، لأنَّ التلاؤم الدلالي بين

---

[1] *Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax, the M.I.T Press, Massachusetts institute of technology, USA, 1980, preface p 04.*

[2] ينظر: موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1982 م، ص 34، وينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 05، 1998 م، ص 82.

[3] *Voir, C.Fuchs et Le Goffic, Initiation aux méthodes des linguistiques contemporaines, Hachette, paris, France, 1975, p 71.*

[4] ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م، ص 189.

[5] ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ، اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996 م، ص 307.

الدلالات قد ينعدم في بعض التراكيب، ولذا نحصل على جمل غير أصولية، أو غير خاضعة إلى القاعدة النحوية، فلا يتناسب فيها الإسناد، كما أنّها لا تكون مطابقة للواقع [1].

"جيروم فودور" "*Jerome Alan Fodor*"

"جيروم آلان فودور"، من مواليد 22 أبريل 1935 في "نيويورك"، هو فيلسوف أمريكي، وأحد الممثلين الرئيسيين "للوظيفية" "*fonctionnalisme*"، في "فلسفة العقل" "*philosophie de l'esprit*"، وأحد مؤسسي "النظرية الحسابية للعقل" "*théorie computationnelle de l'esprit*"، وهو مؤلف مؤلفات مهمة في العلوم المعرفية حول "فرضية نمطية العقل" "*modularité de l'esprit*" [2]، و"لغة الفكر" "*langage de la pensée*"، وهو معروف أيضًا بحججه في "نظرية المعرفة" "*épistémologie*" ضد "الاختزالية" "*réductionnisme*" [3].

تحديد نموذج العقل الذي دافع عنه "فودور" أصبح النظرية المرجعية للعديد من المؤلفين أمثال "دانيال دينيت" "*Daniel Dennett*"، أو "فرانسيسكو فاريلا" "*Francisco Varela*"، وكان هذا النموذج في بصر "جون سيرل" "*John Searle* " في تجربته الفكرية الصينية المشهورة "*Chambre chinoise*" [4].

تخرج "جيري فودور" من "جامعة كولومبيا" "*l'université Columbia*" عام 1956، وأكمل الدكتوراه في الفلسفة من "جامعة برينستون" "*l'université de Princeton*" عام 1960 تحت إشراف "هيلاري بوتنام" "*Hilary Putnam*"، ومن عام 1959 إلى عام 1986، كان "فودور" عضوًا في "معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا"، ومن عام 1986 إلى عام 1988 ، كان أستاذًا في "جامعة مدينة نيويورك" " *l'université de la ville de New*

---

[1] ينظر: عادل فاخوري، اللسانية التوليدية التحويلية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 02، 1988 م، ص 56.

[2] نمطية العقل هي فكرة أن العقل قد يتألف، على الأقل جزئيًا، من بُنى عصبية فطرية، أو وحدات لها وظائف متقدمة تطورية ثابتة، تم اقتراح تعريفات مختلفة نوعًا ما لـ "الوحدة النمطية" من قبل علماء مختلفين، ولعل "فودور" أعاد فكرة نمطية العقل على الرغم من أنه لم يكن هناك فكرة عن قابلية التعيين البدني الدقيقة، وبالاعتماد على فكرة "نعوم تشومسكي" عن جهاز اكتساب اللغة وغيرها من الأعمال في اللغويات، وكذلك من فلسفة العقل، والآثار المترتبة على الأوهام البصرية، أصبح من المؤيدين الرئيسيين للفكرة من خلال نشر نمطية العقل عام 1983، وفقًا لـ "فودور" تقع الوحدة في مكان ما بين الآراء السلوكية، والمعرفية للعمليات ذات المستوى الأدنى.

[3] الاختزالية وتعني كيفية فهم طبيعة الأشياء المعقدة عن طريق اختزالها إلى تفاعلاتٍ من أجزائها، أو إلى أشياء أكثر بساطةً أو أشياء أكثر أساسية، وأنه يمكن اختزال أي جزء منه إلى أجزاء تتألف من مُقوّمات أساسية فردية، ويُمكن أن يُقال هذا على الأشياء، والظواهر، والتفسيرات، والنظريات، والمعاني.

[4] الغرفة الصينية هي اسم تجربة فكرية صاغها الفيلسوف "جون سيرل" من أجل تحدي الادعاء القائل بأن حاسوبًا قادر على تشغيل برنامج سيكون قادراً على أن يكون لديه "عقل"، أو "وعي" وذلك بشكل مشابه كما يقوم به الإنسان عندما يستخدم البرنامج المناسب، والغاية من هذه التجربة هو تفنيد الآراء الداعمة لمفهوم "الذكاء الاصطناعي القوي"، كما سماه "سيرل" "*strong AI*": "وهو جهاز كمبيوتر مبرمج بشكل مناسب بالمدخلات، والمخرجات الصحيحة، والذي سيمتلك عقلاً كما هو الحال لدى بني البشر، مفاد "تجربة الغرفة الصينية" أن "الذكاء الاصطناعي القوي" غير ممكن الوجود.

York "CUNY"، ويعمل منذ عام 1988 أستاذًا للفلسفة، والعلوم المعرفية في "جامعة روتجرز" " *l'université Rutgers*" في "نيوجيرسي" "*New Jersey*".

تعاون "فودور" في وقت مبكر من حياته المهنية مع "نعوم تشومسكي"، واستخدم عمله في اللغة لتطوير نظريته الخاصة في العقل، ففي عام 1975 نشر كتابه "لغة الفكر" "*The Langage of Thought*"، والذي كان علامة فارقة في تاريخ العلوم المعرفية، فمنذ الستينيات كان "فودور" يدافع عن برنامج وظيفي في فلسفة العقل، والعلوم المعرفية، توجد الحالات العقلية بطريقة غير قابلة للاختزال "ضد السلوكية، أو الإقصائية"، ويتم تحديدها من خلال دورها الوظيفي، ففي كتابه "لغة الفكر" وضع الأطروحة من أجل تحليل التمثيلات العقلية للغة؛ فبنية لغة الفكر هذه مثل بناء جملة القواعد العامة حسب "نعوم تشومسكي" هي في الواقع فطرية، واما نظريته حول "نمطية العقل" " *Modularité de l'esprit*" فهو يعرض الفرضية التي بموجبها يمتلك العقل بنية ذات وحدات متخصصة، وأن الوحدة الحسية معزولة عن المفاهيم، حصل "جيروم فودور" من خلال هذه النظريات على جائزة "جان نيكود الأولى" "*prix Jean-Nicod*" [1] عام 1993، توفي "جيروم آلان فودور" في نيويورك في 29 نوفمبر 2017 عن عمر ناهز 82 سنة، ومن أهم مؤلفاته:

2014, Minds without meanings: an essay on the contents of concepts, with Zenon W. Pylyshyn.
2010, What Darwin Got Wrong, with Massimo Piattelli-Palmarini.
2008, The Language of Thought Revisited.
2003, Hume Variations.
2002, The Compositionality Papers .
2000, The Mind Doesn't Work That Way: The Scope and Limits of Computational Psychology.
1998, In Critical Condition.
1998, Concepts: Where Cognitive Science Went Wrong.
1994, The Elm and the Expert, Mentalese and its Semantics.
1993, Holism: A Consumer Update, (éd. avec E. Lepore).
1992, Holism: A Shopper's Guide, (avec E. Lepore).
1990, A Theory of Content and Other Essays.
1987, Psychosemantics: The Problem of Meaning in the Philosophy of Mind.
1983, The Modularity of Mind: An Essay on Faculty Psychology.
1979, Representations: Essays on the Foundations of Cognitive Science.
1975, The Language of Thought.
1974, The Psychology of Language, avec T. Bever et M. Garrett, McGraw Hill.
1968, Psychological Explanation.
1964, The Structure of Language, avec Jerrold Katz.

لغة الفكر "جيروم آلان فودور"

يقدم "فودور" مفهومًا للعقل في كتابه "لغة الفكر" مستوحى إلى حد كبير من عمل الكمبيوتر، فيكون بذلك الفكر بالنسبة للعقل هو ما هو "برنامج الكمبيوتر" "*programme informatique*"، ويفترض "فودور" وجود التمثيلات

[1] تُمنح "جائزة جان نيكود" كل عام في "باريس" لأفضل البحوث الفلسفية التي تتعلق بالإدراك.

العقلية التي يشير محتواها إلى كيانات خارجية، ويعتبر العمليات المعرفية عمليات على هذه التمثيلات، على المستوى المادي هذه التمثيلات هي تأثيرات البيئة على الكائن الحي، لكن الوصف المادي البحت للعقل لا يمكن أن يفسر وظائفه المعرفية، ومن ثم فإن "فودور" يتبنى مفهوم العقل فيما يتعلق بعلوم المعلومات مما يجعل من الممكن وصفًا علميًا صارمًا، ولكن ليس مختزلًا للعمليات المعرفية.

يحول هذا المفهوم التمثيلات العادية (المطر، الرجل، الشمس) إلى مفردات مجردة تتكون من رموز أو "تمثيلات" "*représentations*" تُجرى عليها العمليات "الحسابات" "*computations*"، وتخضع هذه العمليات العقلية لقواعد رسمية، أو نحوية يمكن وصفها بدقة، وشاملة، هذه القواعد هي التي تحدد الطريقة التي سيتم بها ربط التمثيلات مع بعضها البعض، كما هو الحال مع جهاز كمبيوتر يحدد برنامجه من خلال "الخوارزميات" "*algorithmes*" الطريقة التي تتحد بها الرموز مع بعضها البعض أثناء تنفيذ البرنامج، كل هذه القواعد الرسمية تشكل "لغة الفكر" في سياق هذه اللغة، أفكار مثل: "إذا تراكمت الغيوم ، فسوف تمطر"، سيتم تحويلها إلى مقترحات رسمية من النوع" إذا كان "أ" فإذن هو "ب" "ب → أ"، "*si p alors q*" (p → q) من خلال هذه الأنواع من المقترحات، يمكن للبرنامج إجراء عمليات معقدة استجابةً لإجراءات معينة يتم إجراؤها على الجهاز، وبالمثل، فإن لغة الفكر تمكن الإنسان من الاستجابة بشكل مناسب لأفعال، أو محفزات معينة عند التفاعل مع البيئة.

لذلك يعتبر "فودور" عمليات العقل عمليات "منطقية – رياضية" "*logico-mathématiques*" يتم إجراؤها على الرموز، يمكن وصف التفكير رسميًا بأنه تلاعب بهذه الرموز باتباع برنامج معقد يتم تنفيذه في وسط مادي – دماغ، أو آلة، هذا هو ما يسمى "بالأطروحة الحاسوبية للعقل" "*computationnaliste*" [1]، على عكس المادية الاختزالية، فإن الحوسبة ترفض إمكانية اختزال الفكر إلى العمليات الوحيدة للدماغ، وتتصور أنه يمكن أن يكون هناك العديد من الدعامات المادية للعمليات العقلية، خاصة في سياق الذكاء الاصطناعي، ومن ثم يمكن فصل تحليل العقل عن تحليل دعمه المادي، بالنسبة "لفودور" فإن دور "العلم المعرفي" "*sciences cognitives*"، الذي يميزه بوضوح عن دور "علم الأعصاب" "*Neurosciences*" الذي يدرس الدماغ، هو توضيح طريقة عمل الفكر باللجوء إلى التحليل النحوي للإنتاج العقلي بشكل مستقل عن أي اعتبار للدماغ.

نمطية العقل "*La modularité de l'esprit*" عند "فودور"

نشر "فودور" كتابه "نمطية العقل" "*La modularité de l'esprit*"، وعمل في هذا الكتاب على تحديث الفكرة القديمة عن "الكليات العقلية"؛ فهو يرى أن العقل لن يعمل كوحدة واحدة، ولكن كنظام منعزل إلى حد كبير حيث يتم التعامل مع المعلومات بشكل منفصل، ففي هذه النظرية النمطية للعقل ، تعد "الصوامع المعلوماتية"

[1] النظرية الحاسوبية للعقل في الفلسفة هي وجهة نظر تبني آرائها على أن العقل البشري، أو الدماغ البشري (أو كلاهما)، عبارة عن معالج معلومات، وأن التفكير هو شكل من أشكال الحوسبة، وضعت النظرية في شكلها الحديث من قبل الفيلسوف "هيلاري بوتنام"، ثم طوّرها "جيروم فودور" في كتاباته بين ستينات وثمانينات القرن العشرين، يمكن التعبير عن هذه النظرية بأنها تصور الدماغ على أنه كمبيوتر (حاسوب)، وأن العقل هو نتيجة للبرنامج الذي يشغّله الدماغ؛ أي: بشكل يتوافق مع النظرية الحسابية.

"*cloisonnement informationnel*" "أهم جانب من جوانب النمطية" [1] بل وجوهرها أيضا، إن "فودور" يميز أنظمة معالجة المعلومات المحيطية التي تنفذ جميع عملياتنا العقلية التلقائية، وغير الواعية، وبذلك تتم معالجة المعلومات من البيئة بواسطة نفسية الإنسان كجزء من هذه الأنظمة المتخصصة، كل منها مخصص لنوع معين من العمليات، مثل اللغة، أو الإدراك البصري، وتتم معالجة جميع المعلومات أولاً بطريقة مجزأة قبل أن تتقارب جزئيًا في النظام المركزي.

"الوظيفية" "*Fonctionnalisme*" عند "فودور"

خلال الستينيات حاول العديد من الفلاسفة مثل "دونالد ديفيدسون" "*Donald Davidson*"، و"هيلاري بوتنام" "*Hilary Putnam*"، و"فودور" حل لغز تطوير طريقة للحفاظ على الفعالية التفسيرية للسببية العقلية، وما يسمى بـ "علم النفس الشعبي" "*psychologie populaire*" مع التمسك برؤية مادية للعالم، التي لا تنتهك "عمومية الفيزياء" كان اقتراحهم أولاً وقبل كل شيء رفض النظريات السائدة في فلسفة العقل: "السلوكية" "*Béhaviorisme*"، و"نظرية هوية العقل" "*Théorie de l'identité esprit-cerveau*" [2]؛ إذ تكمن مشكلة السلوكية المنطقية في أنها فشلت في تفسير السببية بين الحالات العقلية، ويبدو أن هذه السببية ضرورية للتفسير النفسي، خاصة إذا اعتبر المرء أن السلوك ليس نتيجة لحدث أو سبب عقلي واحد، ولكنه بالأحرى تأثير سلسلة من الأحداث أو الأسباب العقلية، ومن ناحية أخرى فشلت "نظرية هوية العقل" في تفسير حقيقة أن الأنظمة الفيزيائية المختلفة جذريًا يمكن أن تجد نفسها في الحالة العقلية المتطابقة، إلى جانب كونها ذات مركزية بشرية بعمق "لماذا يجب أن يكون البشر الكائنات الحية الوحيدة في الكون؟"؛ إذ فشلت هذه النظرية أيضًا في التعامل مع الأدلة المتراكمة في "علم الأعصاب" على أن كل دماغ بشري يختلف عن الآخرين، ومن ثم ، فإن استحالة الإشارة إلى الحالات العقلية الشائعة في الأنظمة الفيزيائية المختلفة تتجلى ليس فقط بين الأنواع المختلفة، ولكن أيضًا بين الكائنات الحية من نفس النوع.

ومن بين أهم الأعمال "لفودور" تلك التي شارك عالم اللغويات البيولوجية "ماسيمو بياتيلي بالماريني" في تأليف"*Massimo Piattelli-Palmarini*" كتاب "ما الذي أخطأ داروين" "*What Darwin Got Wrong*" عام 2010، حيث وصفوا الداروينيين الجدد بأنهم "غير نقديين بشكل مؤلم"، ويقولون عن نظرية التطور "لتشارلز داروين" "*Charles Darwin*" [3] "إنها تبالغ في تقدير المساهمة التي تقدمها البيئة، في تشكيل النمط الظاهري لأحد الأنواع،

---

[1] *Fodor, La Modularité de l'esprit, Les Editions de Minuit, Paris, France, 1986, p 55.*

[2] "نظرية هوية العقل" هي نظرية تابعة للمدرسة الفيزيائية في فلسفة العقل؛ تؤكد "نظرية هوية العقل" أنه يمكن تجميع الأحداث العقلية (الذهنية) وفرزها إلى أنواع، ويمكن بالتالي ربطها بأنواع من الأحداث الفيزيائية في الدماغ، طُوّرت نظرية هوية العقل من قبل كل من "جون سمارت" "*John Smart*" و"يولين بلاس" "*Ullin Place*"، تتناقض فيزيائية النموذج مع فيزيائية الرمز، والتي تندرج تحت اسم "الأحادية الشاذة" "*Monisme anormal*"، والتي تقول بأنه من غير المحتمل أن يكون للأحداث العقلية ارتباط فيزيائي بحدث حيوي في الدماغ، بالمقابل، هناك بعض المذاهب الأخرى من المدرسة الفيزيائية قد تنتقد نظرية هوية العقل ومن ضمنها "المادية الإقصائية" "*Éliminativisme*"، والتي تتساءل إن كان هناك مقدرة فعلية للعلم حالياً على استخدام أفضل التصنيفات .

[3] "تشارلز روبرت داروين" (1809 – 1882) عالم تاريخ طبيعي، وجيولوجي بريطاني والده هو الدكتور "روبرت وارنج داروين" "*Robert Waring Darwin*"، وكان جده "إراسموس داروين" "*Erasmus Darwin*" عالماً ومؤلفاً بدوره، اكتسب داروين شهرته

وبالتالي يقلل من تأثير المتغيرات الداخلية "، وتحدت مجموعة واسعة من الفلاسفة من مختلف التوجهات العديد من أفكار "فودور" على سبيل المثال: اتُهمت "لغة فرضية الفكر" إما بالوقوع فريسة لانحدار لانهائي، أو بأنها زائدة عن الحاجة، على وجه التحديد، اقترح "سايمون بلاكبيرن" "*Simon Blackburn*" في مقال في عام 1984 أنه بما أن "فودور" يشرح تعلم اللغات الطبيعية كعملية لتشكيل، وتأكيد الفرضيات في "لغة فرضية الفكر" فإن هذا يتركه مفتوحًا للسؤال عن سبب عدم اعتبار هذه النظرية نفسها عادلة.

"جيرولد كاتز" "*Jerrold Katz*"

ولد "جيرولد كاتز" "*Jerrold Katz*" في 14 جويلية 1932 في "واشنطن"، ويعد أحد الفلاسفة واللغويين الأمريكيين، وأحد تلاميذ "نعوم تشومسكي"، فبعد حصوله على درجة الدكتوراه في الفلسفة من "جامعة برينستون" "*l'université de Princeton*" عام 1960 تم تعيينه كباحث مشارك في اللسانيات في "معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا"، وفي عام 1961 تم تعيينه أستاذًا مساعدًا للفلسفة، ومن 1975 إلى عند وفاته اشتغل كأستاذ للفلسفة واللغويات في "جامعة مدينة نيويورك" "*l'université de la Ville de New York*"، توفي "كاتز" في 7 فبراير 2002 في "نيويورك" عن عمر ناهز 69 سنة، من أهم مصنفاته:

1962, The problem of induction and its solution.
1964, An integrated theory of linguistic descriptions.
1966, The Philosophy of Language.
1971, The Underlying Reality of Language and Its Philosophical Import.
1972, Semantic theory.
1973, Theorie globale des descriptions linguistiques.
1974,The fall and rise of empiricism.
1977, Propositional Structure and illocutionary force: a study of the contribution of sentence meaning to speech acts.
1981, Language and other Abstract Objects.
1985, The Philosophy of linguistics.
1986, Cogitations : a study of the cogito in relation to the philosophy of logic and language and a study of them in relation to the cogito.
1990, The Metaphysics of Meaning.
2000, Realistic Rationalism.

اشتهر "كاتز" في مجال "اللسانيات" بنظريته في "علم الدلالة في النحو التوليدي" "*théorie de la sémantique en grammaire générative*"، ويعد "كاتز" مدافعا قويا عن "العقلانية" "*Rationalisme*"، و"الاستيراد الميتافيزيقي" "*l'importation métaphysique*" لـ "الجوهر" "*Essence*"، يجادل بشدة ضد "هيمنة التجريبية"

كمؤسس لنظرية التطور والتي تنص على أن كل الكائنات الحية على مر الزمان تنحدر من أسلاف مشتركة، وقام باقتراح نظرية تتضمن أن هذه الأنماط المتفرعة من عملية التطور ناتجة لعملية وصفها اصطفاء (الانتخاب) الطبيعي، وكذلك الصراع من أجل البقاء له نفس تأثير الاختيار الصناعي المساهم في التكاثر الانتقائي للكائنات الحية، يعد "داروين" من أشهر علماء علم الأحياء، ألَّف عدة كتب فيما يخص هذا الميدان لكن نظريته الشهيرة، واجهت انتقادا كبيرا، وخصوصاً من طرف رجال الدين في جميع أنحاء العالم.

"*Empirisme*"؛ إذ يجادل "كاتز" أيضًا ضد "مذهبان للتجريبية" "*Deux dogmes de l'empirisme*" [1]، أن التمييز التحليلي التركيبي يمكن أن يعتمد على الخصائص النحوية للجمل.

النحو العربي والنظرية التوليدية التحويلية:

إن المتأمل لنظرية "تشومسكي"، يجد أن المبادئ التي نادت بها نظريته، لا تختلف إجمالا عما جاء به النحو العربي؛ فهما يلتقيان في مجموعة من الجوانب؛ أهمها صدور كل منهما عن أساس عقلي [2]؛ ذلك بأن "تشومسكي" يرى أن اللغة وحدة من وحدات العقل، لذلك فهو يتخذ من منهج "ديكارت" القائم على العقل، أساسا له في فهم، وتحليل الظاهرة اللغوية [3]؛ ومن أهم نقاط التقاطع بين نظرية "تشومسكي" و"النحو العربي":

01 – قضية الأصالة والفرعية: تُعد هذه القضية من أبرز القضايا التي اهتم بها النحاة العرب، حيث ذكروا مجموعة من الأصول، وجعلوا ما يقابلها فروعا، "فقرروا أن المصدر أصل المشتقات، وأن النكرة أصل، والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع، وأن المذكر أصل للمؤنث، وأن التصغير، والتكبير يردّان الأشياء إلى أصولها" [4]، أما "تشومسكي" فينظر إلى الأصلية على أنها "التركيب العميق"، أما الفرعية فهي "التركيب السطحي"، وهذان المصطلحان يعتبران من أقوى الركائز لدى التحويليين [5].

02 – قضية العامل: لقد اهتم "تشومسكي" بقضية العامل أيما اهتمام حيث نجده قد جعل نظرية ربط العامل عنده تنطلق من أساسين اثنين: الأثر، والمضمر، وقد افترض في نظريته هاته أن العامل في المقول هو الفعل، والعامل في الفاعل هو ما يسمى الصرفة التي تتضمن صفات التطابق، والزمن، والجهة [6]، والناظر إلى ما جاء به "تشومسكي" يجد أن نظرية

---

[1] "مذهبان للتجريبية" هي ورقة بحثية كتبها الفيلسوف التحليلي " كواين" "*Willard Van Orman Quine*"، ونُشرت في عام 1951، ووفقًا لأستاذ الفلسفة "جودفري سميث" "*Peter Godfrey-Smith*"، فإن هذه الورقة تعتبر في بعض الأحيان الأكثر أهمية في فلسفة القرن العشرين بأكملها، الورقة هجوم على جانبين رئيسين من الفلسفة الوضعية؛ الأول هو التمييز التحليلي الاصطناعي بين الحقائق التحليلية؛ والحقائق الاصطناعية، التي فسرها "كواين" بأنها حقائق تستند فقط إلى المعاني ومستقلة عن الوقائع، وحقائق تستند إلى وقائع، أما الثاني فهو الاختزالية، النظرية التي تقول إن كل عبارة ذات معنى تحصل على معناها من بعض البناء المنطقي للمصطلحات التي تشير حصريًا إلى التجربة الفورية.

[2] عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث "بحث في المنهج"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979 م، ص 115.

[3] نفسه، ص 143.

[4] علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 01، 1986 م، ص 43.

[5] صالح سليم الفاخري، تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996 م، ص 12.

[6] حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1994 م، ص 30، 31.

العامل تمثل ذروة ما وصل إليه من نتائج، كما أن خاصية التحويل عنده تتشابه في كثير من أركانها مع ما يزخر النحو العربي من قواعد الحذف، والإحلال، والتوسع، والاختصار، والزيادة، والترتيب [1].

والمتمعّن في دعائم "النظرية التشومسكية" يجد أنها لم تبتعد عن قواعد النحو العربي؛ ومن أدلة ذلك أن "عبد القاهر الجرجاني" قد سبق "تشومسكي" بزمن سحيق إلى تحديد الفروق الدقيقة بين العميق، وغير العميق من عناصر الجملة؛ إذ فرّق بين النظم، والترتيب، والبناء، والتعليق؛ فجعل النظم لمعان في النفس، وذلك ينطبق مع ما قال به "تشومسكي" من مفهوم البنية العميقة، والبناء عند "الجرجاني" يطابق البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات، كما أن التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات التي في السياق [2]، ولم يفت "عبد القاهر الجرجاني" الحديث عن القدرة اللغوية المتمثلة في الكفاءة الذاتية الكامنة التي يمتلكها كل متكلم، أو مستمع للغة، التي من خلالها يمكنه تكوين، أو توليد عدد غير محدود من الجمل.

ومما سبق نصل إلى أن مفهوم اللغة عند كل من "تشومسكي" و"عبد القاهر الجرجاني" يأخذ شكلا عقليا، وهذا الشكل العقلي هو الذي جعلهما يعتمدان النحو التقليدي لإدراك قيمة الإمكانات التركيبية التي يتيحها النحو، وينظر كل من "تشومسكي" و"الجرجاني" إلى المعايير المجردة في اللغة من خلال الفرد الذي يتعامل بها في شكل تعبيرجديد؛ إذ القواعد اللغوية ترجع في حقيقتها إلى كل من العقل الداخلي والمنطق عند "تشومسكي"، وإلى الكلام النفسي عند "الجرجاني"، وهذا الطرح "لتشومسكي" يرجع إلى نظرته العامة للطبيعة الإنسانية، واتصالها بالحرية الفردية، بينما يُعزى طرح "الجرجاني" إلى فلسفة دينية تتصل بقدرات الإنسان في الكلام، ومقارنتها بالقدرة الإلهية [3]، ولا عجب في وجود جملة من الأمور المشتركة بين نظرية "تشومسكي" و"النحو العربي"؛ فالواقع أن "تشومسكي" قد درس العبرية القديمة بإتقان، وكان يعتبر من المبرزين فيها، وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبرية في "الأندلس"، وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبقته على العبرية [4]، وهذا ما يجعلنا نظن أن "تشومسكي" قد اطلع على النحو العربي القديم.

الجوانب التحويلية في "النحو العربي":

من بين العمليات التحويلية الموجودة في النحو العربي، نذكر:

01 – الحذف: يعتبر الحذف فنا من فنون القول، ويشترط لتأديته أن تكون في الكلام قرينة دالة على المحذوف، وينقسم الحذف إلى مجموعة من الأقسام، هي:

---

[1] نفسه، ص 54.

[2] محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 12، أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر، 1984 م، ص 31.

[3] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2008 م، ص 407.

[4] ينظر: محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، ص 33 / 35.

أ – حذف الحرف: كقوله تعالى ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ** ﴾ [يوسف: 85]؛ فتم حذف "لا"، وأصل الكلام؛ أي: البنية العميقة هي "لا تفتؤ أنت" ثم حُوّلت بعد تطبيق قانون الحذف إلى "تفتؤ" وهي البنية السطحية للجملة، وهذا الحذف جائز؛ ومن أمثلة الحذف الواجب قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾ [الأنفال: 33]، فتم حذف "أنْ" وجوبا لوقوعها بعد لام الجر، وقد سبقتها "كان المنفية" [1]؛ وأصل الكلام –في غير كلام الله– "لأن يعذب الله الكافرين"، وبعد الحذف الإجباري لـ "أنْ"، ثم حذف المفعول به "الكافرين"، تحولت الجملة إلى "ليعذبهم".

ب حذف الاسم: ومن ذلك حذف المسند إليه كحذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: 46]، وأصل الكلام –في غير كلام الله– "إذا عمل الإنسان عملا صالحا فعمله لنفسه"، فتحولت الجملة بعد الحذف الجائز للمبتدأ "عمله"، والفاعل "إنسان"، والمفعول به "عملا" إلى "من عمل صالحا فلنفسه"، والشيء نفسه قد حدث في الجزء الثاني من الآية [2].

ج – حذف الفعل: من أمثلة حذف الفعل وجوبا قوله تعالى ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** ﴾ [الانشقاق: 01]، والبنية العميقة لهذه الآية هي: "إذا انشقت السماء انشقت"؛ إذ تم حذف الفعل الأول "انشقت" وجوبا، وبقي الاسم الذي بعده مرفوعا بفعل محذوف وجوبا لوقوعه بعد "إذا" الشرطية [3]، ومن أمثلة هذا الحذف جوازا، قوله تعالى ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [الزمر: 38]، والبنية العميقة لهذا المثال هي "ليقولُن خلقهنّ الله"، إذ حُذف الفعل "خلقهنّ" جوازا لوجود قرائن تدل عليه [4].

د – حذف متعلق الفعل: ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء: 23]، وأصل الكلام –في غير كلام الله– "وهم يُسألون عما يفعلون" حيث تم حذف متعلق الفعل جوازا.

هـ – حذف جملة: ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾ [النازعات: 07/01]، وفي هذا المثال، حذفت جملة جواب القسم، وتقديرها "لَتُبْعَثُنّ ثمّ لَتُنَبّؤُنّ"، ودليل ذلك ما وُصف به يوم القيامة في بقية الآيات ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾.

و – حذف غير جملة: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في "سورة يوسف": ﴿ **أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ** ﴾ [يوسف: 45، 46]، والبنية العميقة للكلام –في غير كلام الله– : "فأرسَلوه إلى يوسف الصديق، فأته، فقال له: يوسف أيها الصديق"، والحق إن أمثلة الحذف في اللغة العربية كثيرة جدا.

---

[1] بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث ودار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط 20، 1980 م، ج 02، ص 211.

[2] ينظر: نفسه، ج 01، ص 288.

[3] ينظر: نفسه، ج 01، ص 430.

[4] العربي الشريف، دروس في البلاغة العربية، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 2002 م، ج 02، ص 13.

وفي مقابل الحذف، نجد التعويض، ومن أمثلته قوله تعالى ﴿ **خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ [الأنبياء: 37]؛ فالبنية العميقة لهذا الكلام –في غير كلام الله– هي "خَلَق اللهُ الإنسانَ من عجل"، وقد حُذف فيها الفاعل الذي هو لفظ الجلالة جوازا "اللهُ"، وعُوِّض عنه بالمفعول به "الإنسان"، ويمكن أن يُحذف الفعل، ويُعوّض بأحد المشتقات العاملة كاسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر، والصفة المشبهة، وصيغة المبالغة، ومن أمثلة ذلك قول "عمر بن أبي ربيعة الخوارزمي":

وكمْ مالِئٍ عينيْهِ منْ شيْءٍ غيرِهِ إذا راحَ نَحْوَ الجمْرَةِ البِيضِ كالدَّمي

وأصل هذا الكلام "وكم شخص ملأ عينيْه"؛ حيث حُذف الفعل "ملأ" وعُوّض باسم الفاعل "مالئ".

ثانيا: التمدد أو التوسع: ومن خصائص التمدد في اللغة العربية أنه اختياري؛ أي: جائز وليس إجباريا، والأمثلة الدالة عليه عديدة متنوعة، منها:

1. **تمدد الفاعل:** في قوله تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا** ﴾ [العنكبوت: 51]؛ فالبنية العميقة لهذه الجملة هي "أو لم يكفهم إنزالُنا"، وبعد تمدد الفاعل "إنزالُنا" وتحوله إلى جملة "أنا أنزلنا"، أصبحت البنية السطحية هي "أو لم يكفهم أنا أنزلنا".
2. **تمدد المبتدأ:** ومن نماذج ذلك قوله تعالى ﴿ **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [البقرة: 184]؛ والبنية العميقة لهذا الكلام هي و"صيامكم خير لكم"، فتمدد المبتدأ "صيامكم" من مفرد إلى جملة.

ثالثا: الزيادة، أو الإقحام: تكون الزيادة في اللغة العربية عادة من أجل التوكيد، ويكون ذلك إما بالتوكيد اللفظي، وإما بالحروف الزائدة، ومن أمثلة الزيادة عن طريق التوكيد اللفظي، قوله تعالى ﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا** ﴾ [الفجر: 21]؛ حيث زيد المصدر الثاني "دكا" لغرض التوكيد، ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ** ﴾ [المؤمنون: 36]؛ حيث زيد اسم الفعل الثاني "هيهات" للغرض نفسه، ومن أمثلة الزيادة بغرض التوكيد، أن تُزاد الجملة أيضا؛ كقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴾ [الانفطار: 17، 18]، وقد تكون الزيادة بإعادة مرادف اللفظ مثلما هو ظاهر في قوله تعالى ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا** ﴾ [الأعراف: 150]؛ إذ كانت الزيادة في هذه الآية بالإتيان بمرادف "غضبان"؛ ألا وهو كلمة "أسِفا"، ويمكن أن تكون الزيادة بالضمير المنفصل، كقوله تعالى ﴿ **اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ [البقرة: 35]؛ حيث زيد الضمير المنفصل "أنت" لغرض التوكيد.

رابعا: إعادة الترتيب "التقديم والتأخير": يعد أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب التي تميزت بها اللغة العربية، وقد اعتنى به اللغويين القدامى في مصنفاتهم اللغوية، كما ورد ذكره في القرآن الكريم مرات عديدة، ومن مواضع التقديم النماذج التالية:

أ – في الجملة الاسمية:

1. **تقديم الخبر وجوبا:** ومن ذلك أن يتقدم الخبر وجوبا على المبتدأ، ويشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر؛ ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾ [الغاشية: 25، 26]؛ وأصل الكلام – في غير كلام الله– "إنّ إيابهم إلينا ثم إن علينا حسابهم"، وقد يتقدم الخبر وجوبا إذا كان المبتدأ نكرة، ليس لها

مسوّغ، والخبر ظرف، أو جار ومجرور [1]، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** ﴾ [البقرة: 10].

2. **تقديم الخبر جوازا:** يمكن للخبر أن يتقدم جوازا على المبتدأ إذا لم يكن هناك ما يوجب تقديمه وجوبا، وذلك في حالة أمن اللبس [2]، كقول "الفرزدق":

إلى مَلِكٍ ما أمّه منْ مُحارِب أَبوهُ ولا كانتْ كُلَيْبٌ تُصاهِرُهُ.

والبنية العميقة لهذا الكلام هي "أبوه ما أمه من محارب"، وبعد تقديم الخبر وتأخير المبتدأ بفضل قانون التقديم والتأخير؛ أي: إعادة الترتيب، أصبحت البنية السطحية للكلام هي "ما أمه من محارب أبوه".

ب في الجملة الفعلية: –

تقديم المفعول به على الفعل وجوبا: يتقدم المفعول به وجوبا على الفعل العامل، إذا كان المفعول به اسم شرط، أو اسم استفهام أو ضميرا منفصلا، لو تأخر لزم اتصاله، أو أن يكون العامل في المفعول به واقعا في جواب "أمّا" [3]، ومن نماذج ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 05]؛ وأصل الكلام –في غير كلام الله– "نعبد نحن الله".

تقديم المفعول به على الفعل جوازا: ومن ذلك قول "الأعشى ميمون":

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيُوهنها فلم يضرَّها وأوْهنَ قرنَهُ الوَعلُ.

والبنية العميقة لهذا الكلام هي: "أوهنَ الوعلُ قرنَ الوعلِ"، وبعد تطبيق قانون إعادة الترتيب، والحذف، والتعويض حصلنا على البنية السطحية لهذا الكلام وهي جملة "أوهن قرنَه الوعلُ" [4].

إن النظريات اللسانية مستمرة في التطور، وكل نظرية لا يعني بالضرورة أنها الصحيحة، فكل النظريات تسعى لفهم اللغات فهماً صحيحاً، ولعل من أهم هذه النظريات التي درست اللغة، وتعمقت في فهمها، هي "النظرية التحويلية التوليدية"، لذلك تجد أن كل نظرية من النظريات اللغوية واجهت جملة من الانتقادات، ولكن ما يلاحظ عن "نظرية تشومسكي" أنها نظرية توسعية استفادت من الانتقادات، وضمتها إليها، ولهذا السبب تجدها من أهم النظريات التي تناولها الدرس العربي، وطبقت عليه؛ بل هناك من أسقطها على كتاب "سيبويه"، وغيره من علماء العربية.

"فالمدرسة التوليدية التحويلية" حازت على انتشار واسع بين المدارس اللغوية، وتصدرت مكانة عالية بين المدارس الحديثة؛ كونها تهتم بالجانب التحليلي والتفسيري بدلًا من الجانب الوصفي، في محاولة جدية لتقديم صورة واضحة شمولية عن بنية اللغة، وميزاتها الإنسانية، وعلاقتها بالعقل والفكر الإنساني، ولعل هذا التميز لهذه المدرسة ارتبط بالأساس بأفكار "نعوم تشومسكي" الذي زاوج بين بين أفكاره السياسية، وآرائه الإنسانية العقلية، فهو لم يأت بالمنهج وليد الصدفة إنما نتيجة للاطلاع الكبير على المناهج اللغوية قبله، وآراء العلماء المهمة، كما أنه قد اطلع، وتأثر بعلوم اللغة العربية، ولا

---

[1] ينظر: بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج 01، ص 223 .

[2] ينظر: نفسه، ج 01، ص 214 .

[3] ينظر: نفسه، ج 01، ص 440.

[4] العربي الشريف، دروس في البلاغة العربية، ج 02، ص 103.

سيما دراسته لنحو "سيبويه" على حد تعبيره، لكن ليس بالضرورة التسليم بكل جوانب "النظرية التوليدية التحويلية" وحملها على أنها كتاب مقدس في دراسة اللغة مع التنويه إلى تقدير جهود العلماء "كتشومسكي" وأمثاله، فليس بالضرورة أن تكون هذه النظرية صائبة في جميع جوانبها، وخير مثال على ذلك الطريقة الثانية في التحليل عند "تشومسكي"، والتي أظهرت تناقضها مع مبادئ المنهج العامة.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد محمد قدور، مبادئ، اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996 م.
2. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 05، 1998 م.
3. بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث ودار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط 20، 1980 م.
4. حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1994 م.
5. صالح سليم الفاخري، تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996 م.
6. عادل فاخوري، اللسانية التوليدية التحويلية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 02، 1988 م.
7. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2008 م.
8. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث "بحث في المنهج"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979 م.
9. العربي الشريف، دروس في البلاغة العربية، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 2002 م.
10. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 01، 1986 م.
11. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
12. محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 12، أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر، 1984 م.
13. موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1982 م.

المصادر باللغة الأجنبية:

1. *C.Fuchs et Le Goffic, Initiation aux méthodes des linguistiques contemporaines, Hachette, paris, France, 1975.*
2. *Fodor, La Modularité de l'esprit, Les Editions de Minuit, Paris, France, 1986.*
3. *Noam Chomsky, aspects of the theory of syntax, the M.I.T Press, Massachusetts institute of technology, USA, 1980.*

المحاضرة الثانية عشرة

المدرسة الوظيفيّة الأمريكية

توطئة:

ارتبط مفهوم اللغة عند كثير من الدارسين "بالوظيفة" التي وضعت من أجلها؛ وهي التبليغ والتواصل، ذلك أنه لا معنى للغة إذا لم يستطع أصحابها أن يتواصلوا من خلالها، ويعربوا بها عن أغراضهم، وتتجلى هذه "الوظيفة اللسانية" "*fonction linguistique*" في مجموعة من المستويات اللغوية، لأن كل عنصر في النظام اللغوي يؤدي وظيفة معينة في سياق محدد، ويعمل على إثبات وجوده داخل هذا النظام، وهذا ما استرعى انتباه مجموعة من اللسانيين، فركزوا جهدهم في إبراز الوظائف المختلفة للعناصر اللسانية، فنشأت بذلك مدرسة لسانية خاصة تعنى بالبحث في "الوظيفة اللسانية"، وتكونت هذه المدرسة من مجموعة من الباحثين، نظر كل واحد منهم إلى الوظيفة في اللغة نظرة خاصة، وبحث عنها في مستوى خاص من النظام اللغوي، فكان من حاول استخراجها من المستوى الصوتي، وهناك من بحث عنها في المستوى التركيبي، وآخر تجلت له في المستوى الدلالي.

غير أنه بتطور الدراسات اللسانية ظهر مستوى آخر من شأنه أن تدرس فيه الوظيفة التواصلية التبليغية، ألا وهو المستوى التداولي؛ أي ما يؤديه تداول اللغة بين متكلم ومستمع في سياق اجتماعي، ومادي، وثقافي، وبهذا برز إلى الوجود لسانيون جدد، يتزعمهم اللساني الهولندي "سيمون ديك"، واللساني المغربي "أحمد المتوكل" أسسوا نموذجا وظيفيا جديدا، هو في أصله امتداد للمدرسة الوظيفية السابقة، غير أن هؤلاء اللسانيين الجدد أضافوا إلى أفكار سابقيهم أفكارا أخرى استلهموها من اللسانيات التداولية، و"علم اللغة النفسي" "*Psycholinguistique*"، و"علم اللغة الاجتماعي" "*Sociolinguistique*"، محاولين استغلال هذه الأفكار في تعليم اللغة، وبناء النصوص، وتحليلها.

أقطاب المدرسة الوظيفية الأمريكية

"سيمون ديك" "*Simon Cornelis Dik*"

"سيمون ديك" "*Simon Cornelis Dik*" ولد "بدالدن الهولندية" "*Delden*" في 06 سبتمبر 1940 اشتهر "سيمون ديك" بتطوير "نظرية القواعد الوظيفية" "*théorie de la grammaire fonctionnelle*"، شغل منصب "رئيس اللسانيات العامة" في "جامعة أمستردام" "*Université d'Amsterdam*" بين عامي 1969 و 1994، خلال هذه السنوات الخمس والعشرين طور نظرية القواعد الوظيفية، التي وضع أسسها في أطروحته عام 1968 حول "التنسيق" "*coordination*".

توفي "سيمون ديك" في 01 مارس 1995 "بهولي سلوت" "*Holysloot*" بهولندا عن عمر ناهز 54 سنة، لكن قبل عامين من وفاته مرض "سيمون ديك" وبقدر ما سمح مرضه عمل على تطوير نظريته حتى وفاته "*The Theory of Functional Grammar*"، والتي نُشرت بعد وفاته في عام 1997، من أهم مؤلفاته:

1989, The Theory of Functional Grammar (Part I: The Structure of the clause.
1997, The Theory of Functional Grammar (Part II: Complex and Derived Constructions.

أحمد المتوكل

ولد "أحمد المتوكل" في "الرباط" "بالمغرب" سنة 1942، يدرّس "أحمد المتوكل" في كلية الآداب "جامعة محمد الخامس" "بالرباط" في القسمين الفرنسي، والعربي، وكان يدرس "التداوليات" "*Pragmatique*"، ثم تخصص في تدريس النحو الوظيفي خاصة "مدرسة أمستردام" التي كان أول روادها الأستاذ "سيمون ديك" "*Simon Cornelis Dik*" .

تدور أغلب مؤلفاته على محورين اثنين: محور العلاقة بين الفكر اللغوي القديم والدرس اللغوي الحديث، والمحور الثاني وصف وتفسير ظواهر اللغة العربية من منظور نظرية النحو الوظيفي، وإمكان توظيف هذه النظرية في مجالات أخرى غير مجال وصف اللغات، كما يسمى بالمجالات القطاعية، ونقصد بها "ديداكتيك تعليم اللغات وتحليل النصوص" على اختلاف أنماطها، والاضطرابات اللغوية النفسية إلى غير ذلك من القطاعات، كتب "أحمد المتوكل" بالعربية، والفرنسية، والإنجليزية، **ومن أهم مصنفاته باللغة العربية:**

1977 قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني.

1981 اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم بوصف ظاهرة الاستلزام الحواري.

1985 الوظائف التداولية في اللغة العربية.

1986 دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي.

1987 من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول في اللغة العربية.

1987 من قضايا الرابط في اللغة العربية.

1988 قضايا معجمية: المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية.

1988 الجملة المركبة في اللغة العربية.

1989 اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري.

1993 الوظيفة والبنية: مقاربة وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية.

1993 آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي.

1995 قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي–التداولي.

1996 قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي–التركيبي.

2001 قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص.

2003 الوظيفية بين الكلية والنمطية. الرباط.

2005 التركيبيات الوظيفية: قضايا ومقاربات.

2005 مفهوم الكفاية وتعليم اللغات.

2006 المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد.

2008 مسائل النحو العربي في قضايا النحو الوظيفي.

2010 الخطاب وخصائص اللغة العربية.. دراسة في المجال والبنية والنمط.

ومن أهم مصنفاته بالفرنسية:

1982 Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe.

1984 Le focus en Arabe: vers une Analyse Fonctionnelle.
2003 Préliminaires à une grammaire fonctionnelle de discours.

ومن أهم مصنفاته بالإنجليزية:

1985 Towards a Functional Analysis.
1991 On Representing Implicated Illocutionary Force Grammar or Logic.
1991 Negative Constructions in Arabic.
1993 Reflections on the layered underlying representation in Functional Grammar.
1994 Term-to-phrase mapping rules: A case study from Arabic.
1998 Benveniste's Recit vs Discours dichotomy as discourse operator in Functional Grammar.
1999 Exclamation in Functional Grammar: sentence type Illocution or modality ?.
2000 Reflections on the layered underlying representation in Functional Grammar.
2004 Discourse structure, the generalized parallelism hypothesis and the architecture of functional grammar.
2004 Function independent morpho-syntax.
2005 Exclamation in Functional Grammar.
2006 Functional Grammar and Arabic.
2007 Coordinative constructions in Arabic.
2009Exceptive constructions in Arabic.

مبادئ النحو الوظيفي

يعتمد نموذج "النحو الوظيفي" على مبادئ منهجية عامة ثابتة لا يحيد عنها، تمثلت هذه المبادئ فيما يلي [1]:

1. وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي "التواصل" "*communication*".
2. موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية " "*Communicative Competence*" للمتكلم-المخاطب.
3. النحو الوظيفي نظرية التركيب والدلالة منظور إليها من وجهة نظر تداولية.
4. يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية:
   أ. "الكفاية النفسية" "*l'adequation psychologique* "
   ب. "الكفاية التداولية" "*l'adequation pragmatique*"
   ت. "الكفاية النمطية" "*l'adequation typologique*"

أما المبدأ الأول فهو مبدأ ظهر مع ظهور "الوظيفية" "*Fonctionnalisme*"، وظل شعارا لكل أعلامها، يتخذونه هدفا يدافعون عنه، وإن اختلفت سبلهم في ذلك، وكذا الشأن بالنسبة لـ"سيمون ديك" الذي أقام نحوه على قاعدة أساسية، تعتبر أن أي لغة طبيعية، هي نظام يحتوي على خصائص بنيوية، الهدف الأساس من هذا النظام هو تحقيق عملية التواصل القائمة بين متكلميه، ولذلك لا بد للساني أن يدرس، ويصف القدرة التواصلية الموجودة عند طرفي

[1] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1986 م، ص 09.

الاتصال "المتكلم والمخاطب"، **وهو ما يمثل المبدأ الثاني** لنموذج "النحو الوظيفي" "*grammaire fonctionnelle*"، وهو مبدأ حاول من خلاله "سيمون ديك" أن يعيد النظر في ثنائية "تشومسكي" (قدرة / إنجاز)، **وأما المبدأ الثالث** فهو المبدأ الذي يظهر فيه جديد "سيمون ديك" الذي أضافه إلى الجوانب التركيبية، والدلالية، ويتمثل هذا الجديد في استثمار علم ظهر مبكرا في حقل الدراسات اللسانية وسمي "بالتداولية" "*Pragmatique*"، ومن خلال هذا العلم يطمح "النحو الوظيفي" إلى تحقيق الكفاية "التداولية"؛ أي كفاية الاستعمال اللغوي، إضافة إلى الكفايتين النفسية، والنمطية.

ويرقى النحو إلى مستوى الكفاية النمطية إذا استطاع أن يفرز أوصافا للغات طبيعية متباينة نمطيا، و"إذا كان قادرا في نفس الوقت على رصد ما يؤالف، وما يخالف بين هذه اللغات، ويكون النحو كافيا نفسيا إذا لم يتعارض مع الفرضيات النفسية حول إنتاج اللغة، وفهمها" [1]، وهذا ما يمثل المبدأ الرابع لنموذج النحو الوظيفي.

البنية العامة للنحو الوظيفي:

تتكون الجمل في " النحو الوظيفي" وفقا لثلاث بنيات مرتبة كالآتي: "البنية الحملية"، ثم "البنية الوظيفية"، ثم "البنية المكونية":

01 – البنية الحملية:

أ. تعريف الحمل: لغة: "لفظ الحمل في اللغة مشتق من: حمل الشيء يحمله حملا، وحملانا فهو محمول، وحميل، وقول "النابغة": إنّا اقْتَسَمْنا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا **فحملْتُ بَرَّةَ واحتملْتَ فَجَارِ**

عبر عن البرة بالحمل، وعن الفجرة بالاحتمال، والحمل: ما حمل والجمع أحمال، وحمله على الدابة يحمله حملا، والحملان ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة، وحمله على الأمر يحمله حملا، فالحمل: أغراه به، ويحمله الأمر تحميلا، وحمالا، فتحمله تحملا وتحمالا، وقال تعالى: ﴿ **فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وعَلَيْكم ما حُمِّلْتُمْ** ﴾ [النور: 54]، وفي حديث "علي بن أبي طالب" "رضي الله عنه" لعبد الله بن عبَّاس "رضي الله عنهما"، لما بعثه للاحتِجاج على الخوارج، قال له: "لا تُخاصِمْهم بالقُرآن؛ فإنَّ القُرْآن حمَّالُ أوجُه"؛ أي: يحمل عليه كل التأويل فيحتمله " [2].

اصطلاحا: حمل الشيء على الشيء: إلحاقه به في حكمه، أو نسبة أمر إلى آخر إيجابا، أو سلبا، فإذا حكمنا بشيء على شيء فقلنا مثلا: "إن الإنسان حيوان"، "فالمحكوم به" يقال المحمول، و"المحكوم عليه" يقال له الموضوع [3].

ب. مفهوم البنية الحملية: تنقسم هذه البنية إلى قسمين: "بنية الحمل"، و"بنية الدلالة"، تتضمن البنية الأولى الأطر الحملية الخاصة بالجملة، وتكون هذه الأطر إما أسماء، أو أفعالا، أو صفات، ويصنف الإطار الحملي –أيضا– إلى صنفين: "محمولات" و"حدود":

[1] أحمد المتوكل وآخرون، قضايا المنهج في اللغة والأدب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ص 21.

[2] عبد الفتاح علي حسن البجة، ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية بين علماء اللغة القدامى والمحدثين، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 1958 م، ص 170.

[3] نفسه، ص 171.

1. **المحمولات**: يدل كل محمول على واقعة، والوقائع حسب تصور النحو الوظيفي إما "أعمال "*Actions*"، أو أحداث "*Prcessus*"، أو أوضاع "*Positions*"، أو حالات "*Etats*" [1].
2. **الحدود**: وتمثل هذه الحدود المشاركين في الوقائع التي يدل عليها المحمول، وتنقسم هذه الحدود إلى قسمين حدود موضوعات "*Agruments*"، وحدود لواحق "*Satellites*".

أ. الحدود الموضوعات: وهي الحدود التي تدل على وظائف دلالية أساسية.

ب. الحدود اللواحق: وهي الحدود التي تدل على وظائف غير أساسية كالحد الذي يدل على الزمان، أو المكان، والوقائع، وما تؤديه الأطر الحملية (محمولات وحدود) من وظائف دلالية خاصة هي التي تمثل البنية الثانية، وهي البنية الدلالية، ويمكن إجبال مكونات الإطار الحملي فيما يلي [2]:

1. المحمول، ومقولته التركيبية (فعل، اسم، صفة).
2. محلات موضوعات المحمول.
3. القيود الانتقائية (أو قيود التوارد) بالنسبة للواقعة التي يدل عليها المحمول.

ويتم التمثيل للإطار الحملي للفعل "شرب" مثلا كالآتي: شرب (فعل) (حي) (سائل) (منتقبل) (زمان)؛ أي أن: هذا الفعل يقوم به كائن حي يقوم بوظيفة (المنفذ)، ولا بد من مفعول (سائل) يقوم بوظيفة المتقبل [3]، وتعد البنية الحملية مدخلا للبنية الوظيفية.

02 – البنية الوظيفية: وتنقسم هذه البنية إلى قسمين: "البنية التركيبية"، و"البنية التداولية":

1. **البنية التركيبية**: يبرز من خلالها وظيفتان تركيبيتان فقط هما الفاعل والمفعول، "ويبرر هذا التقليص للوظائف التركيبية بأن ثمة فرقا بين البنية الدلالية للجملة، وبنيتها التركيبية، بحيث لا ضرورة بأن تتضمن البنية الثانية جميع عناصر البنية الأولى" [4].
2. **البنية التداولية**: وهي البنية التي تظهر من خلالها الوظائف التداولية، وهي وظائف تعتمد على السياق، والمقام، والعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب.

---

[1] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 12.

[2] أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية "الوظيفة المفعول في اللغة العربية"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1987 م، ص 16.

[3] عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء، عمان الأردن، ط 01، 2002 م، ص 331.

[4] يحي بعيطيش، النحو العربي بين التعصير والتيسير، أعمال ندوة تيسير النحو العربي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2001 م، ص 125.

وتظهر هذه الوظائف لأن التداول حسب تصور النحو الوظيفي "يقوم بربط مكونات تحمل في الجملة وظائف تداولية بالمواقع المهيأة لها في البنية الموقعية" [1]، ويتم تضافر البنيات الثلاث: الحملية، والوظيفية، والتكوينية عبر ثلاث قواعد خاصة وهي: "الأساس"، و"قواعد إسناد الوظائف"، و"قواعد التعبير" [2]:

أ – الأساس: يتكون الأساس من عنصرين اثنين: المعجم، وقواعد المحمولات؛ أما المعجم فيتمثل في الرصيد المفرداتي الموجود عند كل من المتكلم والسامع، ويتكون هذا الرصيد من مفردات، أو محمولات أصول، ومفردات مشتقة؛ أما قواعد المحمولات فهي القواعد التي تساعد على إنتاج المفردات قواعد الاشتقاق، وبعض القواعد الصرفية، كما تسهم في الربط بين المفردات تزامنيا؛ أي: المفردات التي وجدت في مرحلة من مراحل تطور لغة معينة.

ب – قواعد إسناد الوظائف: يتم من خلال هذه القواعد إسناد الوظائف التركيبية، والتداولية إلى الوظائف الدلالية، لتشكل البنية الوظيفية، ويجرى إسناد الوظائف التركيبية قبل إسناد الوظائف التداولية، لأن هناك وظائف تداولية "تسند بالدرجة الأولى إلى مكونات حاملة الوظائف تركيبية معينة، فالوظيفة التداولية "المحور" مثلا تسند بالدرجة الأولى إلى المكون الحامل للوظيفة التركيبية "الفاعل" وفقا لاتجاه عام يخضع له عدد كبير من اللغات الطبيعية" [3].

ج – قواعد التعبير: وهي القواعد التي يتم بواسطتها تحويل البنية الوظيفية إلى مكونية، وتتمثل هذه القواعد فيما يلي [4]:

1. قواعد إسناد الحالات الإعرابية.
2. قواعد إدماج مخصصات الحدود (إدماج أداة التعريف مثلا).
3. القواعد المتعلقة بصيغة المحمول بناء الفاعل / بناء المفعول / إدماج الرابط / المطابقة... إلى غير ذلك.
4. قواعد الموقعة التي ترتب المكونات بمقتضاها داخل الجملة.

03 – البنية المكونية: يقصد بالبنية المكونية البنية الصرفية التركيبية، ويتم بناء هذه البنية عن طريق إجراء قواعد التعبير التي تطبّق طبقا للمعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية [5].

وبناء على ما سبق فإن البنية العاملة للنحو الوظيفي التي هي حصيلة ثلاث بنيات: "بنية حملية"، و"بنية وظيفية"، و"بنية مكونية" تتشكل بتطبيق ثلاث قواعد على الترتيب، كل قاعدة منها تنتج عنها بنية معينة، وهذه القواعد هي: "الأساس"، و"قواعد إسناد الوظائف"، و"قواعد الترتيب".

---

[1] محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية "اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية"، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط 01، 2001 م، ج 02، ص 796.

[2] ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار عكاظ للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1989 م، ص 128.

[3] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1985 م، ص 15.

[4] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 18.

[5] ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص 160، وينظر: أحمد المتوكل، من قضايا الرابط في اللّغة العربية، دار عكاظ للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1987 م، ص 105، وينظر: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 18 .

أنواع الوظائف في نموذج "النحو الوظيفي":

تتقاسم "النحو الوظيفي" ثلاثة أنواع من الوظائف: "الوظائف التركيبية"، و"الوظائف الدلالية"، و"الوظائف التداولية":

01 – الوظائف التركيبية: يقتصر النحو الوظيفي على وظيفتين تركيبتين فقط، هي الفاعل والمفعول، وهذا لأن بقية الوظائف التي كانت تعد وظائف تركيبية، هي حسب تصور النحو الوظيفي إما "وظائف دلالية"، أو "وظائف تداولية".

أ – الفاعل: نال الفاعل في الدرس النحو العربي القديم قدرا كبيرا من اهتمام العلماء، وذلك باعتباره المحرك الأساس للفعل، فلا يمكن أن يوجد فعل ما لم يكن هناك فاعل، حتى وإن لم نلمسه على مستوى السطح فهو كائن بالتأكيد في البنية العميقة، والفاعل إن جاز إضماره في اللغة العربية، فإنه لا يجوز حذفه، لكونه عمدة، ويرد "الزمخشري" على من قال بحذف فاعل "كبر" من قوله تعالى: ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [غافر: 35]، قائلا: "ومن قال كبر مقتا عند الله جدا لهم، فقد حذف الفاعل، والفاعل لا يصح حذفه" [1].

وعدم جواز حذف الفاعل كان من الأسباب التي دعت "أحمد المتوكل" لكي يقرر أنه لا يمكن الاستغناء عن وظيفة الفاعل، ويعتبره مكونا أساسا في "البنية الحملية الأصلية" التي تتكون من (فعل، وفاعل، ومفعول)، وحدد وظيفته كما يلي: " الفاعل مكون من مكونات الجملة العربية يؤدي وظيفة دلالية (دور المنفذ)، ووظيفة تركيبية (فاعل)، ووظيفة تداولية (محور أو بؤرة)، وهو حد موضوع؛ أي أنه: يلعب دورا أساسيا في الواقعة التي يشير إليها المحمول، في حين تؤثر الحدود اللواحق في تخصيص ظروف الواقعة كالمكان، والزمان وغيرها" [2].

وينفرد الفاعل بالإسناد إليه الدور الدلالي "المنفذ" إذ لا يمكن أن يسند هذا الدور الدلالي إلى المفعول، كذلك من خصائص الفاعل في النحو الوظيفي أنه لا يتقدم على الفعل، فإذا تقدم أصبح مبتدأ، وليس فاعلا، ويتفق هذا مع رأي أغلب النحاة، ويبرر "أبو البركات الأنباري" عدم جواز تقديم الفاعل على الفعل بقوله: "فإن قيل: فلم لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل ؟؛ قيل: لأن الفاعل تنزل منزلة الجزء من الفعل " [3].

ب – المفعول: المفعول في نموذج "النحو الوظيفي" هو وظيفة تركيبية، تأتي من حيث الرتبة بعد الفاعل، وتسهم في الربط بين البنية الحملية، والبنية المكونية، وتلازم هذه الوظيفة الحالة الإعرابية النصب، والمتفق عليه حسب تصور "النحو الوظيفي" أنه لا يمكن في جميع اللغات أن تسند إلى هذه الوظيفة الدور الدلالي المنفذ، إلا في حالات شاذة جدا، وبالنسبة للغة العربية فإن مفهوم الوظيفة لا يطابق مفهوم "المفعول به عند النحاة العرب، لأن ما يطلق عليه مفعولا في "النحو الوظيفي" هو "وظيفة تركيبية تسند حسب شروط معينة إلى حدود حاملة لوظائف دلالية بما فيها الحدود التي

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1998 م، ج 03، ص 427.

[2] عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص 343.

[3] ينظر: أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تح فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 01، 1995 م، ص 89، و أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 48.

يعدها النحاة العرب القدماء "مفعولا مطلقا"، و"مفعولا فيه"... فالمفعول المطلق –مثلا– حد حامل للوظيفة الدلالية "الحدث" لا يمكن أن يشكل "المنظور الثاني" للوجهة بعد الفاعل، فيأخذ الوظيفة التركيبية المفعول" [1].

وإن جاز أن تسند إلى الوظيفة التركيبية "المفعول" الوظائف الدلالية التالية "المستقبل"، و"المتقبل"، و"الحدث"، و"الزمان"، و"المكان"، إلا أنه "يمتنع إسناد المفعول في اللغة العربية، إلى الحدود الحاملة للوظائف الدلالية "الحال"، و"العلة" (المفعول لأجله)، و"المصاحب" (المفعول معه)، و"الأداة"، و"المستفيد" كما يدل على ذلك لحن الجملتين التاليتين: "اشتري زيد هندا سوارا"، أو: "كتبت القلم الرسالة" [2].

ويفهم من هذا أن المفعول يسند إليه الدوران الدلاليان "المستقبل"، و"المتقبل" على التوالي، بحيث إذا لم يكن هناك الدور الهلالي المستقبل يسند إليه دور المتقبل وهكذا.

02 – الوظائف الدلالية: الوظائف الدلالية هي وظائف ناتجة عن "البنية الحملية"، ذلك أن هذه البنية كما رأينا سابقا تتضمن بنية الحمل، وبنية الدلالة، وتتكون بنية الحمل من أطر حملية تضم محمولات، وحدود، حيث يدل كل محمول على واقعة، تكون هذه الواقعة إما عملا، أو حدثا، أو وضعا، أو حالة، وتدل الحدود على المشاركين في هذه الواقعة، "وتتحدد وظيفة كل حد طبقا لنوع مشاركته في الواقعة الدال عليها المحمول، فهو إما "منفذ"، أو "متقبل"، أو "مستقبل" حين تكون الواقعة "عملا" كما في الجملة التالية: – "أعطى خالد (منفذ) عليا (مستقبل) كتابا (متقبل)"، وهو "قوة" إذا كانت الواقعة حدثا: "دوى الرعد (قوة)"، ومتموضع و "حائل" حين تكون الواقعة و"وضعا" أو "حالة"؛ نحو: "جلس خالد (متموضع)"، و"هند (حائل) فرحة".

هذا بالنظر إلى الحدود الواردة موضوعات، أما الحدود اللواحق فإنها تأخذ وظائف دلالية ظرفية وظائف "الزمان"، و"المكان"، و"الأداة"، و"الحال"، و"العلة" وغيرها، ومن أمثلة ذلك [3]:

أ. قابلني خالد مبتسما (حال).

ب. رأيت هند البارحة (زمان) في الشارع (مكان).

ت. قطعت هند اللحم بالسكين (أداة).

ث. أخرجت هند من القاعة عقابا لها (علة).

03 – الوظائف التداولية: الوظائف التداولية هي وظائف وضعت بناء على وجود مجموعة العناصر التي تؤثر في الخطاب اللغوي، وتتحكم في توجيهه، ومن جملة هذه العناصر المقام، ومقصد المتكلم، وطبيعة العلاقة الموجودة بينه، وبين المخاطب وعليه "فالوظائف التداولية حسب النحو الوظيفي، وظائف تستند إلى مكونات الجملة بالنظر إلى ما يربط بين

---

[1] أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية، ص 66.

[2] نفسه، ص 66.

[3] ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي"، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2001 م، ص 196.

هذه المكونات في البنية الإخبارية؛ أي: بالنظر إلى المعلومات التي تحملها هذه المكونات في طبقات مقامية معينة، بعبارة أخرى تسند الوظائف التداولية إلى مكونات الجملة طبقا للعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة" [1].

وقسم "سيمون ديك" الوظائف التداولية إلى قسمين: وظيفتين خارجيتين هما: المبتدأ "*Theme*"، والذيل "*Tail*"، ووظيفتين داخليتين هما: البؤرة "*Focus*"، والمحور "*Topic*"، وأقيم هذا التصنيف على أساس وضع الوظائف بالنسبة للحمل "بمعنى أن الوظيفتين الأوليتين تسندان إلى مكونين خارجين عن الحمل في حين أن الوظيفتين الثانيتين تسندان إلى مكونين يعتبران جزئين من الحمل ذاته" [2]، وقد أضاف "أحمد المتوكل" وظيفة خارجية أخرى هي "المنادى"، وبهذا تكون عدد الوظائف التداولية في النحو الوظيفي خمس وظائف هي: البؤرة، المحور، المبتدأ، الذيل، المنادى.

01 – الوظائف الداخلية:

I. البؤرة: يعرف "سيمون ديك" البؤرة بأنها الوظيفة التداولية التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية، أو الأكثر بروزا في الجملة [3]، ونعرف المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية من خلال طريقة نطق المتكلم لهذا المكون، وما يلحقه بكلامه من نبر، أو تنغيم، أو استفهام، أو تعجب، حيث تظهر هذه الظواهر الصوتية العنصر الذي يركز عليه المتكلم في كلامه، ليبلغ السامع المعلومة التي يجهلها، أو يشكك فيها، أو ليستفسر منه وعلى هذا قسم النحو الوظيفي البؤرة من حيث وظيفتها إلى قسمين: "بؤرة الجديد"، و"بؤرة المقابلة".

1. **بؤرة الجديد:** وهي "البؤرة التي تسند إلى العبارة (مكون، أو حمل) الحاملة للمعلومة التي يجهلها المخاطب، أو المتكلم (في حالة الاستفهام)" [4]، وهذا يعني أن المخاطب يتعرف على المعلومة الجديدة من خلال هذه البؤرة، وتطابق هذه البؤرة طبقة مقامية تشتمل على مقامين:
   أ. مقام (1): يجهل المخاطب المعلومة التي يقصد المتكلم إعطاءه إياها، (أو يعتبر المتكلم أن المخاطب يجهلها).
   ب. مقام (2): يجهل المتكلم المعلومة التي يطلب من المخاطب إعطاءه إياها (في حالة الاستفهام)" [5].
2. **بؤرة المقابلة:** وهي البؤرة "التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها، أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها" [6]، وهذا يعني أن هذه البؤرة وظيفتها أن تؤكد، أو تثبت، أو تصحح بذلك الشك، والالتباس، وتظهر هذه البؤرة من خلال طبقتين مقاميتين:
   أ. **الطبقة المقامية الأولى:** تشتمل على مقامين:

---

[1] أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، 1993 م، ص16.

[2] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 17.

[3] نفسه، ص 28.

[4] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 130.

[5] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 130.

[6] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 29

المقام الأول: يتبدى من خلال هذا المقام أن المخاطب لديه مجموعة من المعلومات يشك في إحداها، فيزول الشك عندما ينتقي المتكلم المعلومة التي يراها صحيحة.

المقام الثاني: ويبرز هذا المقام في حالة الاستفهام الذي يأتي على شكل طلب يطلب من خلاله المتكلم من المخاطب إبلاغه بالمعلومة الصحيحة من جملة ما يملكه من المعلومات.

ب. **الطبقة المقامية الثانية:** يظهر في هذه الطبقة أن المتكلم يصحح ما لدى المخاطب من معلومة خاطئة.

ويمكن أن نفرق بين "بؤرة الجديد"، و"بؤرة المقابلة" انطلاقا من السؤال والجواب، فعندما نجيب عن سؤال السائل: من جاء ؟ بالجواب: جاء زيد فـ"زيد" هنا مكون يحمل "بؤرة الجديد"، لأن المخاطب في هذه الحالة – يجهل الذي جاء، وعندما يكون السؤال: من جاء زيد، أم علي ؟ فيجاب بـ"زيد" هو الذي جاء، أو الذي جاء زيد، ويكون زيد في كلا الجوابين يحمل "بؤرة المقابلة" لأن المخاطب يملك معلومتين، ويريد الصحيحة منهما.

وتنقسم البؤرة على أساس مجال (محل) الوظيفة إلى قسمين: "بؤرة المكون"، و"بؤرة الجملة" (بؤرة الحمل)، ذلك أن البؤرة كما يمكن أن تسند إلى مكون مفرد بالإمكان أيضا إسنادها إلى مكون جملة أو الحمل، كما هو الحال في جملة: "علي عاد أبوه من السفر"، إذ أسندت البؤرة هنا إلى جملة "عاد أبوه من السفر"، وهي "بؤرة الجديد".

ويشير "أحمد المتوكل" أثناء حديثه عن "بؤرة الحمل" إلى أن أداة الاستفهام (الهمزة) تدخل على الجمل المسندة إليها "بؤرة المقابلة"، ولا تدخل على الجمل المسندة إليها "بؤرة الجديد" كما هو الشأن بالنسبة لجملة: "أحضر الضيوف؟"، وهذا على عكس أداة الاستفهام "هل" "فإنها تدخل على الجمل التي تكون فيها البؤرة "بؤرة جديد" من حيث نوعها، و"بؤرة جملة" من حيث مجالها فهذه الأداة بعبارة أخرى لا تدخل على الجمل التي تحتوي على مكون مبأر، ولا على الجمل التي تكون البؤرة المسندة فيها إلى الجملة برمتها بؤرة مقابلة [1].

II. المحور: المحور حسب تعريف "سيمون ديك" و"أحمد المتوكل" هو وظيفة تداولية داخلية "تسند إلى الحد الذي يشكل "محط الحديث" في الحمل بالنسبة لمقام معين " [2]؛ والمقصود بوظيفة داخلية أنه يسند إلى حد يكون جزءا من الحمل وليس خارجا عنه، والمقصود بـ"حط الحديث" أن الحديث يتجه نحوه فيكون هو المحدث عنه، والفرق بين البؤرة، والمحور هو أن البؤرة موضع استفهام أو استفسار من قبل المتكلم أو المخاطب، بينما المحور ليس كذلك، بل هو موضع الحديث، ولا يحمل أية وظيفة تداولية أخرى، ويتضح مكان إسناد وظيفة المحور من بعض الجمل التي يقترحها "أحمد المتوكل" من هذه الجمل ما يلي [3]:

أ. متى رجع **زيد** ؟، رجع زيد البارحة، رجع **البارحة** زيد.

ب. من قابل **زيدا** ؟، قابل **زيدا** عمرو.

ت. اللحم **الرطل** بعشرين درهما، في الدار **رجل**، الضيوف حضر**وا** (واو). . الطالبان نجحا (الألف).

---

[1] نفسه، ص 33.

[2] نفسه، ص 67.

[3] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 68.

فما تحته خط من هذه الجمل هو الذي أسندت إليه الوظيفة التداولية المحور، لأنه هو محط الحديث، أو المحدث عنه، وليس موضع الاستفهام، ولو كان كذلك لأسندت إليه الوظيفة التداولية البؤرة، وتسند الوظيفة التداولية المحور إلى أي مكون من مكونات الحمل دون استثناء، شرط ألا يكون المحور يحمل وظيفة تداولية أخرى، سواء كانت داخلية، أو خارجية، فكما يمكن إسناده إلى الوظيفتين التركيبيتين الفاعل والمفعول، بالإمكان كذلك إسناده إلى المكونات التي تحمل وظائف دلالية كالمستقبل، والمتقبل، والزمان، والمكان، والأداة وغيرها، غير أن وظيفة المحور غالبا ما تسند إلى الوظيفة التركيبية الفاعل، والوظيفة التداولية المحور غير مسؤولة عن تحديد الحالة الإعرابية، لأن المكون الذي أسندت هذه الوظيفة هو الذي يحدد الحالة الإعرابية، فإذا أسند المحور إلى الفعل يأخذ الحالة الإعرابية الرفع، وإذا أسند إلى المفعول يأخذ حالة النصب، والشأن نفسه حين إسناده إلى المكونات التي تحتل وظيفة دلالية، كما أن المكون الذي تسند إليه الوظيفة التداولية المحور هو المسؤول عن تحديد مواقع هذه الوظيفة.

02 – الوظائف الخارجية:

أ. المبتدأ: المبتدأ في النحو العربي هو "الاسم صريحا، أو مؤولا مجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة مخبرا عنه، أو وصفا لمكتفى به" [1]، وهذا التعريف يدل على أن المبتدأ يأتي مفردة، أو مؤولا بجملة نحو قوله تعالى: ﴿ **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [البقرة: 184]، جملة "أن تصوموا" في محل رفع مبتدأ، والأصل في المبتدأ في اللغة العربية أن يكون معرفة، لأن النكرة مجهولة –غالبا– غير أنه يجوز الابتداء بالنكرة في حالات معينة أفادت معنى عام، أو خصصت، أما المبتدأ "*therme*" في "النحو الوظيفي" فهو ليس وظيفة تركيبية كالفاعل والمفعول، وإنما هو وظيفة تداولية له خصائصه تميزه عن بقية الوظائف سواء منها التركيبية، أو الدلالية، ويعرفه "سيمون ديك" بقوله: "هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا" [2]، فأول خاصية يتميز بها المبتدأ عن الوظائف التركيبية والدلالية، وتشركه مع سائر الوظائف التداولية هو ارتباط المبتدأ بالمقام الذي يمكن أن يحدث فيه، بمعنى أن تحديد الوظيفة التداولية المبتدأ لا يتم "إلا انطلاقا من الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة" [3]، وهذا يستدعي أن هذه الوظيفة لا تخرج على علم المتكلم بما يحيط به من العالم الخارجي؛ فجملة "زيد قام أبوه" تتكون من: – حمل (قام أبوه)، مبتدأ (زيد) وهو الذي يحدد المجال الذي يعتبر إسناد مجموع الحمل إليه واردا، والمكون الذي تلحقه هذه الوظيفة تلزمه الحالة الإعرابية الرفع، ذلك أن وظيفة المبتدأ هي نفسها المسؤولة عن تحديد الحالة الإعرابية.

ويختلف المبتدأ عن المحور رغم اشتراكها في جملة من الخصائص، كأن يتصدر كلاهما الجملة، ويكون كل واحد منهما محدثا عنه، ويكمن الفرق الأساسي بين المبتدأ، والمحور هو أن المبتدأ وظيفة خارجية، في حين أن المحور وظيفة

---

[1] عبد الرحمن بن علي المكودي، شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2005 م، ص 36.

[2] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 115.

[3] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 116.

داخلية؛ أي: وظيفة من الوظائف التي تنتمي إلى الحمل" [1]، فـ"زيد" و "أبوه" في جملة "زيد أبوه مسافر" كلاهما محدث عنه، إلا أن زيدا محدث عنه خارج الحمل، وأبوه محدث عنه داخل الحمل، كما أن جملة "أبوه مسافر" حديث عن زيد بوصفه مجال الخطاب، وفرق آخر بين "المبتدأ" و"المحور"؛ هو أن المحور ليس شرطا أن تكون له الصدارة في الجملة، بينما وظيفة المبتدأ يلزم أن تلحق المكون الذي يتصدر الجملة، أما الفرق بين "المبتدأ" و"البؤرة" فيتمثل في أن البؤرة تحمل معلومة جديدة يجهلها المخاطب، أو يشك فيها، بينما المبتدأ يشكل نقطة معرفية مشتركة بين المتكلم والمخاطب، زيادة على أن البؤرة وظيفة تسند إلى مكون داخل الحمل بين المبتدأ وظيفة خارجية.

ب – الذيل: يتضح مفهوم الوظيفة التداولية الخارجية "الذيل" من عبارة "أحمد المتوكل": "يحمل الذيل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل، أو تعد لها، أو تصححها" [2]، وبناء على هذا التعريف فوظيفة "الذيل" عند "أحمد المتوكل" تنقسم إلى ثلاثة أقسام: "ذيل التوضيح" و"ذيل التعديل" و"ذيل التصحيح":

1. **ذيل التوضيح**: وتظهر هذه الوظيفة عندما تصدر من المتكلم جملة ثم يلاحظ أنها ليست واضحة فيضيف إليها ما يزيل الإبهام، وهذا مثل جملة: "منزله قريب علي" فـ"علي" مكون أسندت إليه وظيفة أزالت إبهام الضمير في "منزله"، وتطابق هذه الوظيفة وظيفة المبتدأ المؤخر عند النحاة العرب القدماء.
2. **ذيل التعديل**: وهي وظيفة يعدل من خلالها المتكلم معلومة يرى أنها ليست المقصود من كلامه، أو ليس هي ما يريده بالضبط، وهذا مثل قولنا: أعجبني صالح حديثه، أو أنفقت المال نصفه، فـ"حديثه"، و"نصفه" ذيلا تعديل، وهما يطابقان البدل عند نحاتنا القدامى.
3. **ذيل التصحيح**: يظهر من خلاله أن المتكلم يتدارك الخطأ الذي وقع في المعلومة التي قالها فيصححها بمعلومة أخرى، وتأتي هذه الوظيفة بعد حرف الإضراب "بل"؛ مثل: "شربت الآن شايا بل قهوة"، فالمكون "قهوة" يحمل وظيفة ذيل التصحيح، وهو يطابق وظيفة "المشرب به" في النحو العربي.

ج – المنادى: الوظيفة التداولية "المنادى" هي وظيفة اقترحها "أحمد المتوكل" ذلك أن الوظائف التداولية عند "سيمون ديك" أربع فقط؛ ورأى أنه لا يمكن الإعراض عنها لأنها موجودة في جميع اللغات الطبيعية، والنحو الوظيفي بدوره يسعى إلى تحقيق الكفاية، ويعرف هذه الوظيفة بقوله: "المنادى وظيفة تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادي في مقام معين" [3]، وهو بهذا التعريف يميز بين "النداء" بوصفه فعلا لغويا مثل: الاستفهام، والأمر، والوعيد، وبين المنادى كوظيفة تسند إلى المكون الذي ينادي عليه في الجملة، وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالمقام، ورغم أن "أحمد المتوكل" يميز مثل النحاة العرب بين "المنادى"، و"المندوب"، و"المستغاث " إلا أنه يعتبرها أنواعا ثلاثة لوظيفة واحدة هي "المنادى"، وبهذا يقترح أن يكون هناك "منادى النداء"، و"منادى الندبة"، و"منادى الاستغاثة".

---

[1] نفسه، ص 132.

[2] نفسه، ص 147.

[3] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 162.

أما بالنسبة للحالة الإعرابية التي يأخذها المكون المسندة إليه الوظيفة التداولية المنادى، فإن "أحمد المتوكل" يوافق النحاة العرب في أن المنادى إذا كان "معرفة، أو نكرة مقصودة بني على ما كان يرفع به، وإذا كان نكرة غير مقصودة، أو مضافا، أو مشبها به نصب" [1]، والمنادى في جميع هذه الحالات في محل نصب على المفعولية لفعل محذوف تقديره "أدعو "، وفي هذه النقطة يوافق "أحمد المتوكل" على شق منها، ويعارض على الشق الآخر، فالمكون المنادى عنده في محل نصب لكن ليس لفعل محذوف، وإنما بمقتضى وظيفته التداولية الخارجية نفسها، وهذا لأن "المكون المنادى باعتباره مكونا خارجيا، لا يحمل وظيفة دلالية، ولا وظيفة تركيبية تحدد إعرابه" [2].

أما أدوات النداء فيرى "أحمد المتوكل" أن هناك ثلاث أدوات مهمة من ثمان، التي تستعمل في اللغة العربية المعاصرة هذه الأدوات هي "أيها"، و"يا"، و"أ"، ورغم أن النحاة يعتبرون أن أداة النداء "أيها" تتركب من "أي" الموصولة وأداة التنبيه "ها" إلا أنه في الوقت الحالي تعتبر أداة واحدة تدخل على المنادي مثلها مثل باقي الأدوات، ولا تدخل هذه الأداة على المنادى العلم، وإذا خصص المنادى بالألف واللام، فإنه لا تسبقه إلا هذه الأداة، وإذا كان المنادى غير مخصص بالألف واللام فإنه لا تسبقه إلا أداة النداء "يا" [3]، ويخلص "أحمد المتوكل" من حديثه عن الوظائف التداولية الخمس إلى تنميط الجمل على أساس هذه الوظائف إلى:

1. الجمل المبتدئية: ذات البنية: مبتدأ (حمل).
2. الجمل المذيلة: ذات البنية: (حمل)، ذيل.
3. الجمل البؤرية.
4. الجمل المحورية.
5. الجمل الندائية.

إن ما يمكن أن نصل إليه بعد هذه القراءة الأولية لنموذج النحو الوظيفي عند "سيمون ديك" و"أحمد المتوكل" هو أن هذ النموذج مترجم إلى العربية باستعمال مصطلحات علوم مختلفة، كعلم المنطق، وهذا مثل مصطلحي: المحمولات والموضوعات، لذلك تجد هناك اختلافا كبيرا بين هذا النموذج، والنحو العربي، سواء من حيث المصطلحات، أو من حيث المفاهيم، ويظهر هذا في بعض الوظائف، كوظيفتي: "المفعول" و"المبتدأ"، بالرغم من أن هذا النحو يطمح لأن يحقق الكفاية النمطية، إلا أنه يصعب تطبيقه على اللغة العربية، ولذلك نادرا ما نجد "أحمد المتوكل" يستشهد في كتاباته بأية، أو بيت شعري، أو حديث نبوي، وهذا لأن اللغة سابقة للقواعد، وليس العكس.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تح فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 01، 1995 م.

[1] بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث ودار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط 20، 1980 م، ج 02، ص 259.

[2] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 176.

[3] نفسه، ص 168.

2. أحمد المتوكل وآخرون، قضايا المنهج في اللغة والأدب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية.
3. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار عكاظ للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1989م.
4. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1985 م.
5. أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، 1993 م.
6. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1986 م.
7. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي"، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2001 م.
8. أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية "الوظيفة المفعول في اللغة العربية"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1987 م.
9. أحمد المتوكل، من قضايا الرابط في اللّغة العربية، دار عكاظ للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1987 م
10. بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث ودار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط 20، 1980 م.
11. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1998 م.
12. عبد الرحمن بن علي المكودي، شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2005 م.
13. عبد الفتاح علي حسن البجة، ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية بين علماء اللغة القدامى والمحدثين، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 1958 م.
14. عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء، عمان الأردن، ط 01، 2002 م.
15. محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية "اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية"، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، ط 01، 2001 م.
16. يحي بعيطيش، النحو العربي بين التعصير والتيسير، أعمال ندوة تيسير النحو العربي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2001 م.

المحاضرة الثالثة عشرة

مدرسة أوكسفورد

توطئة:

تنطلق "الفلسفة اللسانية لمدرسة أكسفورد" من "التحليل اللغوي" "*Analyse linguistique*" كأساس لمعالجة المشكلات الفلسفية، والتعبير عنها باللغة العادية، وذلك من منطلق إيمانها بأن "اللغة العادية صحيحة تماماً"، وأنها بالتالي يمكن أن تفي بمتطلبات البحث الفلسفي، وكذلك ترتكز "فلسفة أكسفورد اللسانية" على نقد "المثالية" [1] "*Idéalisme*" بل واستبدالها بـ "فلسفة اللغة العادية"، والاهتمام بتفسير المفاهيم، و"منطق التعبيرات" " *logique des expressions*"، وذلك بإحالة مشكلات الفلسفة إلى مسائل لغوية.

لذلك أكد الفيلسوف "ستراوسون" "*Peter Frederick Strawson*" ضرورة الاهتمام بتوضيح الأفكار عن طريق الاستعمال الدقيق لمنطق التعبيرات اللفظية، كما أكد الفيلسوف اللساني "أوستين" " *John Langshaw Austin*" أن اللغة العادية تقوم على أسس متينة تستحق الاهتمام.

و"مدرسة أكسفورد اللسانية" لا تمثل مدرسة فلسفية ذات أسس راسخة ثابتة بالمعنى التقليدي بقدر ما تمثل حركة فلسفية عامة، ومع ذلك يمكننا القول إن أنصارها تجمعهم اهتمامات مشتركة وإن كانت أهدافهم متباينة أحياناً، ومن هذه الاهتمامات: "البدء من اللغة العادية"، و"توضيح منطق الاستعمالات الخاصة بالمصطلحات"، و"تحديد المعنى عن طريق الاستعمال في ظل الشروط الملائمة"، ورفض الشعارات العامة من قبيل "الفلسفة هي التركيب المنطقي للغة"، و"معنى القضية هو منهج تحقيقها"، ولذلك ينطلق منهج "أوستين" أساساً من "اللغة العادية"؛ وهي اللغة التي يجري التحدث بها قبل تنظيرات المتخصصين "لغة الرجل العادي"؛ وذلك لأسباب كثيرة منها:

1. أن اللغة العادية تحتوي على تمييزات جيدة، إذا ما جرى اكتشافها بالتفصيل يمكننا أن نصل إلى بعض الاتفاقات، وبالتالي التقدم في المناقشات الفلسفية.
2. كفاءة اللغة العادية، والتي تظهر في أن مصطلحاتها، وتعبيراتها تجسد الخبرات، والفطنات الموروثة من الكثير من الأجيال، ولقد واجهت اختباراً طويلاً، ومع ذلك ظلت حية.
3. يمكن عن طريقها وضع مجموعة من التمييزات اللغوية التي تكسبنا فهماً للعالم غير اللغوي الذي تستعمل اللغة للتعبير عنه.
4. أن تنوعها اللفظي محدد لكي يزودنا بمفاتيح التمييزات المهمة بصورة أفضل من أي مفردات اصطناعية.
5. أنها تساعدنا على تصحيح الأحكام التحكمية التي نجدها في الفلسفة.

ومع كل ذلك يؤمن "أوستين" بأن اللغة العادية ليست مقدسة، أو ليست الكلمة الأخيرة، بل هي الكلمة الأولى، ولذلك فهي تحتاج في كثير من الأحيان إلى تهذيب.

---

[1] "المثالية" هي المجموعة المتنوعة من الفلسفات الميتافيزيقية التي تؤكد أن "الواقع" بطريقة، أو بأخرى لا يمكن تمييزه، أو فصله عن الفهم، والإدراك البشري؛ إنه بشكل ما مجبول في العقل، أو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأفكار، ووفقًا "لإيمانويل كانت" "*Emmanuel Kant*" أحد رواد الفكر المثالي الحديث، "لا تُعنى المثالية بوجود الأشياء لكنها تؤكد فقط أن أنماط تمثيلنا لها، فوق كل زمان ومكان، ليست قرارات تعود إلى الأشياء في حد ذاتها، بل سمات أساسية لعقولنا الخاصة".

أقطاب "مدرسة أكسفورد"

"جون لانجشو أوستين" "*John Langshaw Austin*"

"جون لانجشو أوستين" ولد "بلانكستر" "*Lancaster*" "ببريطانيا" يوم 26 مارس 1911، وفيلسوف ولغوي بريطاني، ومن أبرز مؤيدي "فلسفة اللغة العادية" "*Philosophie du langage ordinaire*"، وربما اشتهر بتطوير "نظرية أفعال الكلام" "*théorie des actes de langage*" [1].

أشار "أوستين" إلى أننا نستخدم اللغة لفعل الأشياء، وكذلك لتأكيد الأشياء، وأن النطق بعبارة مثل "أتعهد بأن أفعل كذا وكذا" يُفهم بشكل أفضل على أنه فعل شيء – تقديم وعد – بدلاً من تقديم تأكيدا على أي شيء، ومن هنا جاء اسم أحد أشهر أعماله "كيف تفعل الأشياء بالكلمات" "*How to Do Things with Words*"؛ إذ يقدم "أوستين" في تقديم "نظريته عن أفعال الكلام" تحديًا كبيرًا لفلسفة اللغة أبعد من مجرد توضيح فئة من أشكال الجملة الصرفية التي تعمل على فعل ما يسمونه، يشير عمل "أوستين" في نهاية المطاف إلى أن كل الكلام، وكل الكلام هو فعل شيء ما بالكلمات والإشارات، مما يتحدى ميتافيزيقيا اللغة التي من شأنها أن تفترض التأكيد الدلالي، والافتراضي على أنه جوهر اللغة والمعنى، توفي "جون لانجشو أوستين" يوم 8 فبراير 1960 في "أكسفورد" "*Oxford*" "ببريطانيا" عن عمر ناهز 48 سنة، من أهم مؤلفاته:

1961,Philosophical Papers.
1962, How to Do Things with Words.
1962, Sense and Sensibilia.

كتاب "كيف تفعل الأشياء بالكلمات"

ربما يكون كتاب "كيف تفعل الأشياء بالكلمات" "*How to Do Things with Words*" هو أكثر أعمال "أوستين" تأثيرًا، على عكس "النظرة الوضعية" "*Positivisme*"، كما يجادل فإن الجمل ذات قيم الحقيقة لا تشكل سوى جزء صغير من نطاق الكلام، فبعد إدخال عدة أنواع من الجمل التي يؤكد أنها ليست صحيحة، ولا خاطئة، يتجه بشكل خاص إلى أحد هذه الأنواع من الجمل، والذي يسميه "الكلام الأدائي" "*Performativité*" [2].

ينتمي الإجراء الذي يتم تنفيذه عند إصدار "الكلام الأدائي" إلى ما يسميه "أوستين" لاحقًا "فعل الكلام" [3]، وبشكل أكثر تحديدًا نوع الإجراء الذي يدور في ذهن "أوستين" هو ما يسميه لاحقًا "أفعال غير لفظية إنجازية" "*Fonction illocutoire*"؛ على سبيل المثال: عندما يقول أحدهم على مائدة العشاء: "هل يوجد ملح ؟"، فإن الفعل غير اللفظي (الإنجازي) هو الطلب: "من فضلك أعطني بعض الملح"، على الرغم من أن الفعل اللفظي (الجملة

---

[1] *Warnock G. J, John Langshaw Austin, a biographical sketch, Symposium on J. L. Austin, ed. K.T. Fann, Humanities Press, New York, USA, 1969, p 03 .*

[2] *Austin, How to Do Things with Words, Second Edition, Oxford University Press, Oxford, United Kingdom, 1975, p 05.*

[3] *Austin, How to Do Things with Words, p 40.*

الحرفية) كان يطرح سؤالاً عن وجود الملح، وقد يكون الفعل التأثيري (التأثير الفعلي) هو المتسبب في قيام شخص ما بتمرير الملح، فبعد العديد من المحاولات للعثور على المزيد من خصائص الأداء، وبعد أن واجه العديد من الصعوبات، يقوم "أوستين" بما يسميه "بداية جديدة"، حيث يعتبر "بشكل عام الحواس التي يمكن من خلالها قول شيء ما، القيام بشيء ما، أو في قول شيء ما نفعله".

"جون روجرز سيرل" "*John Rogers Searle*" "

"جون روجرز سيرل" من مواليد 31 جويلية 1932، هو فيلسوف ولغلساني أمريكي، عمل كأستاذ فخري في "فلسفة العقل" "*Philosophie de l'esprit*"، و"فلسفة اللغة" "*Philosophie du langage*"، وأستاذ بكلية الدراسات العليا "بجامعة كاليفورنيا بيركلي" "*University of California, Berkeley*"، معروفٌ على نطاقٍ واسع لمساهماته في فلسفة اللّغة، وفلسفة العقل، والفلسفة الاجتماعيّة، وبدأ التّدريس في "جامعة بيركلي" في عام 1959.

كطالب جامعي في "جامعة ويسكونسن" "*Université du Wisconsin*"، كان "سيرل" أمين سر لمجموعة "طلاب ضد "جوزيف مكارثي" "*Joseph McCarthy*""[1]، وحصل على جميع شهاداته الجامعية "الليسانس، والماجستير، والدكتوراه" من "جامعة أوكسفورد"، وأصبح في وقت لاحق أول أستاذ دائم ينضم إلى "حركة حرية التعبير" "*Free Speech Movement*" عامي 1964-1965 في "جامعة بيركلي في كاليفورنيا"، في أواخر ثمانينات القرن الماضي تحدّى "سيرل" القيود التي فرضها قانون بيركلي لإقرار الإيجار في 1980عام والذي أصبح يعرف فيما بعد باسم "قرار سيرل" الصادر عن "محكمة العدل العليا في كاليفورنيا" عام 1990، لهذا السبب غيرت "بيركلي" سياسة التحكم في الإيجارات، مما أدى إلى زيادة كبيرة في الإيجارات بين عامي 1991 و 1994.

في عام 2000 حصل "سيرل" على "جائزة جان نيكود" "*Prix Jean-Nicod*"، وفي عام 2004 حصل على "ميدالية العلوم الإنسانية الوطنية" "*Médaille nationale des sciences humaines*"؛ وحاز سنة 2006 على "جائزة العقل والدماغ" "*Prix Esprit et Cerveau*"، درس "سيرل" في أولى سنوات عمله "علم الكلام" الذي كان أول عوامل تأسيس سمعته، متأثرا بـ "أوستين"، و"لودويغ ويتغينستن" "*Ludwig Wittgenstein*"، ومن أهم مؤلفاته "سيرل":

1969, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language .
1971, The Campus War.
1979, Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts.
1983, Intentionality.
1984, Minds, Brains and Science.

[1] "جوزيف ريموند مكارثي" (1908 – 1957) نائب جمهوري في الكونغرس الأمريكي من "ولاية ويسكنسن" في الفترة ما بين عام 1947 إلى عام 1957، وقد ذاعت شهرته نتيجة ادعائه بدون دليل أن هناك عدد كبير من الشيوعيين، والجواسيس السوفيت، والمتعاطفين معهم داخل الحكومة الفيدرالية الأمريكية وفي النهاية أدى نهجه إلى ضعف مصداقيته وتعنيفه رسمياً بواسطة مجلس الشيوخ الأمريكي وقد ظهر مصطلح المكارثية عام 1950 في إشارة إلى ممارسات مكارثي وتم استخدام هذا المصطلح بعد ذلك للتعبير عن الإرهاب الثقافي الموجة ضد المثقفين.

1985, Foundations of Illocutionary Logic .
1992, The Rediscovery of the Mind .
1995, The Construction of Social Reality .
1997, The Mystery of Consciousness .
1998, Mind, Language and Society: Philosophy in the Real World.
2001, Rationality in Action .
2002, Consciousness and Language .
2004, Freedom and Neurobiology .
2008, Philosophy in a New Century.
2010, Making the Social World.
2014, What Your Computer Can't Know.
2015, Seeing Things As They Are: A Theory of Perception.

نظرية الأفعال الكلامية عند "جون أوستين" و"جون سيرل":

تتعدد وظائف اللغة بتعدد زوايا النظر إليها، ورغم أهمية كل وظيفة إلا أن للغة من "مدرسة أكسفورد" وعلى رأسها "أوستين" و"سيرل" وظيفتان أساسيتان ترتبطان بمقاصد المتكلم من جهة، ووضعه الاجتماعي من جهة أخرى، فالناس عندما يتحدثون لا يفعلون ذلك لمجرد تحريك جوارح النطق، وإصدار الأصوات؛ ولكن ليقدموا من خلال كلامهم وظيفتين هما: "الوظيفة التعاملية" المتمثلة في دور اللغة في نقل المعلومات، و"الوظيفة التفاعلية" التي تبنى وفقها العلاقات الاجتماعية، وتتحقق من خلالها أغراض الكلام، ولكي يكون الحديث عن "نظرية أفعال الكلام" ملما بجوانب الموضوع، وجب التطرق إلى مساهمات كل من "أوستين" و"سيرل"، لأن جهودهما في هذا الحقل التداولي ذات أهمية قصوى، ولعل المحور الأساسي لأعمالهما التحليلية يتمثل في الأفعال الإنشائية، وشروط استخدامها في السياقات المختلفة، ومستويات تحليلها، وصعوبات تصنيفها.

إنّ أوائل أعمال ودراسات "سيرل" والتي كانت لها الأهمية الكبرى في بناء سمعته، كانت حول الأفعال الكلامية، وحاول "سيرل" تجميع الأفكار من العديد من اللغويين بما في ذلك "جون أوستين" في كتاباته عن "الفعل التصادمي" من كتاب "كيف تفعل الأشياء بالكلمات" -السالف الذكر-، و"لادوينغ ويتجينستاين"، وأفكار "جيفري ميدغلي" "*Geoffrey Midgley*" حول "التمييز بين القواعد التنظيمية والقواعد التأسيسية" مع أطروحته الخاصة التي تفيد بأن هذه الأفعال تشكّلها قواعد اللغة، كما اعتمد على عمل "بول غرايس" "*Paul Grice*" في "تحليل المعنى في محاولة لفهمه"، و"هاري وستينيوس" و"فريديريك ستراوسن" "*Peter Frederick Strawson*" و"جون راولز" "*John Rawls*" و"ويليام ألستون" "*William Alston*" الذي أبقى على أن الجملة عبارة عن مجموعات من القواعد التنظيمية التي تتطلب من المتحدث القيام بتصرفات ذات معنى تعبر عن الجملة وأن هذه التصرفات تنطوي على نطق الجملة التي تشير (أولا) إلى أن الشخص الذي يؤدي الفعل، (ثانيا) إلى ما يعنيه الشخص بقوله، و(ثالثا) يخاطب الجمهور في المنطقة المجاورة.

الفصائل الكبرى للأفعال الكلامية

تنسب نظرية الأفعال –كما أسلفنا– للفيلسوف اللغوي الانجليزي "أوستين" الذي صاغها صياغة محكمة، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: هل نحت أوستين مصطلح فعل الكلام نحتا جديدا؟، أم كان المصطلح موجودا في الدراسات اللغوية السابقة، ثم خصصه لمفهوم مستحدث؟، والجواب يمكن استنتاجه في الحوار الذي يفيد إشارة تلميذ "أوستين" إلى اعتماد هذا الأخير على مبدأ التحويل الدلالي في صوغ المصطلح الجديد [1]، وعليه يمكن القول أن نظرية أفعال الكلام بالمفهوم الحديث من وضع الفيلسوف اللغوي الإنجليزي "جون لانشو أوستين" مؤسس "مدرسة أكسفورد التحليلية"؛ والذي حرص على دراسة الكلام العادي وفق معادلة بسيطة معناها حينما يعني القول الفعل: " ***Quand dire c'est faire***"، ولهذا الغرض قام بتحديد مستويات تحليل الفعل الكلامي، ثم تجميعه، وبعدها حصره ضمن خمس فصائل– أو بالأحرى– تفريعات كبرى، ولكن في هذا المقام لابد من الإشارة إلى نقطة هامة جدا تتعلق بالمحاضرات الاثني عشرة "أوستين" على النحو التالي:

1. في المحاضرة الأولى انطلق "أوستين" في دراسة العبارات الإنشائية، والحكم عليها في إمكانية احتمال الجملة للصدق، أو الكذب [2].
2. في المحاضرة الثانية أراد التوسع في شروط مطابقة الكلام لمقتضى الحال [3].
3. وفي المحاضرة الثالثة تحدث عن خروج الكلام عن مطابقة مقتضى الحال؛ أي عدم قصد النظم [4].
4. حاول في المحاضرة الرابعة أن يحدق في صلاحية الاستعمال اللغوي [5].
5. أشار في المحاضرة الخامسة إلى وجود ضوابط إخبارية، ومعيارية للعبارات الإنشائية [6].
6. تكلم في المحاضرة السادسة عن العبارات الإنشائية الصريحة، نحو قولك لأحدهم: أعدك أن أكون هناك [7].
7. تناول في المحاضرة السابعة الصيغ الفعلية في العبارات الإنشائية الصريحة [8].

---

[1] ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1993 م، ص 183، 184.

[2] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، ترجمة عبد القادر قينيني، دار افريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1991 م، ص 11 / 22.

[3] نفسه، ص 23 / 36.

[4] نفسه، ص 37 / 50، وينظر: جيل بلان، عندما يكون الكلام هو الفعل، ترجمة: هاشم صالح، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 05، 1989 م، ص 36 .

[5] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، ص 51 / 66.

[6] نفسه، ص 67 / 82.

[7] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، ص 83 / 100، وينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1985 م، ص 130 .

[8] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، ص 101 / 112.

8. قدم في المحاضرة الثامنة تصنيفا ثلاثيا لأفعال الكلام "فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام"، ثم تحدث عن فصائله الكبرى [1].
9. فرق في المحاضرة التاسعة بين قوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام [2].
10. أشار في المحاضرة العاشرة لمسألة تعارض اسم الفاعل في الإنجليزية [3].
11. تناول في المحاضرة الحادية عشرة ضروب الإثبات؛ أي إثبات العبارات الإنشائية وقوى أفعال الكلام [4].
12. تحدث في المحاضرة الثانية عشرة وهي الأهم عن أصناف قوة فعل الكلام [5].

حاول "أوستين" وضع ضوابط للتمييز بين الأفعال الكلامية من فئة الإنشاء والخبر، ولكنه لم يضع لها حدودا مانعة، لأن هناك أفعالا لا يمكن إنجازها إلا بالتلفظ بالفعل اللغوي صراحة [6]، غير أنّ ذلك لا يُقلل من قيمة أبحاثه لأنّه تمكن من صياغة الأدوات اللغوية للأفعال الإنجازية التي تعين مستمع الخطاب على التمييز بين الإنشاء والخبر وتبيان قصد المتكلم.

تصنيفات "أوستين" للأفعال الكلامية

أمّا عن التفريعات الكبرى لأفعال الكلام، فقد كانت خمسة نجملها فيما يلي [7]:

1. الأفعال الدالة على الحكم "*Actes Verdictifs*"
2. الأفعال الدالّة على الممارسة "*Actes Exercitifs*"
3. الأفعال الدالة على السيرة "*Actes Conductifs*"
4. الأفعال الدالة على الوعد "*Actes Commissifs*"
5. الأفعال الدالة على العرض "*Actes Expositis*".

فالمقصود بالأفعال الدالة على الحكم؛ تلك التي تقوم على الإعلان عن حكم، تتأسس على بداهة، أو أسباب وجيهة، تتعلق بقيمة، أو حدث، مثال: إخلاء الذمة، واعتباره مثلا، كوعد، ووصف، وحلل، وقدر، وصنف، وطبع.

أما بخصوص أفعال الممارسة القائمة على إصدار قرار لصالح، أو ضد سلسلة أفعال، مثال: أمر، وقاد، ودافع عن، وترجى، وطلب، وتأسف، ونصح، وغيرها كثير.

---

[1] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، ص 113 / 128.

[2] نفسه، ص 129 / 138.

[3] نفسه، ص 139 / 152.

[4] نفسه، ص 153 / 168.

[5] نفسه، ص 169 / 187.

[6] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م، ص 78 .

[7] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 1992 م، ص 25.

بينما الأفعال الدالة على السيرة، أو كما يسميها البعض "بالسلوكيات"، فهي ما يتعلق بردود فعل تجاه سلوك الآخرين، وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، مثل: الاعتذار، والشكر، والتهنئة، والترحيب، والنقد، والتعزية، والمباركة... وكذلك الاحتجاج، والأفعال الدالة على الوعد، أو التكليف نجدها من قبيل: وعد، وتمنى، والتزم بعقد، وضمن، وأقسم، والقيام بمعاهدة، والاندماج في حزب، وتستعمل الأفعال العرضية لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات، وضبط مراجع، نحو: أكد، وأنكر، وأجاب، واعترض، ووهب، وفسر، ونقل قولا [1]، ولكن هذا التصنيف كان عرضة لعدة صعوبات؛ رتبها "جون سيرل" بهذا الترتيب التصاعدي لأهميتها:

1. هناك ارتباك مستمر بين "الأفعال" "*verbes*" "والأفعال" "*acts*".
2. ليست كل الأفعال أفعالاً غرضية.
3. يوجد تداخل كبير أكثر مما ينبغي بين فئة الأفعال.
4. كثير من الأفعال المدرجة في فئات لا تفي بشروط التعريف المعطى للفئة.
5. لا يوجد مبدأ متين يقوم على أساسه التصنيف؛ إذ بين التسمية، والتوظيف لا توجد الدقة.

وكانت هذه الأسباب دافعاً "لسيرل" الذي اجتهد في وضع معايير أخرى لتصنيف أفعال الكلام لتفادي النقائص التي وقع فيها "جون أوستين".

تعديلات "جون سيرل"

استفاد "سيرل" من دروس "أوستين" بخصوص "نظرية أفعال الكلام"؛ فاقترح بعض التعديلات، والإضافات لتطوير النظرية؛ لذ عمق تحليله معتبرا أن المتكلم يتواصل بشكل أكثر مما يفصح عنه "المحتوى الظاهر للملفوظ"، وذلك بفضل توفر خلفية من المعطيات السياقية التي يتقاسمها كل من المتكلم والمخاطب [2].

كما ألحّ على ضرورة انقسام فعل الكلام إلى "فعل مباشر"، وآخر "غير مباشر" [3].

إنّ الفعل المباشر عند "سيرل" يعني إنجاز أربعة أفعال في الآن ذاته، وهي:

1. فعل القول "*Acte d'énonciation*"
2. فعل الإسناد "*Acte propositionnel*"
3. فعل الإنشاء "*Acte performatif*"
4. فعل التأثير "*Acte perlocutif* " .

[1] ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، دار الإنماء القومي، الرباط، المملكة المغربية، 1986 م، ص 62.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط 01، 2007 م، ص 69.

[3] ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، إشراف جان لوي شليغل، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1998 م، ص 33 وما بعدها.

وعليه نستنتج بأن "فعل القول" هو ما يتجلى في عملية التلفظ، و"فعل الإسناد" يشير إلى الصلة التي تربط بين الأنا والآخر، أما فعلا "الإنشاء والتأثير" يتوقفان على التأويل الذي يمنح للقول لا لشيء آخر، وذلك باعتباره نمطاً من السلوكات الاجتماعية التي تضبطه قواعد محددة.

فالفعل المباشر يكون إذا تطابق الفعل، ونوع الجملة مع الإنشاء أو الإنجاز؛ أي عندما يصبح التطابق بين معنى الجملة ومعنى الفعل تامّا [1]، بيد أن "سيرل" يرى أنه بالإمكان أن ينجز المرسِل الفعل اللغوي دون التصريح بإنجازه؛ وبذلك يتفق مع "أوستين" على أن هذه هي الطريقة الطبيعية؛ فالمرسل يستعمل الخطابات التي لا تتضمن الفعل الإنجازي نصّاً أكثر من الخطابات التي تتضمنه، وذلك عائد إلى تقارب طرفي الخطاب، والاكتفاء بتوظيف المعرفة المشتركة في كثير من السياقات، وحقائقها [2]، وبعد الحديث عن الفعل المباشر هناك ما يسمى بالفعل غير المباشر؛ فعندما يستخدم المتخاطبون فيما بينهم عبارات مجازية، فهي تتضمن أقوالا استعارية، وذلك بدل استعمالهم معانٍ حقيقية، يتمكن هؤلاء من التخاطب مع مستمعيهم بالاستعارات دون الإفصاح عمّا يريدون، هذا ما يحتّم على من يستمع لهذا النوع من الخطاب الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده ذلك المتكلم إلى كلامه، ففي عبارة: "هذه المرأة حرباء"، نجد معنيين مباشر وغير مباشر، لذا يؤوّل مستمع العبارة الفعل غير المباشر بوصفه مباشراً والعكس بالعكس؛ إذ القصد كفيل بإجراء هذا التحوّل الدلالي.

وفي هذا المعنى يستشهد "توين فان دايك" "*Teun Adrianus van Dijk*" هو الآخر بجمل، يميّز من خلالها بين الفعل المنجَز ودائم الإنجاز، وفي مثل هذا النوع من التصنيف يكون "فان دايك" بصدد الحديث في العادة عن غرض الفعل؛ فإذا كانت العلاقة وثيقة بين القصد والغرض تصبح أفعالا إنجازية دائمة، أمّا إذا غاب معيار القصد والغرض، فتكون الأفعال إنجازية فقط[3]، ومن أمثلة ذلك قولك: "ضع القلم"، فصيغة الأمر تشير لدى المخاطب إنْ هو فهم قصد المتكلّم رد فعل، ومن ثَمّ يقوم المخاطب بوضع قلمه، وعليه يمكن أن يكون ذلك الفعل إنجازيّاً، له تأثير كامل إذا وفقط إذا تطابق الأثر النهائي؛ أي: النتيجة النهائيّة مع الغرض المنشود، ونعني به نيل الفعل المراد، لكن مفهوم التأثير الكامل ليس ضرورةً حتميّةً لكل الأفعال الكلامية؛ فقد يكون المخاطب ناوياً وضع القلم منجزاً بعض الحركات، وذلك بدون الحصول على المراد، ليصبح بهذا تصرفا لا فعلاً منجزاً؛ لأنّ التأثير يحقق أثراً واحداً حال إنجاز الفعل.

فالفعل المباشر عند "فان دايك" هو ما تطابق فيه معنى الفعل، والمعنى الذي يقصده المتكلم، وما يفهمه المخاطب مستمع الخطاب، أمّا الفعل غير المباشر فهو فعل إنجازي ثانوي على حدّ تعبيره [4]، ومن هنا يربط "فان دايك"

---

[1] جون سيرل، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، دار العرب للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 01، 2006 م، ص 217.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 137.

[3] ينظر: تيون فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000 م، ص 250 وما بعدها.

[4] نفسه، ص 255 .

التداولية بالأفعال الكلامية لأنّها تمثّل الجزء الناطق، والحيوي من اللغة، وهذه الأفعال اللغوية تفتح باباً واسعاً للتأويلات السيميائية.

اعتراضات "جون سيرل" على تصنيف "جون أوستين"

إذا كان تصنيف "أوستين" يتضمن الأنواع التالية للفعل:

1. الفعل التعبيري.
2. الفعل الصوتي.
3. الفعل الصرفي التركيبي.
4. الفعل الدلالي.
5. الفعل الغرضي.

فإنّ "سيرل" حاول البرهنة على حذف الفعل الدلالي، كما تمّ تمييزه بصورة أصلية على أنّه مميّز للفعل التعبيري، وبالتالي يبقى لدينا:

1. الفعل الصوتي
2. الفعل الصرفي التركيبي
3. الفعل الغرضي [1].

استنتج "جون سيرل" أنّ التمييز بين الفعلين التعبيري والغرضي ليس تمييزاً عاماً دقيقاً؛ لأن بعض الأفعال التعبيرية أفعال غرضية [2].

وعطفا على ما سبق، فإن نظرية أفعال الكلام المنبثقة عن اللسانيات التداولية تطورت تطوراً كبيراً منذ تأسيسها على يدي كلّ من "جون أوستين" و"جون سيرل"؛ اللذين كانت لهما جهود مهمة في تحليل الأفعال الإنشائية، وبيان شروط استعمالها في سياقات الحديث المختلفة، كما بحثا مختلف أساليب فعل الكلام؛ انطلاقاً من الكشف عن القصدية الإنشائية التي يبلّغها المخاطب إلى المستمع، رغم اختلافهما في تصنيف الأفعال الكلامية.

ومن خلال ما سبق فإن "أوستين" يعتبر المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية، وقسمه إلى ثلاث: الفعل التلفظي، الانجازي، الفعل التأثيري، ثم قسم أفعال الكلام من حيث مدلولها إلى مجموعات وظيفية باعتبار أنها كثيرة لا يمكن حصرها: الحكمية – التمرسية – التكليف – السلوكيات؛ وهذه المجموعات كلها متداخلة مع بعضها، ونتيجة للتقسيم الذي قدّمه " أوستين " لنظرية أفعال الكلامية، قدم " سيرل " تصنيفًا جديدًا لسد الثغر الذي ظهر في ذلك التصنيف وهو: الإخباريات، والتوجيهات، والالتزامات، والإعلانيات، لذلك كان المعيار في تصنيف أفعال الكلام حسب

[1] ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1993 م، ص 213، 214.

[2] نفسه، ص 207.

"سيرل" هو هدف فعل التلفظ (فعل القصد) ذلك أنه وطبقًا لنظرية أفعال الكلام فإن قصد المتكلم يعد عنصرًا محوريا في انجاز الفعل الكلامي.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1985 م.
2. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، إشراف جان لوي شليغل، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1998 م.
3. تيون فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000 م.
4. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام"، ترجمة عبد القادر قينيني، دار افريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1991 م.
5. جون سيرل، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، دار العرب للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 01، 2006 م.
6. جيل بلان، عندما يكون الكلام هو الفعل، ترجمة: هاشم صالح، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 05، 1989م.
7. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 1992 م.
8. صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1993 م.
9. صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1993 م.
10. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م.
11. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، دار الإنماء القومي، الرباط، المملكة المغربية، 1986م.
12. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط 01، 2007 م.

المصادر باللغة الأجنبية:

1. *Austin, How to Do Things with Words, Second Edition, Oxford University Press, Oxford, United Kingdom, 1975.*
2. *Warnock G. J, John Langshaw Austin, a biographical sketch, Symposium on J. L. Austin, ed. K.T. Fann, Humanities Press, New York, USA, 1969.*

المحاضرة الرابعة عشرة

المدرسة الخليليّة

توطئة:

تعد "النظرية الخليلية" قراءة تقويمية جديدة لما تركه العلامة "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، وتلميذه "سيبويه" خاصة؛ وذكرنا "سيبويه" لأن أغلب أقوال "الخليل" العلمية تجدها مبثوثة في كتابه؛ حيث قام في كثير من الأحيان بتجاوز ما ذكره شيخه بتوسيع، وتوضيح المفاهيم التي استقاها، واستنبطها من شروحه، ودروسه، وتوجيهاته.

وقد بين "عبد الرحمن الحاج صالح" أهمية هذه النظرية في قوله: "وقد صارت النظرية منذ ذلك الوقت العماد النظري اللغوي لعدة دراسات قام بها باحثون من مختلف الآفاق العلمية، وخاصة من مركز البحوث لترقية اللغة العربية بالجزائر من مهندسين في الحاسوبيات، وأساتذة في اللغة العربية، والإنجليزية، وباحثين في أمراض الكلام" [1]، فـ"عبد الرحمن الحاج صالح" أولى أهمية قصوى لهذه النظرية، ما يكشف لنا عن قيمتها في تحسين الطرح اللساني العربي، وتوجيهه حسب ما يناسب اللغة، والفكر، والمفاهيم اللسانية العربية، فهذه النظيرة تهدف إلى تعريف الباحث العربي في علوم اللسان بالأهمية التي تكتسيها نظرية النحاة العرب، لا من حيث إنها ما تزال ذات قيمة كبيرة من الناحية العلمية، والنظرية؛ بل من حيث إنها يمكن أن تستثمر مفاهيمها في الميادين التطبيقية لحل مشكلات لغوية، وتربوية تعترض سبيل ترقية استعمال اللغة العربية في المجالات الحيوية، ولعل هذه النظرية هي عبارة عن قراءة جديدة للتراث النحوي مقارنة بالنزعات، والطروحات الحديثة في العالم العربي، كما تعد امتدادا منتقى للآراء، والنظريات التي أثبتها النحاة العرب الأولون، وبخاصة "الخليل بن أحمد"، فهي في الواقع نظرية ثانية، أو "نظرية شمولية" "*Métathéorie*" "لأنها في الوقت نفسه تنظير، وبحث في الأسس النظرية الخليلية الأولى؛ فأفكارها تزاوج بين الأصالة والتجديد، ولها الفضل في:

1. تنبيه الباحثين لضرورة الاهتمام بشخصيات علمية فذة في تاريخ الفكر اللغوي العربي.
2. اقتراحها لمصطلحات جديدة، وإحياؤها لمصطلحات أصيلة.
3. تفسيرها العميق لكثير من المفاهيم النحوية، والبلاغية التي استغلق فهمها على كثير من الدارسين.
4. مساهمتها في التعريف بالتراث الأصيل، وإحيائه، وتسهيل الاطلاع عليه.
5. تنبيه الباحثين الذين اشتغلوا بموضوع تيسير القواعد النحوية إلى ضرورة التمييز الحاسم.

المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية:

اتجهت النظرية الخليلية الحديثة –والتي يعد "عبد الرحمن الحاج صالح" من أبرز علمائها الذين أسسوا لها، ودعوا إليها– إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي الأصيل، والبحث عن خباياه، لا حبا للقديم في ذاته، ولا محافظة من أجل المحافظة، ولكن بغية التنبيه إلى الطفرة التلقائية المفاجئة التي أحدثها "سيبويه" [2]، وشيوخه، وتلاميذه في تاريخ علوم اللسان البشري بعد أن تحامل عليهم كثير من الدارسين الذي تأثروا بالمناهج الغربية الحديثة.

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: "مفاهيمها الأساسية"، كراسات المركز، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد 04 ،2007 م، ص 11.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة كلية الآداب، العدد 01، جامعة الجزائر، 1964 م، ص 73.

لقد سعت النظرية الخليلية منذ ظهورها إلى بعث الجديد عبر إحياء المكتسب فتجاوزت مرحلة الاقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب [1]، وتنطلق هذه النظرية في قراءتها للتراث، وتأصيل أفكاره من منطلقين أساسيين هما [2]:

1. لا يفسر التراث إلا التراث، فكتاب "سيبويه" لا يفسره إلا كتاب "سيبويه"، ومن الخطأ أن نُسقط على التراث مفاهيم، وتصورات دخيلة تتجاهل خصوصياته النوعية.
2. أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة، واللغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة، والإبداع، فهناك تراث، وتراث.

فالتراث الذي تعلقت به النزعة الخليلية الحديثة هو التراث العلمي اللغوي الأصيل الذي تركه أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم اللسانية، وأما الذين جاؤوا من بعدهم فكانوا عالة عليهم؛ إذ ضيقوا حدود النحو الواسعة، واستبدلوا مفاهيم القدماء الإجرائية النشطة بمفاهيم أخرى جامدة تأملية، مع بقاء نفس الألفاظ التي تدل عليها في الغالب [3]، ولقد اعتمد العلماء العرب، ورائدهم في ذلك "الخليل بن أحمد"، في تحليلهم للظاهرة اللغوية عددا من المفاهيم، والمبادئ اللغوية التي سيكون لها دور عظيم في تفسير العلاقات المعقدة المجردة الكامنة وراء اللغة، ومن ثمة في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية؛ ومن الغريب جدا –كما يقول الحاج صالح – أن تكون هذه الأعمال التي لا تضاهيها إلا ما أبدعه العلماء الغربيون في أحدث أعمالهم، مجهولة تماما في كنهها وجوهرها عند كثير من الدارسين، والاختصاصيين المعاصرين [4]، ومن أهم هذه المبادئ نذكر المفاهيم الآتية:

أ – مفهوم الاستقامة: يميز "سيبويه" في "الكتاب" بين السلامة الراجعة إلى اللفظ، والسلامة الخاصة بالمعنى، كما يميّز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي: النظام العام الذي يميز لغة من لغة أخرى)، والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين، وذلك في قوله في "باب الاستقامة من الكلام والإحالة": "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حَمَلْتُ الجَبَل،

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، وقائع ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ط 01، دار الفكر الإسلامي، المملكة المغربية، 1987 م، ص 367، 368.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد 270، أوت، 1984 م، ص 68 .

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، ص 68 .

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 367.

وشربتُ ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدٌ يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس " [1].

فواضح من هذا الكلام أن "سيبويه" يحدد مفهوم السلامة، وعلاقتها باللفظ والمعنى من ناحية، والقياس والاستعمال من ناحية أخرى، فهناك المستقيم الحسن، والمستقيم القبيح، والمستقيم المحال، ويمكن صياغة هذه المعاني بشكل آخر أكثر وضوحا [2]:

1. فالمستقيم الحسن = السليم في القياس والاستعمال جميعا.
2. والمستقيم القبيح = السليم في القياس وغير السليم في الاستعمال.
3. وأما المستقيم المحال = سليم في القياس والاستعمال، غير سليم من حيث المعنى.

ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، ومعنى ذلك أن اللفظ إذا حدد، أو فسّر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي، أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل نحوي [3]، والخلط بينهما كما يقول "عبد الرحمن الحاج صالح" يعتبر خطأ وتقصيرا [4]، وقد بنى على ذلك النحاة أن اللفظ هو الأول، لأن هو المتبادر إلى الذهن أولا ثم يفهم منه المعنى، ويترتب على ذلك أن الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله، وهو الانفراد.

ب – مفهوم الانفراد: ينطلق النحاة الأوائل في تحليلهم للغة من "الاسم المفرد" باعتباره النواة، أو الأصل الذي تفرع عنه أشياء أخرى، وقد أطلق "الخليل" على هذا المفهوم مصطلح "الاسم المظهر" [5]، كما أطلق عليه "ابن يعيش" و"الرضي الإستراباذي" مصطلح "اللفظة" [6]، واللفظة في اللسانيات الخليلية عمادها الوقف والابتداء، فهي أقل ما يُنطقُ به مما ينفصل فيُسكت عنده ولا يلحق به شيء، أو يَبْتَدِئ فلا يسبقه شيء، فما ينفرد وينطلق، أو ما ينفصل ويبتدئ هو صفة الانفراد، ومما تجدر الإشارة إليه، أن كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها، أو ما بعدها من الوحدات؛ بمعنى أن كل وحدة لغوية يمكن الابتداء بها، والوقوف عليها حسب موقعها في الكلام.

فمن الألفاظ ما ينفصل، ويبتدئ مثل: "الرئيس" في نحو قولنا: "جاء الرئيس" و"الرئيس جاء"، ومنها ما ينفصل ولا يبتدئ مثل ضمير "تاء الفاعل"، و"نا المضاف إليه في نحو قولنا: "خَرَجْتُ" و"كتابُنا"، ومنها ما يبتدئ ولا ينفصل مثل حرف الجر في نحو قولنا: "في التأني السلامة"، ويحمل النحاة "اللفظة" على غيرها من المثل، والنماذج فتفرع إلى

---

[1] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1991 م، ج 01، ص 25، 26.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 379.

[3] ينظر: خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها "منهج وتطبيق"، دار المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1984 م، ص 56، 57.

[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 379.

[5] نفسه، ص: 379، 380.

[6] نفسه، ص: 379، 380.

لفظات هي نظائر للنواة، ولكنها أوسع منها، من خلال تعاقب زيادات قبلية، وبعدية عليها دون أن تفقد، وحدتها، أو تنفرد فيها أجزاؤها، فلا تخرج عن كونها لفظة (أي: قطعة واحدة)، وسمى النحاة هذه القابلية للزيادة يمينا ويسارا "التمكن"، ولاحظوا أن لهذا التمكن درجات تترتب كالآتي [1]:

1. المتمكن الأمكن، الذي يحمل معناه بداخله، ولا يحتاج إلى غيره، ويتمثل في اسم الجنس المنصرف "كرجل"، و"فرس"، و"شجرة".
2. المتمكن غير الأمكن، ويتمثل في "الممنوع من الصرف".
3. المتمكن ولا أمكن، ويتمثل في "الاسم المبني".

ج – مفهوم الكلمة واللفظة: كما سبق وأن أشرنا، أن النحاة الأوائل انطلقوا في تحليلهم للغة من مستوى اللفظة باعتبارها أصغر وحدة من الكلام مما يمكن أن ينفصل ويبتدئ، وهي أقل ما يمكن أن ينطق به مما يصلح أن يكون مبنيا على اسم أو فعل، أو مبنيا عليه اسم آخر أو فعل، وبناء على هذا المفهوم فإن العبارات التالية: رجل، الرجل، مع الرجل، رجل الغد، رجل قام أبوه أمس، الرجل الذي قام أبوه أمس...، كل واحدة منها بمنزلة اسم واحد أي "لفظة" بتعبير "الشريف الرضي" لا "كلمة" [2]، ولقد عَرَفَ "سيبويه" هذه الوحدة وعبَّر عنها في أماكن عديدة من "الكتاب" بعبارة "كالاسم الواحد"، أو "بمنزلة الاسم الواحد"، ومن ذلك مثلا قوله عندما تعرض لموضوع النعت : "فأما النعت الذي جرى مع المنعوت فقولك: مررت برجلٍ ظريفٍ قبلُ، فصار النعت مجرورا مثل المجرور لأنهما كالاسم الواحد" [3].

أما الكلمة عند النحاة الأوائل فهي أدنى عنصر تتركب منه "اللفظة"؛ إذ تحدد بالموضع الذي تظهر فيه في داخل المثال (الحد)، وعلى هذا فالكلمة كاصطلاح نحوي ليست دائما مورفيما أقل ما ينطق به مما يدل على معنى بل هي العنصر الدال الذي يمكن أن يحذف من (اللفظة) دون أي ضرر، أو تغيير للعبارة، كالحذف لحرف الجر من لفظة "بالرجل" فخروجه لا يسبب تلاشي الاسم، أما العنصر الدال الذي إذا حُذِفَ، أو استبدل بشيء آخر أدى إلى تلاشي العبارة التي يدخل فيها "كالنون" في "نَذْهَبُ"، و"التاء" في "افْتَعَلَ" فهذه مورفيمات، وليست كلما، لأنها عناصر من مكونات الكلمة، فهي داخلة في صيغتها، وليس لها الاستقلال النوعي الذي للكلم [4].

د – مفهوم الموضع والعلامة العدمية: إن المواضع التي تتعاقب عليها الكلم، وتترتب فيها مع النواة (أي الاسم المفرد)، بعمليات الوصل "*simple concaténation*" [5]، هي خانات تحدد بالزيادة التدريجية؛ إذ تمثل هذه الزيادات

---

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 379، 381، وينظر: مازن الوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية، مجلة اللسانيات، العدد 06، الجزائر، 1982 م، ص 79.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد 04، 1973 م، 1974 م، ص 95.

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 01، ص 433/421.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 379–382.

[5] نفسه، ص 383.

التحويلات التفريعية التي يتم من خلالها الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع، أو العكس (رد الفروع إلى أصلها)، وعلى الرغم من الاختلاف الموجود، من حيث الطول، والقصر بين العبارات التي تظهر بالتحويل التفريعي في داخل المثال المولد للفظة "*schème générateur*"؛ (رجل، الرجل، بالرجل، رجل الغد، رجل قام أبوه أمس... الخ) إلا أنها تُعدُّ عبارات متكافئة باصطلاح الرياضيات، ولا يخرجها ذلك عن كونها لفظة. وبهذه العمليات التحويلية الخليلية يتحدد موضع كل عنصر في داخل المثال.

إن هذه الطريقة في تحليل الكلام، واكتشاف البنية الجامعة للكمية الكبيرة من الأنحاء، قد بناها النحاة الأولون على عدد من المفاهيم، والتصورات، وعدد من الأساليب في علاج الكلام، فالنحاة العرب كما يقول "الحاج صالح" ينطلقون من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون الكلام جملة جملة، وقطعة بعد قطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق من حيث صفاتها الذاتية كما هو الشأن عند البنويين (الانطلاق في التحليل من ظاهر الكلام فقط) [1]، بل يحملون هذا النحو على ذاك حتى يظهر الترتيب، والنظم (لا الصفات الذاتية فقط)؛ وعليه فإن مفهوم الموضع، وكذلك المثال لا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربية إطلاقا، وهو أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي عن اللسانيات الغربية الحديثة [2].

وللإشارة فإن المواضع التي هي حول النواة الاسمية يمينا ويسارا تدخلها الزوائد (العناصر اللغوية)، وتخرج منها بعمليات الوصل، وقد تكون فارغة، أي خالية من العنصر لأن الموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر، وهذا الخلو من العنصر مع بقاء، أو ثبات الموضع هو ترك للعلامة وخلو منها، ويطلق " عبد الرحمن الحاج صالح" على هذا المفهوم "العلامة العدمية " "*Expression zéro*" [3]، وتختفي هذه العلامة في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، فعلامة التذكير العدمية تقابلها علامة ظاهرة في المؤنث (عالم – عالمة)، وعلامة المفرد العدمية تقابلها علامة ظاهرة في التثنية والجمع، وعلامة الابتداء العدمية (التجرد من العوامل) تقابلها علامات لفظية ظاهرة، وتنطبق "العلامة العدمية" أيضا على التقابل بين الحروف الصوتية، كعدم غنّة الباء في مقابل غنّة الميم، وكلاهما له مخرج واحد.

هـ – مفهوم الأصل والفرع: مما لا شك فيه أن المفهوم الذي تنبني عليه علوم العربية كلها هو مفهوم "الأصل والفرع"، وقد جعل "الخليل" و"سيبويه" النظام اللغوي كله أصولا وفروعا، والفرع هو الأصل مع زيادة، أي مع شيء من التحويل، ويحصل ذلك بتفريع بعض العبارات عن عبارات أخرى تعتبر أبسط منها وبالتالي أصولا لها، ويبين ذلك النحاة العرب باللجوء إلى منهج علمي هو ما يسمونه حمل الشيء على الشيء، أو إجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعها، وهو البنية التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل، كما توضحها المتتاليات من الجمل التي أوردها "سيبويه" في كتابه [4]:

1. مررت برجلٍ راكبٍ وذاهبٍ.

---

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 01، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2002 م، ص 199.

[2] نفسه، ص 383، 384

[3] عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص 34، 35.

[4] سيبويه، الكتاب، ج 01، ص429، 430.

2. مررت برجلٍ راكبٍ فذاهبٍ.
3. مررت برجلٍ راكبٍ ثم ذاهبٍ.
4. مررت برجلٍ راكعٍ أو ساجدٍ (بمنزلة إما وإما...).
5. مررت برجلٍ راكعٍ لا ساجد (إما غلط فاستدرك وإما نسي فتذكر...الخ).

وينطلقون في ذلك من أبسطها وهي التي تتكون من عنصرين؛ "زيد منطلق"، فيحملون عليها جملا أخرى تكون فيها زيادة بالنسبة إلى الجملة البسيطة، بحيث تظهر بذلك كيفية تحوّل النواة بالزوائد، وهي في الحقيقة مقارنة بنيوية أساسها تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طردا وعكسا، فالمذكر مثلا أصل والمؤنث فرع، والمفرد أصل والمثنى والجمع فرع عليه، والمكبّر أصل والمصغّر فرع عليه، والجملة المبنية للفاعل أصل للجملة المبنية للمفعول، وقد اعتبر "تشومسكي" الجملة المبنية للفاعل نواة ومنطلقا للتفريع [1]، والأصل عند الأئمة النحاة هو ما بُني عليه ولم يبن على غيره، ولا يحتاج إلى علامة ليتميز بها عن فروعه فله "العلامة العدمية" "*Marque zéro*" [2].

والنحو العربي العلمي، لا التعليمي أو الفلسفي، هو مجموع المثل والقواعد التي يمكن أن تفرع بها وعليها جميع الإمكانات التعبيرية الخاصة بالوضع العربي، فهذا الجانب الديناميكي للغة تجهله اللسانيات البنيوية التقليدية لأنها تركز كل اهتمامها على تشخيص الوحدات في ذاتها، وبالاعتماد على تقابل الصفات الذاتية التي تميزها عن غيرها [3].

و – مفهوم الحركة: لعل مفهوم الحركة هو مفهوم غامض في أذهان كثير من المستشرقين واللغويين العرب الذين لم يتجردوا بعد من التصورات التي ورثها الغربيون عن الحضارة اليونانية كما يعبر عنه "عبد الرحمان الحاج صالح"؛ ووجه الغموض في هذا المفهوم راجع إلى عدم تمييز هؤلاء بين الحركة كصوت مسموع؛ أي: مصوت "*voyelle*" لا يقوم مقام الحرف، ولكنه من جنسه، ولذلك سميت حروفا صغيرة، والحركة التي تمكن من إخراج الحرف، ووصله بغيره، والخروج منه إلى حرف آخر، وهذا هو المفهوم الذي يقصده القدماء من الحركة، قال "الرماني" في شرحه لكتاب "سيبويه": "الحركة تمكن من إخراج الحرف، والسكون لا يمكن من ذلك، وقال أيضا: "وإذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى حرف آخر" [4]، ومعنى ذلك أن الحرف لا يحدث إلا في مدرج صوتي، أي في سياق متسلسل" [5].

وقال "ابن جني": "... لأن أصل الإدراج للمتحرك إذْ كانت الحركة سببا له، وعونا عليه" [6]، وعلى هذا الأساس، فإن الحركة عند العلماء الأوائل هي الدفعة، والنقلة العضوية، والهوائية التي تهيئ المتكلم لما بعدها، إذ يحتاج إليها للانتقال

---

[1] ينظر: مازن الوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية، ص: 71، 72.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 02، 1993 م، ص 100.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، ص 68.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012 م، ج 01، ص 265 وما بعدها.

[5] سيبويه، الكتاب، ج 03، ص 320.

[6] ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ج 01، ص 58.

من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر، وكذلك من كلمة إلى كلمة أخرى [1]، فهي إطلاق بعد حبس، عكس السكون الذي هو وقف لا يستلزم الانتقال إلى حرف آخر.

ز – مفهوم العامل: يعد العامل، أو العمل النحوي [2] الفكرة الجوهرية التي تتأسس عليها نظرية النحاة العرب، ويعني القدماء بالعامل العنصر اللغوي الذي يؤثر لفظا ومعنى على غيره كجميع الأفعال العربية، وما يقوم مقامها، فهو معقول من منقول [3]، فكل حركة من الحركات الإعرابية التي تظهر على أواخر الكلم، وكذلك كل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنما يجيء تبعا لعامل في التركيب، فلا نجد معمولا إلا وتصور له العلماء الأوائل عنصرا لفظيا، أو معنويا هاما هو العامل الذي يكوِّن مع معموله زوجا مرتبا "*couple ordonné*" وههنا ينطلق النحاة من العمليات الحملية الإجرائية (حمل الشيء على الشيء) فيحملون مثلا أقل الكلام مما هو أكثر من لفظة، وينطلقون من الجملة التي تتكون من عنصرين، كما سبق وأن أشرنا، نحو: "زيد منطلق"، ثم يشرعون في تحويلها بالزيادة مع إبقاء النواة (كما فعلوا باللفظة) للبحث عن العناصر المتكافئة، أي البنية التي تجمع، وتشترك فيها الأنواع الكثيرة بل اللاّمتناهية من الجمل [4].

هذا ويصرح "سيبويه" في "الكتاب" أن عنصرين اثنين لا تكاد تخلو منهما أبدا البنية اللفظية للجملة، وهما العامل والمعمول الأول [5]، وتجدر الإشارة أن موضع العامل ليس له مكان معين في مدرج الكلام، بل هو موضع في داخل المثال، أو الحد، فالعامل شيء، ومحتواه شيء آخر (كما أن الموضع شيء، وما يدخله من الزوائد شيء آخر)، فقد يكون في موضع العامل "فعل تام"، أو "فعل ناسخ"، أو "إن وأخواتها"، أو تركيب آخر [6].

فمفهوم العامل إذن، هو مفهوم إجرائي يمكن أن تفرع عليه وبه جميع الإمكانات التعبيرية الخاصة بالوضع اللغوي العربي، وقد تفطن "تشومسكي" إلى أهمية هذا المفهوم (العامل النحوي) في المنهج التحويلي على صورة لا تبتعد كثيرا على الصورة التي جاءت في النحو العربي [7].

ك – التمييز الواضح بين الكلام كبنية والكلام كخطاب: لم يقتصر الفكر النحوي الخليلي في تحليلاته للغة وتفسير ظواهرها على الجوانب الشكلية (اللفظية) فحسب، بل تجاوز ذلك إلى الجوانب الوظيفية الإبلاغية، فتحدث النحاة عن

---

[1] ينظر: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 05، 1986 م، ص 70–71.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، ص 100.

[3] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط 01، 1976 م، ص 03.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 388/384

[5] سيبويه، الكتاب، ج 01، ص 23، وينظر: المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج 04، ص 128.

[6] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، ص 13 .

[7] ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1966 م، ص 148، وينظر، أحمد خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، ص:69/48، وينظر:

Julia Kristeva, Le langage cet inconnu : Une initiation à la linguistique, éd du Seuil, Paris, France, 1981, p 133.

الكلام الذي تحصل به الفائدة، وعن معاني النحو وما يتيحه لصاحب الخطاب من طرق متنوعة للتعبير عن المعاني المقصودة، فمادة الدراسة النحوية عندهم هي الحديث (لا الحكم) من حيث هو تبادل لفظي ذو فائدة، يتم بين قطبين أساسيين هما المتحدث والمتحدث إليه، ولقد ربط "سيبويه" والنحاة الأوائل، عند وصفهم للغة، بين كل ظاهرة من الظواهر الصرفية والنحوية (الإفرادية والتركيبية) بما يمكن أن تؤديه من معنى، لا من حيث اللغة، ولكن من حيث البلاغة والفائدة، وأوضح دليل على ذلك هو اهتمامهم (أي النحاة) بمفهوم الجملة، وتمييزهم الصريح والحاسم بين الكلام كبنية والكلام كخطاب [1].

ومن الجوانب التي اهتمت بها النظرية الخليلية الحديثة، تنبيه الباحثين إلى مفهوم الجملة، وما يقتضيه التصور العربي لها، إذ يخطئ، في رأيها، من يعتقد أن "الكتاب" الذي اشتمل على أمهات المسائل اللغوية، والذي شهد له العلماء بالنضج والاكتمال، خال من مفهوم الجملة، فخلو الكتاب من المصطلح لا يعني بالضرورة خلوه من المفهوم كما أن خلو كتاب "سوسير" من كلمة "بنية" لا يعني أبدا إهماله لمفهوم البناء، فاستعماله لمصطلح "نظام" يتضمن "مفهوم البنية".

حقيقة إن "سيبويه" لم يستعمل "مصطلح جملة"، ولكن العلماء لاحظوا أنه يسميها كلاما، وإذا دقق القول استعمل مصطلح "الكلام المستغنى" ويقصد به: قطعة الكلام المستقلة لفظا ومعنى، والتي يحسن بالمتكلم أن يسكت عند انتهائها لأنها تشكل وحدة تبليغية يستفيد بها المخاطب علما معينا، فمقياس الجملة المفيدة، أو علامتها عند "سيبويه" هو الفائدة (الإفادة).

ومعلوم أنه لا فائدة إلا إذا كان الكلام تاما، أما الكلم المفردة فلا تتعلق بها الفائدة، وإن تعلقت بها الدلالة على معنى مفرد (لفظي)، قال "الزجاجي": " ... الاسم يدل على مسماه ... ولا يحصل منه فائدة مفردا حتى نقرنه باسم مثله، أو فعل، أو جملة، وإلا كان ذكرك له لغوا، وهذرا غير مفيد، وكذلك الحرف إذا ذكرته دلَّ على المعنى الموضوع له، ثم لم تكتمل الفائدة بذكرك إياه حتى تقرنه بما تكمل به فائدته، فهو والاسم في هذا سواء، لا فرق بينهما [2] .

وعليه فإن لفظة "كلام" كما لاحظ العلماء كافية الدلالة على مفهوم الجملة المفيدة عند "سيبويه"، ومن يرجع إلى "الكتاب" يلاحظ أنها تواترت عشرات المرات من خلال العناصر الأساسية لتكونها وهما: المسند والمسند إليه، والمبتدأ والمبني عليه [3].

وعلى الرغم من ظهور مصطلح "الجملة" في كتاب "المقتضب" "للمبرد" [4] إلا أن لفظة كلام ظلت سائدة تنافس المصطلح الجديد، حيث استعملها بعض اللغويين والنحاة، ومن ذلك مثلا قول "ابن جني" عند تعريفه للكلام: " كل

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 02، 1993 م، ص 99، 100.

[2] الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 49.

[3] سيبويه، الكتاب، ج 01، ص: 23-125-126-238-239-240، و ج 02، ص 88-90-91-124.

[4] المبرد، المقتضب، ج 01، ص 08.

لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه نحو، زيدٌ أخوك، وقام محمد ... وصَهْ ومَهْ...وأفّ....." [1]، ومن مظاهر الأصالة والإبداع، أيضا، في الفكر النحوي الخليلي هو تمييز القدماء بين جانبين اثنين، عند تحليلهم للغة، ليس بينهما أي تناظر كما يقول "عبد الرحمن الحاج صالح"، ويتمثل هذان الجانبان في [2]:

1. الجانب اللفظي الصوري الذي يخص اللفظ في ذاته، وهيكله، وصيغته؛ أي: المعنى الموضوع له بقطع النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة الوضعية (دلالة اللفظ).
2. وجانب الخطاب ويتمثل في كيفية استعمال تلك الألفاظ، ومدلولاتها في عملية الإفادة؛ أي: الإعلام، والمخاطبة، وتبليغ الأغراض بين ناطق، وسامع في موقف اجتماعي حيّ يُعتبر "المتكلم" جزءا منه إلى جانب السامع والكلام.

وأوضح دليل على سلامة هذا التصور، في منظور "الحاج صالح" [3]، هو عجز النحويين المتفلسفين عن تحديد مفهوم الاسم في مقابل الفعل والحرف، حيث حددوه بتعريفات كثيرة، تأتلف حينا، وتختلف أحيانا، ولا يُعلم تعريف سلم من المعارضة، والنقد [4]، ولكي يضبط تعريف الاسم ضبطا دقيقا، فيسلم تحديده من التناقض يرى بعض اللسانيين [5] أنه لا بد من مراعاة ما يلي:

أولا: تحديد نوع الاسم، هل هو اسم مطلق، أم اسم مضارع للفعل والحرف، وهل هو متمكن تجري عليه حركات الإعراب، أو هو مستحق لها؛ (أي: متمكن أمكن، أو متمكن غير أمكن...).

ثانيا: تحديد الجانب الذي يحدد فيه، هل يحدد في الجانب الوظيفي الدلالي الخاص بالإفادة، أم يحدد في الجانب اللفظي الصوري الخاص بالبنية والهيكل، فالاسم من حيث وظيفته الدلالية، والإفادية؛ (أي: من حيث دلالته على معنى) "هو لفظ يدل على شيء لا يكون حدثا مع زمان"، ثم هناك "الاسم المطلق"، والاسم المضارع للحرف والفعل، "فالاسم المطلق" يدل على ذات أي على كل شيء يصح الإخبار عنه [6]؛ بمعنى قابل أن يكون متحدثا عنه.

أما من الجانب اللفظي الصوري، فالاسم كلمة، أو عنصر قابل، أو يحتمل دخول الزوائد عليه يمينا، وشمالا بحسب درجة تمكنه، أو عدم تمكنه؛ إذ يصلح أن تدخل عليه "ال"، وحروف الجر، والتنوين، والإعراب، ويمكن أن يضاف، وأن يوصف...

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج 01، ص 17.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 06، ديسمبر، 1995 م، ص 27.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، ص 9، 10.

[4] ينظر، الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص: 51/48.

[5] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، ص 9، 10.

[6] ينظر، الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 49.

حدّ الاسم من الجانب اللفظي (الشكلي الصوري): تختلف زوائد اللفظة الاسمية عن زوائد اللفظة الفعلية، فالأولى، تقبل دخول حروف الجر، والتنوين، والإضافة، والْ التعريف. والثانية قابلة لدخول السين، وسوف، وأدوات النفي، والضمائر المتصلة، وتاء التأنيث، وحركة الإعراب...

حدّ الفعل من الجانب اللفظي (الشكلي الصوري): يبدو تعمق القدماء في هذه المسألة (اللفظ الدال، ومدلولاته الوضعية من جهة، واستعمال اللفظ ومدلولاته في عملية الإفادة) من خلال تحليلهم لوحدات تبدو في الظاهر، ولأول وهلة قطع كلامية غير قابلة لمزيد من التحليل، والتفكيك لشدة التحام عناصرها المكونة لها، ومن ذلك مثلا ما استدلّ به "ابن جني" من أصناف الدلالات اللفظية، والصناعية، والمعنوية لتحليل الكلمة لفظا وصيغة، سواء كانت فعلا أو اسما، ثم تعيين وحداتها الدالة الدنيا في كل منها حيث يقول: " ... ألا ترى إلى قام، ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله" [1].

نستنتج من هذا التحليل أن الكلمة، سواء كانت اسما أو فعلا، تشمل وحدات دنيا دالة، هي المادة الأصلية والصورة (أي الوزن والصيغة)؛ فكلمة "مفتاح" مثلا تتكون من صيغة (مفعال) التي تدل على "اسم الآلة"، وكذلك ضَرَبَ، وضَارِب، ومَضْرُوب، تتكون من مادة أصلية هي (ض.ر.ب) التي تدل على الحدث (الضرب) في الوضع اللغوي، ومن أوزان أو صيغ هي [2]:

1. فَعَلَ التي تدل على حدث منقطع.
2. وفَاعِل التي تدل على اسم الفاعل.
3. ومَفْعُول التي تدل على الذي وقع عليه الفعل (اسم المفعول).

وتجدر الإشارة أن تمييز النحاة الأوائل بين الجانب اللفظي البنيوي وبين الجانب الوظيفي الإبلاغي لم يقتصر على المستوى الإفرادي فحسب، بل تعداه إلى المستوى التركيبي، ليشمل الجملة المفيدة المستغنى عنها بمصطلح "سيبويه"، فصيغة الجملة العربية اللفظية، في رأي "الحاج صالح" [3] هي سياق من العامل زائد المعمول الأول، يكونان زوجا مرتبا هي اللفظة المبني عليها، التي يبتدئ بها الكلام، ويبنى عليها المعمول الثاني (الذي يشغل موضع اللفظة المبنية) [4]، فالعناصر التركيبية هي عناصر خاصة مجردة، كما أن هناك عناصر أخرى، أو زوائد (تدخل وتخرج) على النواة التركيبية، وتتمثل في المخصصات كالمفاعيل والحال وغيرها، وللإشارة فإن هذه البنية اللفظية هي التي يعبر عنها النحاة مرة بترتيب اللفظ، ومرة بالتغيير الإعرابي [5].

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج 03، ص 98، 99، 100.

[2] *Hadj-Salah Abderrahman, Linguistique arabe et linguistique générale, 1979, p : 78-140.*

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 388/384

[4] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000 م، ص 115.

[5] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، ص 16.

ويحذر "الحاج صالح" من خطر الخلط في التحليل بين هذه البنية اللفظية (الهيكل البنوي للجملة) وصيغة الخطاب التي تتكون من مسند ومسند إليه (وهما ما لا يستغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّا) [1]، وإلا لما احتاج النحاة الأوائل إلى تسمية أخرى مثل، المبتدأ ولما احتاجوا إلى تصور عنصر لفظي هام هو العامل، وما يتعلق به من معمول.

وعليه، فإذا كانت الصيغة الخاصة باللفظ تُوظَّف فيها مصطلحات العامل والمعمول الأول والثاني والفضلة، فإنه يستعمل للحديث عن الصيغة الخاصة بالخطاب المسند والمسند إليه والمخصصات، ويظهر هذا التصور بجلاء من خلال حديث النحاة عن الجملة "ذات التركيب المزدوج"، "كالشرط" مثلا، فإنه من الجانب اللفظي، تعدّ "جملة الشرط" أو جملة "جواب الشرط" تامتين تتوفر فيهما الشروط [2]، ولكن من حيث الخطاب والإفادة فهما (كل بمفردها) ناقصتان [3].

وما نخلص إليه من تمييز النحاة الأوائل بين الكلام كبنية وبين الكلام كخطاب، أن هناك فرقا بين الأوضاع اللغوية الإفرادية والتركيبية (الصرفية والنحوية) وبين ظواهر الاستعمال لهذه الأوضاع، وإن تفسير بنية اللفظ باللجوء إلى اعتبارات تخص الإفادة أو العكس؛ تفسير ظواهر الإفادة والتبليغ بالاعتماد على اعتبارات تخص اللفظ هو غلط فادح، وسبب لأوهام كثيرة كما يقول " الحاج صالح" [4]، لأن اللفظ في الوضع اللغوي يدل على معناه الموضوع له وعلى أكثر من معنى (أي أنه متعدد ومتغير ومحتمل خارج السياق)، أما في الخطاب الواحد الخاص فإن المتكلم لا يريد باستعماله إلا معنى واحدا، وما يمكننا استنتاجه من خلال عرضنا للمفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة هو قيمة "اللفظة" في مجال تحليل النظام اللغوي العربي، وتشخيص وحداته، فهي أصغر وحدة في الخطاب، أو الحديث، وعلى مستواها يتم اتحاد الوحدة اللفظية بالوحدة الإعلامية (الإفادة)، فهي المستوى المركزي، أو المنوال اللساني الذي انطلق منه النحاة الأوائل في التحليل والتفسير إلى مستويات أخرى أكثر أو أقل (من اللفظة).

وتجدر الإشارة، ههنا، إلى أن الوحدات اللغوية المندرجة في كل مستوى من مستويات التحليل هي نتاج بناء لعناصر ووحدات المستوى الأدنى، تركب على شكل تفريعي إجرائي [5]، إن لهذا الإقرار "بقيمة اللفظة" في التحليل اللغوي العربي نتائج عظيمة ليس فقط على صعيد التحليل اللساني النظري، بل أيضا على مستوى تطبيقاته التربوية، إذ يمكن أن تستثمر نتائج هذا المفهوم عند اختيار المادة النحوية المراد تعليمها وكذلك عند ترتيبها، وتحديد الكيفية التي ينبغي أن تعرض بها على المتعلمين [6].

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 01، ص 23.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، ص 15، 16.

[3] مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط 02، 1986 م، ص 57.

[4] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، ص 19/16.

[5] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 95.

[6] نفسه، ص 99.

وبناء على ما تقدم فإن المفاهيم، والتصورات الأساسية "للنظرية الخليلية" توضح لنا أن النحو عند "الخليل"، وتلميذه "سيبويه" منطق رياضي خاص مستنبط من واقع الاستعمال، فهو ثمرة أصول عديدة تفرعت منها فروعه، وفصوله، وإن وجود هذا الأثر المنطقي لدليل على مكانة الجانب العقلي فيه، وهو جانب كان موجودا إلى الجانب النقلي، وقد عاد هذا الجانب ضروريا في البحث اللغوي عند التحويليين، لأنه أداة أصيلة من أدوات بناء العلم، بدونه يتحول علم النحو إلى مجرد جمع، وتصنيف.

وخلافا لما يدعيه دعاة الإصلاح، والتجديد، فإن صعوبة العامل النحوي، قضية مزيفة لا أساس لها من الصحة، ونظرية النحاة الأوائل تتميز بالموضوعية، والشمولية، والتماسك، والاقتصاد، وفكرة العامل ليست مما يغضُّ من شأن النحاة الأوائل، بل هي مما يعلي شأنهم، ويُكبر تفكيرهم، وهي من أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية، لا سيما وأن لديها قدرة عجيبة، وقابلية واسعة للصياغة الرياضية، وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا إن اللسانيات الغربية لو انتبه أصحابها إلى نظام العامل في النظرية النحوية العربية القديمة لكانت اللسانيات العامة على غير ما هي عليه، بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما لا تدركه إلاّ بعد أمد.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها "منهج وتطبيق"، دار المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1984 م.
2. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب، بيروت، لبنان.
3. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000 م.
4. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 05، 1986 م.
5. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1991 م.
6. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط 01، 1976 م.
7. عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد 04، 1973 م، 1974 م.
8. عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد 270، أوت، 1984 م.
9. عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 06، ديسمبر، 1995 م.
10. عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 02، 1993 م.

11.عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 02، 1993 م.
12.عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 01، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2002 م.
13.عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة كلية الآداب، العدد 01، جامعة الجزائر، 1964 م.
14.عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، وقائع ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ط 01، دار الفكر الإسلامي، المملكة المغربية، 1987 م.
15.عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: "مفاهيمها الأساسية"، كراسات المركز، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد 04 ،2007 م.
16.عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012 م
17.عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1966 م.
18.مازن الوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية، مجلة اللسانيات، العدد 06، الجزائر، 1982 م.
19.المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
20.مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط 02، 1986 م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. *Hadj-Salah Abderrahman, Linguistique arabe et linguistique générale, 1979.*
2. *Julia Kristeva, Le langage cet inconnu : Une initiation à la linguistique, éd du Seuil, Paris, France, 1981.*

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مدخل: المدرسة / الحلقة / النظرية.....17/02

لسانيات دو سوسير.....35/19

حلقة موسكو.....52/37

مدرسة براغ 1.....67/54

مدرسة براغ 2.....85/69

مدرسة كوبنهاغن.....99/87

المدرسة الوظيفيّة الفرنسية.....113/101

المدرسة السياقية.....125/115

المدرسة التوزيعيّة.....136/127

المدرسة التوليدية التحويلية 1.....152/138

المدرسة التوليدية التحويلية 2.....165/154

المدرسة الوظيفيّة الأمريكية.....180/167

مدرسة أوكسفورد.....191/182

المدرسة الخليليّة..... 205/193